

مكتبة جامعة بغداد على نشرها



الفروسيات

في الشعر الجاهلي

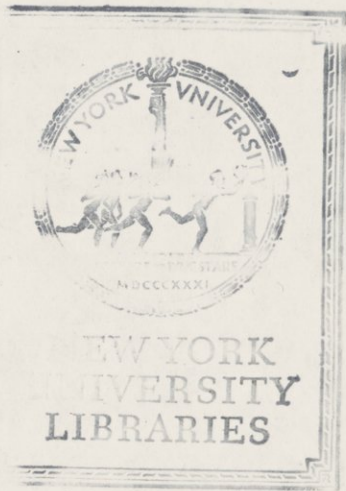
نوري جمودي الفيضي

مَشْرِقات - مكتبة النهضة - بغداد


BOBST LIBRARY



3 1142 01446 9483



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY



DATE DUE

DATE DUE

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY

OCT 16 1990

70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY

JUN 26 1990

70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY

NOV 12 1990

70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY

JUL 24 1990

70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY

DEC - 4 1990

AUG 21 1990

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY

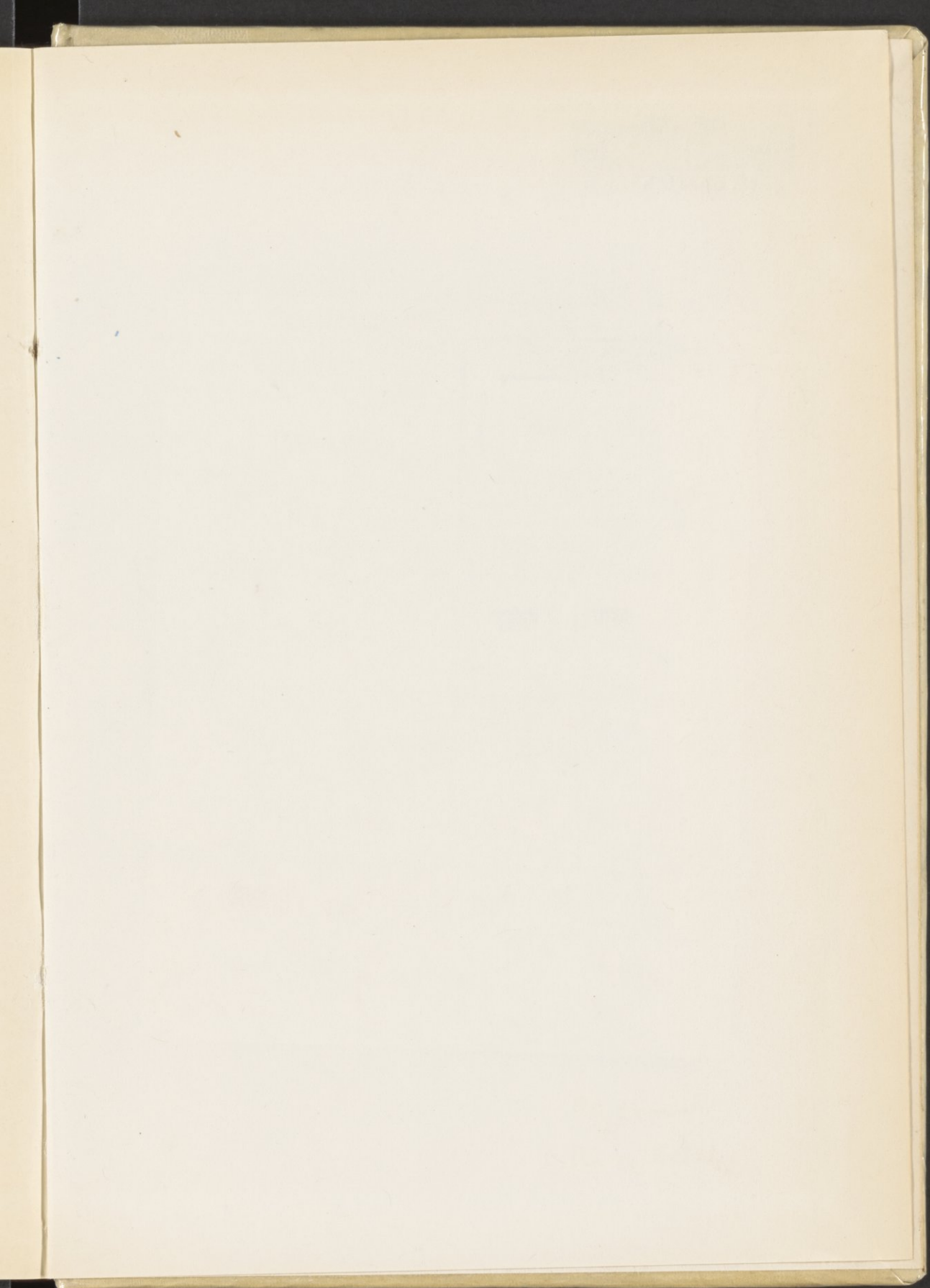
NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY

JAN - 2 1991

70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

SEP 18 1990

70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012



T

مجلد 5، نوری
Hamudū

في الشعر الجاهلي
Jahiliya

الفروسية

front

5

1371 - 1372
في الشعر الجاهلي

B

الفروسية
في الشعر الجاهلي

الطبعة الاولى / ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

طبع على مطابع دار التضامن - بغداد

١٩٦٤

نوری حمودی القسی
al-Qaysī, Nūrū
Hammūdī

al-Furūsiyah fī al-shi'r al-Jahilī.

الفروسية

في الشعر الجاهلي

ساعت جامعة بغداد على نشره

منتورات مكتبة النهضة بغداد

Near East

PJ

7543

.Q3

c.2

بحث نال به مؤلفه درجة الماجستير في الآداب من جامعة

القاهرة بتقدير جيد جدا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

لاستاذنا الجليل الدكتور يوسف خليف

على الرغم من بساطة الحياة الادبية في العصر الجاهلي ، وعلى الرغم من ضيق المجال الذي كان الادب الجاهلي يدور فيه ، فان البحث في هذا الادب يُعدّ عملاً على قدر كبير من المشقة والعناء . فالادب الجاهلي ادب صحراوي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبيئة الصحراوية التي عاش فيها ، وهي بيئة "بَعْدَ ما بيننا وبينها" ، واسدل تطور الحياة فوقها ستاراً صفيقاً يحجب الرؤيا ويردّ البصر ، حتى أصبحت الصورة الماثلة أمامنا عنها في حاجة شديدة الى جهود الباحثين لتوضيح قسماتها وابرار ملامحها . والادب الجاهلي - بعد ذلك - أدب شفوي ، تناقلته شفاه الرواة عبر أجيال متطاولة ، فلم يصل إلينا منه الا أقله ، أما أكثره فقد ضاع في اثناء تلك الرحلة الطويلة التي قطعها قوافل الرواة من نقطة الانطلاق البعيدة في القرن الثاني قبل الاسلام من فوق رمال البادية الى نقطة النهاية في القرن الثاني بعده في مدن العراق ، وحتى هذا القليل

الذي وصل إلينا من هذه الرحلة لم يَسَلَم من آثارها ، فقد وصل وهو يحمل معه أثقالا من التحريف والتغيير تارة ، ومن التزويد والاتحال تارة أخرى •

ولكن هذه الرحلة - رغم كل شيء - انتهت إلينا وهي تحمل معها باكورة تلك الشجرة الطيبة التي غرستها البادية العريقة ، وتعهدتها بالرعاية حتى أينعت وآتت أكلها ، شجرة الفن العربي الاصيل ••• الشعر • ومع هذه الباكورة وصلت إلينا آثار "من سحر البادية الغامض المثير وبقية من عطر أزهارها البريئة النَّفَّاذ ، ومن هنا كنا نشعر بأننا مشدودون إلى هذه الباكورة الشهية التي تشل قطعة غالية من تراثنا وماضينا بوشائج متينة ، أو - على حد تعبير ابن الشعر الجاهلي امرئ القيس - « بأمراس كَتَّانٍ إلى صُمِّ جندلِ » •

وعلى الرغم من هذه الوشائج والامراس التي تشدنا إلى الشعر الجاهلي أشعر دائما بشيء من الاشفاق على أولئك الذين يُقَدِّمون على البحث في هذا الشعر ، تقديرا لمشقة الطريق ، وادراكا لعناء الرحلة ، ولكن حبي له وفتنتي به يخففان دائما عن نفسي هذا الشعور بالاشفاق ، ويهوِّنان أمامي تلك المشقة وهذا العناء • وبمقدار هذا الحب وبمقدار هذه الفتنة يكون ترحيبي برفاق القافلة الذين يُقَدِّمون معي على اختراق هذه المَفَازَة ، مفازة الشعر الجاهلي التي « فيها الدليلُ يَعَضُّش بالخمس » - كما يقول الشاعر القديم •

وموضوع « الفروسية » من الموضوعات المثيرة حقا في الشعر الجاهلي ، الجديرة بالبحث والدراسة ، لان الفروسية تمثل اللون الزاهي المشرق في الحياة الجاهلية والشعر الجاهلي جميعا ، ففيها تتركز أرفع المثُل وَاكْرَمُ الْقِيَمِ التي عرفها المجتمع الجاهلي من ناحية ، ومنها استمد الشعراء أروع صورة رسموها في لوحاتهم الفنية من ناحية أخرى • ولكن هذا الموضوع - كسائر موضوعات الشعر الجاهلي - شائك وعسير ، بل لعله من أقواها شوكة وأشدّها عسرا •

ومن هنا كنت أعاني - في بداية اتصالي بصاحب هذا البحث - من ذلك الصراع التقليدي الذي أعاني منه دائما مع كل دراسة لهذا الشعر بين الحب والاشفاق • وبين طرفي الصراع قبلتُ الاشراف على البحث ، مرحبًا برفيق الطريق الجديد الذي انضم الى القافلة المندفعة فوق الرمال وبين الشُّعاب في كثير من الاحساس بالرضا، مع ادراكه لمشقة الطريق وعناء الرحلة •

ورحتُ أرقب الخطوات الاولى التي راح يخطوها في شيء غير قليل من الحماس والاندفاع ، وانا مقدّر أن هذه الخطوات - لو استقامت له - ستضع قدميه على بداية الطريق الصحيح • وكانت العقبة الاولى التي رحتُ أرقبه وهو يقتحمها مفهوم الفروسية في المجتمع الجاهلي ، وذلك لان هذا المفهوم شابه شيء من الاضطراب والغموض جاءه من تداخل مفاهيم الفروسية في العصور المتأخرة في بيئات غير عربية • وعندما رأته يحدّد هذا المفهوم ، ويجرّده من كل هذه الشوائب الغريبة التي علقَت به ، أيقنت ان الخطى قد استقامت له على الطريق •

والامر الذي لا شك فيه ان الباحث بذل جهدا ضخما في سبيل اخراج بحثه على الصورة العلمية الدقيقة ، وهو جهد يتمثل في هذا الحشد الضخم المتزاحم من نصوص الشعر الجاهلي التي تنتشر في بحثه انتشارا واسعا ، والتي اعتمد عليها في استخلاص نتائجه ، كما يتمثل في هذا العدد العديد من المصادر التي راح يستمد منها مادته العلمية والفنية في شيء كثير من الصبر على البحث ومكابدة مشقاته ، واستطاع بهذا ان يعرض صورة واضحة دقيقة للفروسية الجاهلية ، وان يصفي كثيرا من الشوائب الدخيلة التي علقَت بتمثل بعض الباحثين لها • وفي ظني ان هذين العمليين : العرض والتصفية هما أبرز ما حققه هذا البحث من نتائج •

وبعد ، فاني اهنيء الاستاذ نوري القيسي على بحثه هذا القيم
الخصب ، واقدّر له ما بذله في سبيله من جهد وعناء ، وأشهد بأنه كان
جولة مرهقة في ميدان وعرفسيح ، ولكن صاحبه خرج منه فارساً كما
دخله فارساً .

ومع ترحيبي برفيق القافلة الجديد في هذه الخطوة الاولى في رحلة
الصحراء ، أتمنى له توفيقاً وسداداً فيما يستقبل من خطى أخرى في هذه
الرحلة وفي غيرها من الرحلات ، وان يكون دائماً في كل خطوة يخطوها
فارساً كما كان في هذه الخطوة فارساً .

يوسف خليف

استاذ الادب العربي المساعد

بكلية الآداب

جامعة القاهرة

القاهرة في ٢٢ ذي الحجة ١٣٨٣

٥ مايو ١٩٦٤

المقدمة

(١)

لم تكن فكرة الكتابة عن الشعر الجاهلي فكرة طارئة اقتضتها ظروف معينة ، ولم يكن البحث في الفروسية الجاهلية بحثاً فرضته علي مستلزمات الدراسة ، وانما كانت الاسباب التي دفعتني الى العمل ابعده من هذا التاريخ لانها اسباب تابعة من الواقع الذي رسمته لنفسي منذ فترة بعيدة ، وبدأت اسلك الطريق للوصول اليه ، وكنت اعلم منذ ذلك الوقت بالعوائق الكثيرة التي تشمخ امام الباحث في هذه الفترة لكثرة ما شابها من الغموض والصعوبة والشك ورافقها من الاضطراب والقلق .

لقد برزت صعوبة البحث في الشعر الجاهلي منذ الايام الاولى التي بدأت فيها العمل ، وكانت مصادر البحث اول هذه الصعوبات فمن الحقائق الثابتة في هذا المجال، ان ما وصل اليينا من الشعر الجاهلي لا يتكافأ بأي حال من الاحوال مع كثرة الشعراء الجاهليين ومع الفترة الزمنية التي عاشوها . ومرد ذلك يعود الى ضياع القسم الاكبر من هذا التراث واندثاره .

وحتى المصادر التي وصلت اليينا لم تدرس الفترة الجاهلية على انها فترة ادبية مستقلة لها طابعها المتميز ، ولكنها تدرسها وتتخذ منها جسراً تنتقل عليه الى الفترات التي تعقبها وتعتمد الشعر الجاهلي

نماذج للمقابلة والموازنة والتمثيل والاستشهاد ، وبذلك كانت الصعوبة
بالغة في البحث عن المصادر التي تعين الباحث على الكتابة وتساعد
على تقديم البحث الكامل الدقيق .

اما الصعوبة الثانية التي يلمسها الباحث وتكاد تسد الطريق عليه ،
فهي نظرية الشك في الادب الجاهلي - وان لم تكن مسألة الشك من
المسائل الجديدة في عالم الادب وانما تمتد جذورها الى اصول عميقة
ولكنها لم تصل الى ما وصلت اليه في عصرنا الحاضر - فقد تركت هذه
النظرية اثارا عميقة في نفوس الباحثين وجعلتهم يتهيبون خوض غمار
هذه الفترة او البحث في شعرها .

وصعوبة ثالثة تجابه الباحث في موضوع الفروسية خاصة وتقف
دون تفهمه لمعنى الفروسية الجاهلية ، هي ما رافق هذه اللفظة من
الاضطراب وشابها من التغيير والتحوير ، نتيجة ما اضفى عليها بعض
الباحثين من اوصاف لتأثرهم الى حد ما بالفروسية التي انتشرت في
العصور الوسطى في اوربا وفروسية المماليك ، كما حاول البعض ان
يسبغ كثيرا من الصفات التي وجدت في فروسية المتأخرين على الفروسية
الجاهلية الاصلية التي تعد من مقومات الحياة العربية .

فالفروسية الجاهلية ليست نظاما معيناً يفرض على اتباعه سلوكا
خاصا ، وهي ليست فروسية عسكرية ، يتلقى فيها الفارس دروسا
معينة ويدخل تدريبات مرسومة ليخرج منها فارسا يحمل شهادة تخوله
الانخراط في صفوف هؤلاء الفرسان ، وانما هي مظهر من مظاهر الحياة
نشأ عن عوامل اجتماعية واخلاقية وحرية ، وتطور على وفق اساليب
معينة ، وقد ساعدت على تطور هذا النظام فطرة عربية سليمة وجدت
في قيم المجتمع الجاهلي هدفها الذي تسعى اليه .

وقد حاولت في دراستي هذه ابراز الصورة الحقيقية للفارس
الجاهلي والقيم التي يحافظ عليها ويرعاها ويحميها ويدعو اليها بكل
وسيلة من الوسائل كما تتمثل لنا في قصائد كثير من الشعراء الفرسان ،

كما حاولت اظهار هذه الطبقة من الناس التي رسمت في ادبنا الجاهلي
اروع صور التضحية والاباء ورفعت ادبنا العربي الى اسى درجات
الكمال والنبيل ...

(٢)

يقع البحث في ثلاثة ابواب ، وقد تحدثت في الباب الاول عن
الفروسية في المجتمع الجاهلي وقسمته الى اربعة فصول .

الاول في مادة فروسية وما دارت عليه في كتب اللغة والمعاجم
ووجدت انها تدور حول ثلاثة معان . احدها الحدق بامر الخيل
وركوبها والثاني القتل ودق العنق والثالث النفرس والتثبيت في النظر
وانتهيت الى ان الفراسة والفروسة والفروسية التي هي الحدق بامر
الخييل وركوبها والتثبيت عليها والتعرف على احوالها ، هو المعنى الحسي
الاول للمعاني المتفرعة وان الفرس ودق العنق والقتل هو معنى حسي
مجازي تال للمعنى الاول ، أما الفراسة بالكسر والتي تعني التثبيت
والنفرس والتأمل في الاشياء لادراك بواطنها فهو معنى ذهني تال
ايضا للمعنى الاول .

اما استعمالها الادبي فقد وجدت من استعراضي للنصوص التي
وردت فيها هذه الكلمة انها تمثل جانبيين من جوانب الحياة الجاهلية ،
جانب الحرب وجانب المثل العليا ، وهي في كلتا الحالتين بناء واحد وروح
واحدة ، لان شخصية الفارس ثملي عليه ان يكون انسانا ساما
مثله الى جانب بطولته ، ثم عقدت مقابلة بين الفروسية والفتوة وبينت
فيها اوجه الشبه والاختلاف .

ثم عقدت الفصل الثاني لبحث بواعث الفروسية وقد رأيت انها
ترجع اساسا الى الطبيعة الصحراوية والمرأة والحرب وتمجيد البطولة
وهي بواعث لعبت دورا اساسيا في اثاره حركة الشعر الحربي ، بما
اثارته في نفوس الشعراء ، وما رسمته في اذهانهم من حب واعتزاز

وفخر وانتصار •

اما الفصل الثالث فقد خصصته لعناصر الفروسية المتمثلة في الخيل والسلاح ، وقد تحدثت عن الخيل باعتبارها من أولى معدات الحرب واشدها حاجة وقت الشدة وبما رافق ذلك من ثقة الفارس في فرسه ومحاورته له ، وتطرق الى اهتمام العرب بالخيل ومعرفة شؤونها وأحوالها وأشكالها وادائها والوانها وخلقتها، وما استحب منها وما كره فيها ، ثم تحدثت عن السلاح باعتباره القوة التي يستند اليها الفارس والصيدق الذي يناجيه الشاعر ويعجب به ويهتم بكل جزء من اجزائه ثم عرضت الى انواع الاسلحة التي استعملها الفرسان •

وفي الفصل الرابع تحدثت عن تقاليد الفروسية واصولها وشاراتها وملابسها ، وتطرق الى بعض العادات التي تعارف عليها الفرسان في معاركهم والاصول التي اتفقوا عليها والشعارات التي وضعوها كما تطرقت الى الملابس التي كانوا يرتدونها في المعارك •

اما الباب الثاني فقد بحثت فيه موضوع شعر الفروسية ، وقد تحدثت فيه عن اولية الشعر ، وقد وجدت ان الشعر الجاهلي لم يكن بدائيا - كما تصور البعض - وانما هو ثمرة ناضجة ، وطبيعي ان أتطرق الى نظرية الشك والانتحال التي اثرت حول هذا العصر والتي بولغ فيها مبالغة اثارته الدهشة والاستعراب ولم احاول اثاره المناقشات الطويلة التي دارت حول هذا الموضوع وانما اكتفيت ببعض الاشارات التي اثبت فيها خطأ ما ذهب اليه بعض اصحاب هذه النظرية ، وقد قسمته الى ثلاثة فصول ، عرضت في الفصل الاول لمصادر الشعر الجاهلي التي يمكن الاعتماد عليها في البحث لصدق روايتها وثقة روايتها ، وخلصت الى ان المعلقات والمفضليات والاصمعيات والحماصات وجمهرة اشعار العرب والدواوين الشعرية الموثوقة روايتها ، اضافة الى الكتب الادبية والتاريخية التي تعتبر من مظان كتب اللغة وامهات مصادر الادب ، تعتبر بحق المصادر الاصلية في دراسة الشعر الجاهلي ،

اما الدواوين الشعرية وكتب الادب الاخرى التي تثار حولها الشكوك
فمن اواجب النظر اليها بحیطة وحذر وتحفظ •

اما الفصل الثاني فقد عقدته لموضوعات شعر الفروسية وكان اول
هذه الموضوعات الفخر والحماسة ، الغرضان اللذان امتزجا في تيار
واحد فاستنفدا معظم الشعر الجاهلي وأمدا الشعراء بوقود جزل من
التغني بالبطولات •

اما ثاني هذه الموضوعات فهو الهجاء الذي تبادلته الفرسان وقد
وجدت من استقصاء هذا النوع من الشعر انه لم ينحدر الى المستوى
الذي نجده عند الشعراء المتأخرين ، فهو غفيف بعيد عن الاثارة والاقذاع
وهو بعد ذلك اقرب الى اللوم منه الى الهجاء ••

وأخيرا تحدثت عن الرثاء الذي شغل جانبا عظيما من الشعر
الجاهلي لاتصاله الوثيق بالحماسة ولانه رثاء ندب به الابطال في حومات
القتال وعددت فيه مناقبهم وذكرت بطولاتهم •

اما الباب الثالث فقد تطرقت فيه الى نماذج من شعراء الفروسية •
فكان الفصل الاول مخصصا للحديث عن الحب عند عنترة وتحدثت فيه
عن عنترة الفارس الذي تمثلت فيه قيم الفروسية والبطولة ، ثم عنترة
الانسان الذي تمثلت فيه المروءة الجاهلية بكل ما تنطوي عليه من انسانية،
وعنترة العاشق اخيرا ذلك الذي يمثل بداية الحب العذري الذي ظهر
عند العرب في العصور المتأخرة ، وانتهيت الى ان شعر عنترة يعتبر
النواة المشرقة التي مهدت لظهور هذا النوع من الشعر فيما بعد •

وكان الفصل الثاني حديثا عن جانب الكرم عند حاتم الطائي ،
وقد تحدثت في هذا الفصل عن حاتم فارسا يمثل جوانب الفروسية
وبينت فلسفته في الكرم وقد حاولت ان أرد على بعض من فسروا
الكرم عند حاتم بانه سبيل الى الشهرة والدعاية ، وخلصت الى ان
الكرم عنده طبيعة وفطرة واثبت ذلك بما وجدته ملائما من الشعر
والحديث والرواية •

اما الفصل الثالث فكان عروة بن الورد والاشتراكية . وقد ناقشت في هذا الفصل اشتراكية عروة ، التي أضيفت الى اسمه ، وقد وجدت ان بعض الذين كتبوا عن عروة كانوا متأثرين بالنظريات الاشتراكية الحديثة . ومن هذا التأثير كانت نظرتهم الى عروة . وقد وجدت ان اضافة هذه الصفة على عروة ، يمثل نوعاً من استعمال المصطلحات في غير ما وضعت له واختتمت الفصل بان عروة كان يمثل تيارا انسانيا يشق سبيله بقوة وعزم في خضم الحياة الجاهلية . . .

(٣)

اما اساس المنهج الذي سلكته فكان يعتمد اولا على الدراسة والاستقصاء للشعر الجاهلي الصحيح الذي يعالج الحرب وما يتعلق بها من موضوعات جانبية ، واعتبرت هذا النوع من اقوى ما نظم الشعراء لانه يتصل اتصالا وثيقا بحياتهم التي عاشوها وقيمهم التي سعوا من أجل الحفاظ عليها ، وهو بعد كل هذا السجل الحافل لامجادهم ومفاخرهم ، ولانه الصورة الحقيقية التي تعكس لنا تلك الامجاد والمفاخر . . .

وقد كان اعتمادي في كل هذه الدراسة على طريقة تحليل النصوص واستقراء النماذج المتشابهة واستخلاص النتائج التي اجدها مطابقة للبحث ومتفقة مع المثل التي سعى اليها الفرسان ، مسجلا من خلال ذلك الظواهر البارزة في حياة هذه الطائفة .

ثم مضيت الى هذا الشعر لاستجلي مظاهره ووقائعه ومعانيه ، وكان لزاما علي ان اتطرق الى المصادر التي اعتمدتها في البحث ، محاولا الابتعاد عن كل مصدر يثار حوله الشك وتدار حول قصائده الشبهة فكانت المجاميع الشعرية التي اتفق المؤرخون على صحتها واجمعوا على كونها اوثق المجاميع دقة ورواية هي اساس بحثي هذا .

(٤)

وقد حاولت في دراستي هذه ان أحدد الزمن الذي اخترته لهذا الموضوع فكان بداية العصر الادبي الذي عرف الشعر الجاهلي ، او الذي امتدت معرفتنا به مضافا الى ذلك فترة ظهور الاسلام ، لان التقاليد الجاهلية كانت لا تزال باقية على حالها حتى هذا العصر وخاصة فيما يتعلق بأساليب القتال وتمجيد البطولة واستعمال السلاح والاهتمام بالخيال والحفاظ على التقاليد والابتعاد عن اقتراف ما تم الحرب •

وبعد ، فهذا ما تمكنت من تحقيقه في دراستي ، كما رأيت متشلا في جوانب الحياة التي عالجتها ، والبحث هو بداية دراستي للعصر الجاهلي ، ولا انكر ما في هذه الدراسة من نواقص ، ادعو الله العلي القدير أن اتبعها بدراسات تكملها وتسد النقص الذي وقع فيها • ، وحسبي أن اكون قد اخلصت فيه وسعيت بكل ما استطيع الى كماله وهذا ما يخفف عني عناء البحث ومشقة العمل وصعوبة المسلك •

ولا يسعني في الختام الا ان اقدم جزيل شكري الى اساتذتي الافاضل الذين أسهموا في بناء هذا البحث بما ابدوه من ملاحظات ثمينة وتوجيهات سديدة ، خاصا بالذكر منهم استاذي الجليل الدكتور يوسف خليف الذي لم يأل جهدا في رعايتي والاختذ بيدي وتوجيهي ، وعضوي لجنة المناقشة الفاضلين الدكتور شوقي ضيف والدكتور عبد الحميد يونس اللذين تحشما قراءة رسالتي وتفضلا بالحضور لمناقشتي فيها ، وكذلك الاخوة الاستاذ الفاضل احمد ناجي القيسي والدكتور احمد مطلوب والاستاذ سامي مكّي العاني لمعاوتهم لي خلال بحثي بما اشاروا به علي من ملاحظات •• ولا يفوتني في الختام الا ان اقدم الشكر الوافر لموظفي مكتبة الدراسات الاسلامية في بغداد كافة الذين كانوا لي خير عون في تقديم ما احتاج اليه من المراجع والمصادر جزاهم الله جميعا عني خيرا ، انه الموفق وانه نعم المولى ونعم النصير •

نوري حمودي القيسي

القاهرة في { ٨ رمضان ١٣٨٣
٢٢ كانون الثاني ١٩٦٤

الفصل الأول

التعريف بالفروسية

في المعاني وكتب اللغة

الباب الأول

في الصحاح (١)

الفروسية

فروس الأسد فرس فرسا فرسا و الفرساء أي على عظامه
وأصل الفرس في الصحاح من الفرس في الصحاح
كقوله عن الفرس في الصحاح
قال ابن السكيت : فرس الذئب الشاة فرسا ، والفرس الراس
أي فرس الذئب شاة من فسه ، قال : والفرس الرجل الأسد صانعه
إذا تركه ليقتربه وينجو هو ، وأبو فراس كنية الأسد .

وفي لسان العرب (٢)

فروس الذبيحة فرسا فرسا قطع لهاها وفرسا فرسا فصل عظامها
وقال للرجل إذا ذبح فضع قد فرس وقصد كره الفرس في الذبيحة
والفرس أن تدق الرقبة قول أن تدبغ الشاة وفرس الشاة فرسا وقصد
وكسره والأصل في الفرس في الفرس ثم كثر حتى جعل كثر فرسا

(١) مادة (فرس) من ١٥٤

(٢) مادة (فرس) الجزء الثامن من ٤٠

رأيتك يا ربنا

متيسر لنا

الفصل الأول

التعريف بالفروسية

في المعاجم وكتب اللغة

في الصحاح (١)

فرس الاسد فريسته يفرسها فرسا ، وافترسها ، أي دق عنقها ،
واصل الفرّس هذا ، ثم كثر واستعمل حتى صير كل قتل فرسا • وقد
نهي عن الفرّس في الذبيح وكسر عظم الرقبة قبل أن تبرد •
قال ابن السكيت : فرس الذئب الشاة فرسا ، وافرس الراعي ،
أي فرس الذئب شاة من غنمه • قال : وافرس الرجل الاسد حماره ،
إذا تركه ليفترسه وينجو هو • وابو فراس كنية الاسد •

وفي لسان العرب (٢)

فرس الذبيحة يفرسها فرسا قطع نخاعها وفرسها فرسا فصل عنقها
ويقال للرجل إذا ذبح فنخع قد فرس وقد كره الفرّس في الذبيحة ،
والفرّس أن تدق الرقبة قبل أن تذبح الشاة وفرس الشيء فرسا دقه
وكسره والاصل في الفرّس دق العنق ثم كثر حتى جعل كل قتل فرسا •

(١) مادة (فرس) ص ٩٥٤ .

(٢) مادة (فرس) الجزء الثامن ص ٤٠ .

وفي المحيط (٣)

الفراس الاسد وفرس فريسته يفرسها دق عنقها وكل قتل فرس
والفريس القتيل •

وفي تاج العروس (٤)

الفرس واحد الخيل سمي به لدقه الارض بحوافره واصل الفرس
الدق كما قال الزمخشري و اشار له ابن فارس •
والفراس الاسد كل ذلك مأخوذ من الفرس وهو دق العنق
والفراس للمبالغة ويوصف به فيقال اسد فراس كثير الافتراس وفرس
فريسته يفرسها دق عنقها وقال ابو عبيد الفرس : الكسر وكل قتل فرس
والاصل فيه دق العنق وكسرهما وقد فرس الذئب الشاة فرسا اخذها فدق
عنقها والفريس كأمر القتيل يقال ثور فريس وبقرة فريس جمعها
فرسى كقتلى •

وابو فراس كنية الاسد وكذلك ابو فراس وافترسه الذئب
اصطاده وقيل قتله ومنه فريسة الاسد وفرس الذبيحة فرسا قطع
نخاعها او فصل عنقها وافترس السبع الشئ وفرسه اخذه فدق عنقه •
هذا هو الاصل الاول لكلمة الفروسية وقد وردت لها مفاهيم
اخرى نستطيع ان نلمسها من خلال المعاني والاشتقاقات الموجودة في
المعاجم فقد جاء في الصحاح (٥)

الفرس يقع على الذكر والاثني ، ولا يقال للاثني فرسة •
وتصغير الفرس فريس وان اردت الاثني خاصة لم تقل الا فريسه بالهاء،
عن ابي بكر بن السراج والجمع افراس ،
وراكبه فارس ، وهو مثل لابن وتامر ، اي صاحب فرس ويجمع

(٣) مادة (فرس) الجزء الثاني ص ٢٣٦ •

(٤) مادة (فرس) الجزء الرابع ص ٢١٥ •

(٥) مادة (فرس) ص ٩٥٤ •

على فوارس وهو شاذ لا يقاس عليه لان فواعل انما هو جمع فاعلة
مثل ضاربة وضوارب او جمع فاعل اذا كان صفة للمؤنث مثل حائض
وحوائض • اما مذكر ما يعقل فلم يجمع عليه الا فوارس وهوالك
ونواكس ، فاما فوارس فلأنه شيء لا يكون في المؤنث فلم يخفَ فيه
اللبس ، واما هوالك فانما جاء في المثل ، يقال « هالك في الهالك »
فجرى على الاصل لانه قد يجيء في الامثال ما لا يجيء في غيرها واما
نواكس فقد جاء في ضرورة الشعر قال ابن السكيت : اذا كان الرجل
على حافر بردونا كان او فرسا او بغلا او حمارا ، قلت مر بنا
فارس على بغل ، ومر بنا فارس على حمار ، قال الشاعر :

واني امرؤ للخيل عندي مزية على فارس البرذون او فارس البغل

وقال عمار بن عقيل بن بلال بن جرير لا أقول لصاحب البغل :
فارس ولكني أقول بغال ولا أقول لصاحب الحمار : فارس ولكني
أقول : حمار •

والفراسة بالفتح : مصدر قولك رجل فارس على الخيل بين
الفراسة والفروسية • وقد فرّس بالضم يفرّس فروسة وفراسة
أي حذق أمر الخيل •

وفي لسان العرب (٦)

الفرّس واحد الخيل والجمع افراس الذكر والائثى في ذلك سواء
ولا يقال للائثى فيه فرسة قال ابن سيده واصله التأنيث فلذلك قال
سيبويه وتقول ثلاثة افراس اذا اردت المذكر الزمونه التأنيث وصار في
كلامهم للمؤنث اكثر منه للمذكر حتى صار بمنزلة القدم قال وتصغيرها
فريس نادر وحكى ابن جنى فرسه • الصحاح وان اردت تصغير الفرس
الائثى خاصة لم تقل الا فريسه بالهاء عن ابي بكر بن السراج والجمع

(٦) مادة (فرس) الجزء الثامن ص ٣٨ •

افراس وراكبه فارس مثل لابن وتامر ••

والفارس صاحب الفرس على ارادة النسب والجمع فرسان وفوارس وهو احد ما شذ من هذا النوع فجاء في المذكر على فواعل •

والفراسة بالفتح مصدر قولك رجل فارس على الخيل الاصمعي يقال فارس بين الفروسة والفراسة والفروسية •

وقد فرّسَ فلان بالضم يقرّس فروسة وفراسة اذ حذق أمر الخيل قال وهو يتفرس اذا كان يرى الناس انه فارس على الخيل •

يقال رجل فارس بين الفروسة والفراسة في الخيل وهو الثبات عليها والحذق بامرها والفراسة بالفتح العلم بركوب الخيل وركضها من الفروسية قال والفارس الحاذق بما يمارس من الاشياء كلها وبها سمي الرجل فارسا •

ابن الاعرابي فارس في الناس بين الفراسة والفراسة وعلى الدابة بين الفروسية والفروسة لغة فيه •

وفي المحيط (٧)

والفراسة بالكسر اسم من التفرس وبالفتح الحذق بركوب الخيل وامرها كالفروسة والفروسية •

وفي تاج العروس (٨)

الفرس واحد الخيل وراكبه فارس اي صاحب فرس على ارادة النسب كلابن وتامر قال ابن السكيت اذا كان الرجل على حافر برذونا كان او فرسا او بغلا او حمارا قلت مر بنا فارس على بغل ومر بنا فارس على حمار قال الشاعر ••

واني امرؤ للخيل عندي مزية على فارس البرذون او فارس البغل

(٧) مادة (فرس) الجزء الثاني ص ٢٣٦ •

(٨) مادة (فرس) الجزء الرابع ص ٢١٥ •

وجمعها فرسان وفوارس وهو احد ما شذ في هذا النوع ••
والفراسة بالفتح الحذق بركوب الخيل وامرها وركضها والثبات
عليها وقال الاصمعي يقال فارس بين الفروسة والفراسة والفروسية
وقال ابن الاعرابي والفراسة على الدابة بين الفروسية وقال ابن القطاع
وفرس الخيل فروسة وفروسية احكم ركوبها •

وفي المخصص (٩)

الفرس واحد الخيل والجمع افراس الذكر في ذلك والاثني سواء
واصله التأنيث وتصغيره بهاء وغير هاء • وحكى ابن جنى فرسه فان كان
كذلك فانما ذهبوا الى التوثق من التأنيث ، ابن السكيت : الفارس
صاحب الفرس على ارادة النسب والجمع فرسان وفوارس وهو احد
ما شذ من هذا الضرب والمصدر الفراسة والفروسة •

وقد جاءت الكلمة على معان اخرى غير المعاني المتقدمة فقد جاء
في الصحاح (١٠) • والفراسة بالكسر : الاسم من قولك تفرست فيه
خيرا وهو يتفرس ، اي يتثبت وينظر • تقول منه : رجل فارس النظر
وفي الحديث اتقوا فراسة المؤمن •

وجاء في لسان العرب (١١)

والفراسة بالكسر الاسم من قولك تفرست فيه خيرا وتفرس فيه
الشيء توسمه والاسم الفراسة بالكسر وفي الحديث اتقوا فراسة
المؤمن قال ابن الاثير يقال بمعنيين احدهما ما دل ظاهر الحديث عليه
وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب اوليائه فيعلمون احوال بعض الناس
بنوع من الكرامات واصابة الظن والحدس والثاني نوع يتعلم بالدلائل
والتجارب والخلق والاخلاق فتعرف به احوال الناس وللناس فيه

(٩) المخصص السفر السادس ١٣٥ •

(١٠) مادة (فرس) ص ٩٥٥ •

(١١) مادة (فرس) الجزء الثامن ص ٤٠ •

تصانيف كثيرة قديمة وحديثة واستعمل الزجاج منه افعال فقال افرس
الناس اي اجودهم واصدقهم فراسة •••
وهو يتفرس اي يتثبت وينظر تقول منه رجل فارس النظر • واذا
فارسا بعينه ونظره فهو بين الفراسة بكسر الفاء ويقال ان فلانا لفارس
بذلك الامر اذا كان عالما به ••

وجاء في المحيط (١٢)

والفراسة بالكسر اسم من التفرس وتفرس تثبت ونظر وارى
الناس أنه فارس •

وفي تاج العروس (١٣)

والفراسة بالكسر اسم من التفرس وهو التوسم يقال تفرس فيه
الشيء اذا توسمه وقال ابن القطاع الفراسة بالعين ادراك الباطن وبه
فسر الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله • وقال الاصمعي
واذا كان فارسا بعينه ونظره فهو بين الفراسة بالكسر وقال ابن الاعرابي
فارس في الناس بين الفراسة •

وتفرس الرجل اذا تثبت وتأمل للشيء ونظر تقول منه رجل فارس
النظر اذا كان عالما به ويقال انا افرس منك اي ابصر وأعرف •

وقال الزجاج افرس الناس فلان اي اجودهم واصدقهم فراسة •
هذه هي أهم المعاني التي وردت للفظه فرس ومشتقاتها في المعاجم
وتستطيع تلخيصها فيما يأتي :

١- الفراسة والفروسة والفروسية وهي الحدق بأمر الخيـل
وركوبها والثبات عليها والتعرف على احوالها وهي المعنى الحسي الاول
للمعاني المتفرعة •

(١٢) مادة (فرس) الجزء الثاني ص ٢٣٦

(١٣) مادة (فرس) الجزء الرابع ص ٣٠٧

٢- الفرس : دق العنق والقتل وهذا معنى حسي مجازي تالٍ
للمعنى الاول .
٣- الفراسة بالكسر وهي التنفرس والتثبت في النظر والتأمل في
الاشياء لادراك بواطنها وهذا معنى ذهني تالٍ ايضا للمعنى الاول .
ويؤيدنا في هذا ابن فارس حيث يرى أن الفاء والراء والسين
أُصيل يدل على وطء الشيء ودقه . يقولون : فرس عنقه ، اذا دقها
ويكون ذلك من دق العنق من الذبيحة . ثم صير كل قتل فرسا ، يقال
فرس الاسد فريسته وأبو فراس : الاسد ، ويمكن ان يكون الفرس
من هذا القياس لركله الارض بقوائمه ووطئه اياها ثم سمى راكبه
فارسا . يقولون هو حسن الفروسية والفراسة ومن الباب : التنفرس في
الشيء ، كاصابة النظر فيه وقياسه صحيح^(١٤) .



معنى الفروسية في النصوص الجاهلية :

لقد حفل الشعر الجاهلي بالحديث عن الفروسية لانها كانت
الطابع المميز للحياة الجاهلية والسمة الغالبة على طبائع العرب ولأنها
مجموعة المثل الرفيعة والبطولات الحربية التي تردت على ألسنة
الشعراء الفرسان وتجاوبت أصداؤها في أطراف الصحراء الواسعة
وامتدت معانيها امتداد الرمال ، فكانت اسلوب الحياة لمختلف الناس
دون تمييز ، يعبرون عنها بما يتناسب ومفهومها عندهم .

والفروسية مظهر من مظاهر الحياة نشأ نتيجة عوامل اجتماعية
واخلاقية وحربية معينة وتطور وفق أساليب حيوية شاملة ، وقد ساعدت
على تطوره فطرة عربية سليمة وجدت في المثل السامية قيمها الحقيقية
وهدفها الذي تسعى اليه .

(١٤) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ٤/٤٨٥

ولم يكن هذا المظهر الا حصيلة الطبيعة الصحراوية الواسعة التي
أكسبت العربي القوة والصبر والشجاعة والكرم والمروءة وكل المثل
التي يحاولها الفرد في حياته . وقد تميزت هذه الظاهرة بميزات واضحة
وأصبحت لها تقاليد معروفة حمل لواءها اولئك الفرسان الاماجد الذين
تألفت اسمائهم في عالم الانسانية كأروع أمثلة للتضحية والكرم
والبطولة .

فالفارس الجاهلي يتغنى بالحرب ويترنم بنشيدتها فتنتطلق اساريه
حلوة باسمه لتلتقي على متاهات الرحاب فاذا اشتدت الخطوب وتعاطمت
الامور وعلا غبار المعركة وتنادت الخيل وأسرعت الى بعضها البعض تجد
فرسانا كراما لا تمل الحروب ولا تعدل عنها ، وسوف يظهر من بلائهم
ما يستدل به على حسن صبرهم وثباتهم في جلادهم يستجيبون لصراخ
المستنجد تعجلا لغوثه ويلبون النداء دفاعا عن صاحبه ، وفي ذلك
يقول الافوه الاودي (١٥) :

وإذا الامور تعاطمت وتشابهت فهناك يعترفون أين المفزع ؟
وإذا عجاج الموت ثار وهللت فيه الجياد الى الجياد تسرع
بالدارعين كأنها عصب القطا الاسراب تسعج في العجاج وتمزع
كنا فوارسها الذين اذا دعا داعي الصياح به اليه تفزع
كنا فوارس نجدة لكنها رتب فبعض فوق بعض يشفع

والنابغة الذبياني يخاطب عامر بن الظفيل فيرسم له صورة الفارس
الجلد الصبور الحاذق بركوب الخيل العارف بامورها ، يستوي على
السرجه ويثبت في المعركة ويقتحم سعيها وهو يتأجج قوة ويفيض
حماسة ، فيقول (١٦) :

(١٥) ديوان الافوه الاودي ص ١٩ . في مجموعة الطرائف الادبية . تحقيق

عبد العزيز اليميني .

(١٦) الأعلام : مختار الشعر الجاهلي ١٩٣/١

فان تكن الفوارس يوم حسى أصابوا من لقائك ما أصابوا (١٧)
فوارس من منولة غير ميل ومرة فوق جمعهم العقاب (١٨)

وقيس بن الخطيم يفخر بانتصاره في موضع الردم وتركه الخصوم
وهم بين قتلى ومشردين بعد أن أتاهم وقت الصباح بفرسان كرمت
أخبارهم وحسن بلاؤهم ، يحمون الذمار فيقول (١٩) :

فانا تركناكم لدى الردم غدوة فريقين مقتولا به ومطردا (٢٠)
صبحناكم منابه كل فارس كريم النثا يحمي الذمار ليحمدا (٢١)

وعنتره فارس بني عيس تتمثل في شخصه بطولة الفارس الحرية
وترتفع في نفسه العفة والكرامة ، فالجوع المميت والمستديم ليل نهار
يطويه الفارس ويقنع به حتى ينال المأكل الكريم الخالي من العيوب
والمثالب ، وهو المقدم في أهوال الحرب ، مقتحما مصائبها في الوقت
الذي يحجم بقية الفرسان ويزور الجبان المدعور لشدتها وهولها ، ثم
ترمق عيون الأبطال باجلال الفارس الحامي ليشد الجموع ويلم
الفرسان ، وهناك يقف الصامد ويثبت الشجاع فيستمد من نسب أمه
الذي يطعن به القوة والجلد والاندفاع لاثبات علو نسبه وأصاله
فروسيته . وهو كما يعلمه الفرسان تعلمه الخيول لانه أذاق فرسانها
المرارة والبطش فتميزت علاماته ووضحت شخصيته لانه في مقدم
الرعيلى وعلى رأس الكتيبة لا يعرف التواكل ولا الهزيمة وانما هو

(١٧) يوم حسى : كان لبني بفيض بن ذبيان على عامر بن الطفيل : قتل
فيه أخوه حنظلة بن الطفيل .

(١٨) منولة : اسم ام حي من العرب ومرة هو ابن عوف بن سعد بن
ذبيان وميل جميع أميل ، وهو الذي لا يستوي على السرج أو الجبان
أو الذي لا رمح له أو الذي لا ترس له ، والعقاب : الراية .

(١٩) الأعلم : مختار الشعر الجاهلي ٥٩٠/٢

(٢٠) الردم : موضع . مطرد : مشرد .

(٢١) صبحناكم : أتيناكم في وقت الصباح . النثا : السمعة وما أخبرت
به عن الرجل من حسن أو سيء - الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته .

الذي يحمي القوم ويدفع عنهم الذل والهوان (٢٢) :

- ولقد آيت على الطوى وأظلكه حتى أنال به كريم المأك (٢٣)
وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفت خيرا من معمم مخول (٢٤)
والخيل تعلم والقوارس أنني فرقت جمعهم بطعنة فيصل (٢٥)
اذ لا أبادر في المضيق فوارسي ولا أوكل بالرغيل الاول (٢٦)
ولقد غدوت أمام راية غالب يوم الهياج وما غدوت بأعزل (٢٧)

والحصين بن الحثام المري الذي يعد من اوفياء العرب
وفرسانهم يظفر بخصومه فيهزمهم ويقتل منهم فيكثر فتعلوه نشوة
النصر فينطلق مفتخرا بظفره وشجاعته واستهاتته بالموت ويصر على
هجاء خصومه ويذكرهم بفارسهم الذي قتله امعانا في التحريض والهبا
لتأجيج جذوة الحقد ، فيقول (٢٨) :

فلمت بمتاع الحياة بسبة ولا متبغ من رهبة الموت سئما (٢٩)

-
- (٢٢) الأعلم أ مختار الشعر الجاهلي ٣٨٨/١
(٢٣) الطوى : خمص البطن . قال الاصمعي : آيت بالليل على الطوى
واظل النهار كذلك . حتى أنال به كريم المأك : أي ما لا عيب
فيه علي .
(٢٤) الكتيبة : الجماعة اذا اجتمعت ، واحجمت : جينت وضعفت .
تلاحظت : نظر الابطال بلحاظ عيونهم الى البطل الحامي الذمار
ومعم مخول : بصيقتي اسم الفاعل والمفعول كريم الاعمام والاحوال .
(٢٥) الفيصل : الفاصل بين القوم المفرق لجمعهم .
(٢٦) كذا بديوان عنتره بطبعاته المختلفة . والبيت بهذا الشكل غير
مستقيم الوزن . لا أبادر فوارسي : أي لا أكون أول منهزم ، فلا
أسبق الفرسان ، ولكن أكون وراءهم أحمي عورتهم ، والرغيل :
الجماعة من الخيل والناس وغيرهم .
(٢٧) غالب : حامل رايته . الأعزل : هو الذي لا سلاح معه .
(٢٨) الفضل : المفضليات ٦٧/١ طبع دار المعارف .
(٢٩) يقول لا اشترى الحياة بما أسب عليه ولا اطلب النجاة من الموت .
فلا مهرب منه فمن علم انه ميت لا محالة لم يحتمل المذلة .

ولكن خذوني أي يوم قدرتم علي فجزوا الرأس أن أتكلما (٣٠)
 بآية أني قد فجعت بفارس اذا عرد الاقوام اقدم معلما (٣١)
 وهذا الاعشى الكبير يفتخر بقومه بعد انتصارهم على بني سيار
 رعاية لحماهم ودفاعا عن عرضهم الذي استبيح وانتصارا لقطيمة التي
 أهانها بنو سيار وحلقوا لها شعر رأسها وهذا ما جعل القبيلة تجد في هذا
 العمل تحديا لابائها وذلا لعزها ومجدها فهبت تدفع عنها الضيم
 والاذلال (٣٢) :

كلا زعتمت بانا لا تقاتلكم انا لامثالكم يا قومنا قتل
 نحن الفوارس يوم العين ضاحية جنبي (قطيمة) لا ميل ولا عزل (٣٣)
 قالوا الركوب قتلنا تلك عادتنا أو تنزلون فانا معشر نزل (٣٤)

من هذه النصوص نستطيع أن ندرك المفهوم المتداول لمعنى
 الفروسية في العصر الجاهلي كما صورته لنا تلك النصوص ، فهي
 البطولة في الحرب والبلاء في المعركة والعفة عند توزيع الغنائم واطعام
 الضيف وحماية الحقيقة والذود عن المرأة وتبليغ دعوة المستغيث
 واستجابة لصرخة المنادي ، الى غير ذلك مما تستوجبه النخوة ويتطلبه
 الشعور الانساني .

وهكذا كانت الفروسية تمثل لنا جانين من جوانب الحياة
 الجاهلية جانب الحرب وجانب المثل العليا لانهما بناء واحد وروح واحدة

(٣٠) فمتى وجدتموني فخذوني وحزوا رأسي حتى لا اتكلم ، والمعنى
 اني اقول فيكم واهجوكم واذمكم ما حييت .

(٣١) الآية : العلامة . فجعت : فجعتكم بقتل فارس منكم . عرد :
 هرب . المعلم الذي يجعل لنفسه علامة في الحرب يعرف بها .

(٣٢) الأعلم : مختار الشعر الجاهلي ١٠٧/٢

(٣٣) ضاحية : ظاهرة . ميل : واحدها اميل وهو الذي يميل على

السرجه ولا يثبت في الحرب .
 (٣٤) ان قاتلتم بالرماح وانتم راكبين فتلك عادتنا وان نزلتم تجالدون
 بالسيوف نزلنا .

وان ظهرت بمظهرين متلازمين وشكلين مترابطين ، فشخصية الفارس
البطل تملي عليه ان يكون انسانا ساميا في مثله الى جانب بطولته •
والحياة الجاهلية بطولة متصلة وحماسة متشابكة يكمل الجزء منها
بقية الاجزاء وتجتمع الاسس ليقوم عليها البناء الشامخ الذي احتضن
الفروسية بكل مفاهيمها ومعانيها •

الفروسية والفتوة :

لا بد لنا ونحن نتحدث عن معنى الفروسية أن نتطرق الى الفتوة
في العصر الجاهلي لتقارب مفهومها من مفهوم الفروسية في هذا العصر
ونشير الى الدلالات التي استعملت فيها مستعينين بالنصوص الاديبة
لاستخلاص المعاني التي مرت بها هذه الكلمة والاوضاع المختلفة التي
وردت عليها ••• وتدور هذه المادة في اللغة حول معنيين اساسيين •
الشباب من ناحية والكرم من ناحية اخرى • وكأنهم - كما يلاحظ
الاستاذ احمد امين - لما لاحظوا في الفتوة الشباب والقوة لاحظوا ان
القوة أكثر ما تستمد في وسطهم من الكرم والحرية (٣٥) •

فقد جاء في الصحاح (٣٦)

الفتى : الشاب • والفتاة : الشابة ، وقد فُتِيَ بالكسر يفتي فتى
فهو فتى السن بين الفتيان •

وجاء في اللسان (٣٧)

الفتيان ، الشباب والفتى والفتية الشاب والشابة والفعل فُتِيَ
يفتو فتاء ويقال افعال ذلك في فتائه وقد فتى بالكسر يفتي فتى فهو فتى
السن بين الفتيان •

(٣٥) احمد امين : الصلعة والفتوة في الاسلام ص ١١

(٣٦) مادة (فتى) الجزء السادس ص ٢٤٥١

(٣٧) مادة (فتا) الجزء العشرون ص ٣

وفي المحيط (٣٨)

الفتاء كسماء الشباب والفتى الشاب •
هذا ما ورد من معاني المادة التي تدل على الشباب والفتوة
والنشاط والحيوية والشجاعة ، اما ما ورد منها في المعنى الثاني المتضمن
معنى الكرم والسخاء فقد جاء في الصحاح (٣٩) :

الفتى : السخي الكريم • يقال : هو فتى بين الفتوة وقد تفتى
وتفتى ، والجمع فتيان وفتية •

وجاء في لسان العرب (٤٠)

والفتى : السخي الكريم ، يقال هو فتى بين الفتوة وقد تفتى
وتفتى والجمع فتيان وفتية وفتو على فعول وفتي •

وجاء في المحيط (٤١)

الفتى ، الشاب والسخي الكريم وهما فتيان وفتوان •• والفتوة
الكرم وقد تفتى وتفتى وفتوتهم غلبتهم فيها •

وجاء في أساس البلاغة (٤٢)

هذا فتى بين الفتوة هي الحرية والكرم وتقول العرب فتى من
صفته كيت وكيت من غير تمييز •

أما الحقيقة التي تطالعنا ونحن نستقريء النصوص الجاهلية
فهي اننا نجد للفتوة مدلولات كثيرة ومعاني متباينة وان كانت
هذه المدلولات والمعاني تتقارب في أغلب الاحيان من المعنى الاصلي
لهذه اللفظة •

(٣٨) مادة (الفتاء) الجزء الرابع ص ٣٧٣

(٣٩) مادة (فتى) ص ٢٤٥٢

(٤٠) مادة (فتنا) الجزء العشرون ص ٣

(٤١) مادة (الفتاء) الجزء الرابع ص ٣٧٣

(٤٢) الجزء الثاني ص ١٨٤

فقد استعملت في معنى الشجاعة والوفاء بالوعد والبر بالعهد والصبر على الشدائد ودفع الملمات وتحمل الاعباء وكثير من الصفات المحمودة ، وهذا الاستعمال كان غالبا على كل الاستعمالات الاخرى .
قال امرؤ القيس حين توجه الى قيصر (٤٣) :

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ذمول اذا صامَ النهار وهجرًا (٤٤)
عليها فتى لم تحمل الارض مثله أبرِّ بميثاق وأوفى واصبرا (٤٥)
وقال طرفة بن العبد (٤٦) :

ويوم حبست النفس عند عراكه حفاظا على عوراته والتهدد (٤٧)
على موطن يخشى الفتى عنده الردى متى تعترك فيه الفرائض ترعد (٤٨)
وقال يصف لهوه وتنقله (٤٩) :

حين نادى الحي لما فزعوا ودعا الداعي وقد ليج الذئعر (٥٠)

- (٤٣) ديوان امرؤ القيس ص ٦٣ و ٦٥ ، طبع دار المعارف .
(٤٤) فدع ذا من أساليب العرب في الانتقال من غرض الى غرض في القصيدة وقد يجيء ابتداء . والجسرة : الناقة القوية الشيطنة .
الذمول التي تسير الذميل وهو سير سريع . صام النهار : قام واعتدل قائم الظهرية ويقال هجر القوم واهجروا وتهجروا : ساروا في الهاجرة وهي اشتداد الحر . يقول دع ما أنت فيه من الشعر واذهب عنك الهم بركوب هذه الناقة القوية السريعة عند اشتداد الحر حين يفتر فيها سواها من الابل فبمثلها تبلغ المراد .
(٤٥) فتى : يعني نفسه ، والميثاق : العهد . يقول ان هذه الناقة تحمل فتى يبر بعهده اذا عهد ويفي اذا وعد ويصبر على الشدة .
(٤٦) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٣٢٢/١
(٤٧) يقول ورب يوم حبست نفسي على القتال والفزعات وتهدد الاقران محافظة وأنفة من قبح الاحدوثة .
(٤٨) الفريضة : عضلة من الجنب الى الكتف ترعد عند الفزع ، يقول حبست نفسي في موضع من الحرب يخشى الشجاع فيها الهلاك .
ومتى تعترك الفرائض فيه ارعدت من فرط الفزع وهول المقام .
(٤٩) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٣٣١/١
(٥٠) ليج الذئعر : اشتد الفزع .

أيها انفتيان في مجلسنا جردوا منها وإرادا وشقرا (٥١)

وقال يذكر يوم فضه (٥٢)

أجدر الناس برأس صلدم حازم الامر شجاع في الرغم (٥٣)

كامل يحمل آلاء الفتى نبيه سيد سادات خضم (٥٤)

خير حي من معد علموا لكفي ولجاروا بن عم (٥٥)

وقال في معلقته (٥٦) :

إذا انقوم قالوا من فتى خلت أني عنيت فلم أكسل ولم أتبلد (٥٧)

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يستترقد القوم أرفد

وقال لييد (٥٨) :

وفتية كليوث الغاب من أسد ما للندی عنهم نرح ولا شحط (٥٩)

(٥١) جردوا: ألقوا عنها جلالها وأسرجوها للقاء . أو الجريدة من الخيل

التي تختار وتجرد أي تكمش في مهم الامور والوراد جمع الورد

وهو بين الكميث والاشقر من الخيل وشقر بضمين جمع اشقر

حركت العين للضرورة . واشقر: الاحمر حمرة صافية يحمر فيها

العرف والذنب ، فان اسود فهو الكميث .

(٥٢) قال الأعلم وهو يوم التحالق وقضه جبل اقتتلوا قريبا منه وكان

الحارث بن عباد أمرهم بحلق رؤوسهم وكان هذا اليوم لبكر على

تغلب وإنما أمرهم بذلك ليكون علما يعرف به بعضهم بعضا .

(٥٣) رأس: رئيس . وصلدم: شديد . الرغم: الحرب يقول هو الحي

الذي يقوم بنفسه ولا يحتاج في معونة الى غيره .

(٥٤) كامل: كامل الاداة والشجاعة والآلاء: النعم وقيل الحالات . والنبيه

الشريف المرتفع الذكر يعني الحارث بن عباد وخضم: سيد

حمول معطاء .

(٥٥) الكفي والكفيء: المائل في النسب .

(٥٦) الأعلم: مختار الشعر الجاهلي ٣١٥/١

(٥٧) يقول إذا القوم قالوا: من فتى يكفى مهما أو يدفع شرا تيقنت

أنني المراد بقولهم فلم أكسل ولم أتوان عن اجابتهم .

(٥٨) الأعلم: مختار الشعر الجاهلي ٥٧/٢

(٥٩) نرح: بعد . شحط: بعد .

بيض بها ليل ينفي الجهل حلمهم وتفزع الارض منهم انهم سخطوا (٦٠)
اذا تخمط جبار ثنوه الى ما يشتهون ولا يشون ان خمطوا (٦١)
وقال الاعشى الكبير (٦٢) :

أفي فتية يبيض الوجوه اذا لقوا قبيلك يوما أبلغوه المخنقًا (٦٣)
اذا اعتفرت اقدمهم عند معرك ثتن به يوما فان كان مزلقا (٦٤)
وقال الاعشى ايضا (٦٥) :

لما رأيت زمانًا كالحا شيبًا قد صار فيه رؤوس الناس اذا نابا (٦٦)
يمت خير فتى في الناس كلهم الشاهدين به أعنى ومن غابا (٦٧)
وقال يمدح هوزة بن علي الحنفي (٦٨) :

فتى لو ينادي الشمس ألت قناعها او القمر الساري لألقى المقالدا (٦٩)
ويصبح كالسيف الثقيل اذا غدا على ظهر انماط له ووسائد (٧٠)
وقال في مدح هوزة أيضا (٧١) :

-
- (٦٠) بهليل جمع بهلول وهو السيد الجامع لكل خير .
(٦١) خمط الرجل : غضب وتكبر ومثلها تخمط والتخمط : القلبة والقهر .
(٦٢) الأعلم : مختار الشعر الجاهلي ٣٠٦/٢ .
(٦٣) يبيض الوجوه : كرام . القبيل : الجماعة من الثلاثة فأكثر . المخنق : موضع الخنق من الرقبة .
(٦٤) اعتفرت : غطاها الغبار اي التراب . المزلق : الموضع الذي تزل فيه القدم وتسقط وهذا كناية عن الشدة .
(٦٥) الأعلم : مختار الشعر الجاهلي ٣٢٢/٢ .
(٦٦) كالحا : عابسا . الشيب : البردان الجائع .
(٦٧) يمت : قصدت .
(٦٨) الأعلم : مختار الشعر الجاهلي ١٠٩/٢ .
(٦٩) ألت قناعها : كشفت وجهها وأسفرت . لالقي المقالدا لاطاع وانقاد . والمقالدا : جمع مقلد وهو المفتاح .
(٧٠) الصقيل : اللامع الجلو . انماط : جمع نمط وهو نوع من الإبسطة .
(٧١) الأعلم : مختار الشعر الجاهلي ١٢٩/٢ .

ولم يسع في الاقوام سعيك واحد وليس أناء للندی كأنائك
سمعتُ بسمع الباع والجود والندی فادليت دلوي فاستقت برشائك (٧٢)
فتى يحمل الاعباء لو كان غيره من الناس لم ينهض بها متماسكا
وقال لييد (٧٣) :

وإذا الاسنة أشرعت لنحورهاها ابدین جد نواجذ الانياب (٧٤)
يحملن فتیان الوغی من جعفر شعثا كأنهم أسود الغاب (٧٥)
الى جانب هذا المعنى استعملت في معان أخرى ، منها المروءة ،
بكل ما تضسه من نجدة وكرم وشهامة وغير ذلك من القيم الخلقية
التي تعارف عليها المجتمع الجاهلي وقدرها .

قال لييد يرثي أخاه أربد (٧٦) :
أيا مَيَّ قومي في المآتم واندئي فتى كان ممن يبتني المجد أروعا (٧٧)
فتى عارف للحق لا ينكر القري ترى رِفده للضيف ملان مترعا (٧٨)
وقال يرثيه أيضا (٧٩) :

لعمرى لئن كان المخبر صادقا لقد رزئت في سالف الدهر جعفر (٨٠)
فتى كان أما كل شيء سألتُهُ فيعطي وأما كل ذنب فيغفر

- (٧٢) الرشاء : الجبل الذي يستخدم في رفع الماء من البئر .
(٧٣) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٤٨٠/٢
(٧٤) أشرعت لنحورهاها : وجهت الى النحور . ابدین : اظهرن . النواجذ ،
الناجد : السن التي هي آخر الاضراس .
(٧٥) الوغى : الحرب . شعثا : جمع أشعث وهو الذي اتسخ شعر رأسه
وتلبد بفعل العرق والتراب . الغاب : القابات .
(٧٦) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٥٠٠/٢
(٧٧) المآتم : مجتمعات النساء في حزن او فرح . والمراد هنا الحزن .
أروع : من يعجبك بحسن منظره وجماله . او لشجاعته .
(٧٨) القري : ما يقدم للضيف من طعام وشراب وغيره . الرِفد : العطاء
والصلة . ملان : ملان .
(٧٩) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٥٣٢/٢
(٨٠) رزئت : اصبت في أعز ما تملك . سالف الدهر : الازمان الماضية .

أو اتباع الاهواء ، والانصباب على اللذات ، ومعاقرة الشراب ،
والاستمتاع بالحياة .

قال طرفة بن العبد (٨١) :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدكلم أحفل متى قام عودي (٨٢)
فمنهن سبق العاذلات بشربة كبيت متى ما ثعل بالماء تزبد (٨٣)
وكرى اذا نادى المضاف مُحْنِبًا كسيد الغضى نهته المتورد (٨٤)
وتقصير يوم الثدجن والدجن معجب بهكنة تحت الخباء المعمد (٨٥)

وقال الاعشى الكبير (٨٦) :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني شاوٍ ميشل شلول شلشل شول (٨٧)
في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل
نازعتهم قضب الريحان متكئا وقهوة مزة راووقها خضل (٨٨)

(٨١) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٣١٧/١

(٨٢) وجدك : وحظك . والعود هنا : جمع عائد أو عائدة . يقول لولاحبي
ثلاث خصال هن من لذة الفتى الكريم لم أبال متى قام عائداتي
بيكنيني وينحن علي .

(٨٣) يقول احدى تلك الخلال اني أسبق العواذل يشربه من خمر حمراء
متى صبت عليها الماء أزيدت .

(٨٤) كرى : عطفى . المضاف : الخائف المذعور . المحنب : الذي في قوائمه
أو ضلوعه انحناء قليل . وسيد الغضى ذئب خبيث ويعني تلبية
دعوة المستغيث .

(٨٥) ولهوى يوم الفيم بامرأة حسناء في بيت مرفوع العمد . يقول
لولا هذه الثلاث لم أبال في أي وقت جاء الموت وهي شرب الخمر
والحرب والتمتع بالنساء .

(٨٦) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ١٠١/٢ .

(٨٧) الحانوت : الخمارة . شاو : يشوي اللحم . ميشل : من شل أي
طرد وكذلك شلول وشلشل خفيف في العمل سريع . شول
يحمل الشيء يقال شلت به وأشلته .

(٨٨) راووقها : الاناء الذي تروق فيه الخمر . خضل : الدائم الندى
لكثرة استعمالهم .

وقال لييد يرثي أخاه (٨٩) :
وان تشرب فنعم أخو الندامي كريم ماجد حلو الندام
وفتيان يرون المجد غنما صبرت احقهم ليل التمام (٩٠)
وقال الاعشى (٩١) :
وكأس كعين الديك باكرت حدها بفتيان صدق والنواقيس تضرب (٩٢)
وقال أيضا (٩٣) :
على كل أحوال الفتى قد شربتها . غنيا وصعلوكا وما ان اقاتها (٩٤)
هذا وقد وردت في بعض النصوص وهي تحمل معنى طراءة السن
وصغره ، كما استعملت للدلالة على القوة والشباب .
قال عمرو بن كلثوم في معلقته (٩٥) :
نصبنا مثل رهوة ذات حد محافظة وكنا السابقينا (٩٦)
بفتيان يرون القتل مجدا وشيب في الحروب مجرينا (٩٧)
وقال الاعشى الاكبر يمدح هوزة بن علي الحنفي (٩٨) :
قد حملوه فتى السن ما حملت ساداتهم فاطاق الحمل واضطلعا (٩٩)

-
- (٨٩) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٤٧٣/٢
(٩٠) ليل التمام : الليالي الطوال .
(٩١) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٢١٥/٢ .
(٩٢) وكأس كعين الديك أي صافية صفاء عين الديك باكرت شربت
في الصباح . حدها : سورتها . بفتيان صدق : بفتيان شجعان عرفوا
بالشدة والصلابة والجد .
(٩٣) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ١٢٤/٢
(٩٤) ما ان اقاتها : لا املك ما اقتات به أي آكله .
(٩٥) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ٣٩٩
(٩٦) رهوة : جبل أو أعلى الجبل . ذات حد : كتيبة ذات سلاح . والمعنى :
نصبنا كتيبة مسلحة أو أقمنا حربا عنيفة ذات حد مثل رهوة ،
وذلك محافظة على احسابنا .
(٩٧) المجد : الشرف والرفعة .
(٩٨) ديوان الاعشى ص ١٠٩ .
(٩٩) أطاق : احتمل . اضطلع : نهض .

وجربوه فما زادت تجاربههم أبا قدامة الا الحزم والقنعا (١٠٠)
وقال عبيد (١٠١) :

كم من فتى مثل غصن البان في كرم محض الضريبة صلت الخدوضاح (١٠٢)
وهكذا نجد كلمة الفتوة في هذه الفترة خاضعة للبيئات المختلفة
التي تداولتها وكانت كل بيئة تلبسها ما تراه مناسباً للمثل العليا التي
توسمتها في فتاها المقصود (١٠٣) .

فالفتى في عرف العرب القدامى هو الانسان الذي تتجسد فيه
الصفات التي تتطلبها القبيلة على أتم وجه ، فهي شجاعة في القتال تضمن
حماية القبيلة ، وكرم يصون اسمها ويرفع ذكرها ، وشهامة تزيد مركزها
علوا وشموخا ، ومروءة تجمع الخصال الحميدة الاخرى .
والفتوة في الاصل . كانت تعني الشباب . ثم استعملت للدلالة
على القوة . ثم انتقلت الى السخاء والكرم ، ومن هنا اصيحت الكلمة
خاضعة للبيئات المختلفة ، وان استعمالها يختلف باختلاف نظر
الاشخاص اليها ، فالبعض يراها في فصاحة اللسان والحكمة كما جاء
في قول زهير :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم
والبعض الآخر يراها في التلذذ بمباهج الحياة كما وجدنا ذلك
عند طرفه .

والذي نستطيع ان نقوله هو اننا لا يمكن ان نقول انه كانت
هناك جماعة يسمون الفتيان لهم نظام خاص يجمعهم وتقاليد معينة

(١٠٠) الحزم : ضبط الامر . الاخذ فيه بالثقة . القنع محرقة . الخير
والكرم والزيادة وحسن الذكر .

(١٠١) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٣٢/٢

(١٠٢) محض : خالص . الضريبة : الطبيعة . صلت : بارز في استواء ،
وضاح : أبيض جميل .

(١٠٣) انظر احمد امين : الصعلكة والفتوة في الاسلام ص ١١

تربطهم ، وانما كل ما في الامر ان الكلمة كانت تطلق على افراد في كل قبيلة ، جمعوا مع الشباب صفة بيّنة من الصفات قد تتمثل في الكرم او النجدة او الفصاحة ، وقد تكون في اغاثة الملهوف ومساعدة المحتاج وحماية المستضعفين ، وغير هذه الصفات في الغالب واكن الظاهر ان التلذذ والمنادمة كانت من أغلب المعاني التي جاءت عليها .

اما الفروسية فهي مظهر من مظاهر الفتوة دعت اليها الحياة التي يحيونها ، والبيئة التي ينزلون فيها ، والنظام القبلي الذي قامت عليه حياتهم . . . وهي تتخذ مظاهر متعددة وترسم جوانب واضحة . . . ففروسية الصعاليك تتسم بطابع المغامرة والجرأة والشجاعة ، وهي فروسية فرضتها ظروف معينة . وتختلف في بعض مظاهرها عن الفروسية المعروفة في العصر الجاهلي والتي تمثلت في سادات القبائل وابطالها .

اما اخلاق الفرسان فهي الاخلاق التي يتصف بها العرب جميعا وان اختلف قسم منهم ببعضها . . . فالفارس شجاع وكريم وعزيز النفس يحترم المرأة ويدافع عنها ويجير المستجير ويعمل على رفع الظلم ، وهو حلیم ، سمح الخلق الا اذا ظلم فعندئذ يصبح ثورة عارمة . . .

وهو صادق ووفى يكره الغدر ويأبى نقض المواثيق وهو عفيف في الحرب لا يخوضها من اجل الاسلاب والغنائم . . . والفروسية ترتبط ارتباطا قويا بالسيادة فالفارس له مكاتته الاولى في القبيلة ، وبالتالي فهي اسلوب الحياة المتمثل في الميل الطبيعي نحو الخير .

تقد تمثلت لنا الفروسية بجانيها الخلقي والحربي في شعر الفرسان الذي طبع بطابعهم المتميز فرسموا لنا اخلاقهم التي عاشوها ومثلهم التي سنوها وقيمهم التي بذلوا دونها المهج والارواح . . . فاختلفت بطولاتهم الحربية بمكارم اخلاقهم . . .

ومن هنا كانت الحماسة هي المنبع الثر الذي نهلوا منه اغراض

شعرهم .

وبعد فالفتوة في العصر الجاهلي لم تتخذ صفاتها او تتضح معانيها كما وضحت معالم الفروسية وانما هي مجموعة من الخصال يتفاوت مفهومها لدى كل جماعة ولكن الغالب عليها هو فتوة السن والشباب والكرم وتعاطي الملذات • وبهذا فالفتوة يدخلها عنصر اللهو والعبث الى جانب العناصر الاخرى الحميدة •

اما الفروسية فقد عرفها العرب قديما ، في تقاليدهم ومثلهم وحياتهم وصوروها في اشعارهم ، التي خلقوها فتركوا لنا ادبا وافرا يحمل النواة الاصلية لشعر الفروسية والشجاعة والحروب، الخالي من الخلاعة واللهو والعبث •

ومن هنا نجد أن صورة الفتى في المجتمع الجاهلي كانت تقارب صورة الفارس في هذا المجتمع من حيث المثل والقيم التي سعى اليها والتزم بها كل واحد منهما •

فقد كانت الشجاعة والكرم والنجدة والمروءة عناصر مشتركة بين الفارس والفتى ، فكانت الفروسية والفتوة تنتمي الى عنصر واحد من حيث الخلق والشجاعة •

وملاحظة اخيرة يسكن ان تتضح في استعمال هاتين الكلمتين هي ان الفتى كانت تطلق في غالب الاحيان على فتى السن الذي يتمثل فيه هذا الخلق كما جاء في معلقة عمرو بن كلثوم (١٠٤) ومعلقة طرفة ابن العبد (١٠٥) •

اما لفظة الفارس فكانت تطلق على الرجل الشجاع الذي أمضى عمره الطويل في تحقيق النصر لقبيلته ، فكتب لها الذكر الحميد في سجل مفاخرها وخاض المعارك الطوال لرفع اسمها ، فكان عنترة مثلا فارس بني عيس ودريد بن الصمة فارس هوازن •

(١٠٤) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩٩

(١٠٥) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ص ١٨٢

الفصل الثاني

بواغث الفروسية

الطبيعة الصحراوية :

تشمل جزيرة العرب الجنوب الغربي لآسيا ، وتستحق أن تسمى قارة للوحدة الجغرافية الواضحة التي تشكلها ، فمساحتها تزيد على ثلاثة ملايين كيلو متر مربع ، وهي على العموم هضبة واسعة من صخور قديمة ، ويقال انها كانت متصلة بشرقي افريقيا فقامت في العصور الجيولوجية المتأخرة سلسلة من الانهيارات أسفرت عن ظهور واد عظيم غمرته المياه ، فكان البحر الاحمر وخليج عدن . وقد أسفر تفسخ الطبقة الصخرية غربي الجزيرة مناطق حُممية واسعة تصلبت مساحات جرد منها عرفت بالحرات^(١) .

وقد أجمع المؤرخون والباحثون على ان جزيرة العرب كانت تختلف اختلافا كبيرا من حيث وفرة المياه والخصب وكثرة الامطار عما هي عليه الآن ، فقد وجد (فيلبي) محارا من نوع المياه العذبة ، وأدوات من الصوان في الربع الخالي ، ويعتقد أن تاريخ هذه الآثار يعود الى

(١) الحرات : جمع حرة . وهي أرض بركانية ذات حجارة سوداء نخرة كانها أحرقت بالنار .

الازمان التي كانت فيها الجزيرة تتمتع بالخصب (٢) .

وبلاد العرب كثيرة الجبال الجرد ، المختلفة الالوان ، وتتخلل هذه الجبال الوديان الصالحة لاقامة السكان الذين يعتمدون على ما تنبتة أرضهم وما يجدونه فيها من ماء يشربونه ومرعى يسيمون فيه أنعامهم ، ولما كانت مياه هذه الاودية لا تسد حاجة الجزيرة فقد غلب عليها الجذب لأن الكثير من مائها يفيض في جوف الارض .

على ان جذب جزيرة العرب لا يشمل جميع أقسامها ، وانما هناك مناطق خصبة كهضبة نجد العالية التي ترتفع عن سطح البحر زهاء أربعة آلاف قدم ، والاودية التي تقطع جبال السراة الى تهامة والمنتية الى البحر (٣) . والبقاع الخصبة التي تتخلل الحجاز والتي انتشرت حولها القرى فكانت مصيفا للمتفرين .

أما مناخ الجزيرة في جملته فحار شديد الحرارة . وتكثر في نجد رياح السموم التي تهب صيفا فتشوي الوجوه ، وألطف رياحا الشرقية وهي التي يسمونها الصبا ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، والتغني بطيب نشرها ، فحملوها تحيات الاحبة لرقتها وعدوبتها .

ونظرا لجفاف الصحراء كان مناخها في حرارته وبرودته متطرفا ، والتطرف المناخي بسبب قاريته الشديدة يلعب دورا مهما في تنقل البدو غير الاعتيادي ، فقد تهطل الامطار الغزيرة ، وتحدث الفيضانات ، ثم تعقبها فترة طويلة من الجفاف التام ، وتباين درجات الحرارة تباينا عظيما ، وكلما كان هذا التغير المناخي قاسيا ، عظم تأثيره في حدوث الغارات وعدم الاستقرار .

وهذا المناخ الرهيب هو الذي جعل الصحراء فريدة في حالتها من

(٢) مجلة سومر ٢/١٩٤٩ ، وقد ذكرت أدلة كثيرة اخرى في هذا المقال

يمكن الرجوع اليها .

(٣) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٦٧

الجذب ، لان الافراط المناخي هو الذي يجذب الصحراء ، فالغيث اذا كثر جرف كل شيء ، والقحط اذا دام أهلك الحرث والنسل ، وكثيرا ما يكون تساقط الامطار على شكل دفعات غير منتظمة ، او بغزارة في بعض المواسم مثار وحي الشعراء ، فوصفوا البرق وأبدوا فتنهم به ، ووصفوا الغيث وتتبعوا مراحل من بدايتها حتى نهايتها ، وأضفوا عليه صفة العظمة والقوة ، وتحدثوا عن تراكم السحاب ، وعنف المطر وقسوته على الرمال وقد وصف امرؤ القيس ذلك ، وشبه حركة البرق بمصايح الرهبان ثم وصف نفسه وقد أخذته الحيرة أمام هذه الظاهرة ، فبدأ بوصف السحاب وهو يسح الماء ، ووصفه ثانية عند سكونه ثم عاد الى وصفه وهو يسح بغزارة فيتراكم ، فيصبح سيلا متدفقا يكتسح البيوت ، ثم وصف جبلا غشيه المطر فعمه الخصب وتفتحت أزهاره (٤) .

لقد كان امرؤ القيس من الشعراء الذين تحدثوا عن الطبيعة واستغرقوا معظم شعرهم في أوصافها ، فقد تطرق الى المطر ، فوصف غزارته ، ودوام هطوله حتى يعم الارض ويغطيها ، فاذا خفت حدة المطر ظهر الوتد ، واذا عادت وارتته وأخرجت الضب من مكنه ، فيعموم باسطة برائته كما يفعل الانسان لمهارته ، وقد تبلغ شدة المطر درجة تغمر الاشجار فلا يبدو منها الا القسم العلوي الذي أحاط به الزبد فلاح كالعمائم (٥) .

وكما تحدث امرؤ القيس تحدث سائر الشعراء ، فوصفوا البرق والمطر والسحاب والعواصف ، وعنوا بهذه الاوصاف عناية فائقة ، وصوروا هذه الظواهر تصويرا بارعا . . .

(٤) ديوان امرؤ القيس : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ٢٤ و ٢٥

و ٢٦ (المعلقة من البيت رقم ٦٧ - ٧٧) .

(٥) ديوان امرؤ القيس : ص ١٤٤ - الابيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

لقد كان نزول الغيث مثيرا لشجاعتهم حتى قالوا : انهم اذا اخصبوا هاجت أضغانهم وطلبوا الثأر من أعدائهم ، وتمنوا أن يتصل الغيث حتى يغيروا على الملوك فيسلبوها عروشها ، وكانوا يغيرون في الخصب لا في الجذب ، والى ذلك يشير الحارث بن دوس الايادي مخاطبا المنذر بن ماء السماء (٦) :

قوم اذا نبت الربيع لهم نبتت عداوتهم مع البقل
على ان هذه المياه التي تحدث عنها الشعراء ، لا تكفي للزراعة وانما هي مقصورة على انبات الاعشاب والنباتات القليلة في أعقابها ، لنزولها - كما ذكرنا - بصورة نادرة وبلا نظام ، فهي تكون سيولا طويلة وغزيرة ، وتكون بحيرات وانهارا في ساعات أو أيام أحيانا ، كما ان اقطاعها يشكل جدبا مستديما أحيانا اخرى .

ولعل معنى الحرمان ، وندرة المياه ، وجذب الارض هو الذي جعلهم يببالغون في تقدير الخصب ، ويرون له روتقا خاصا في هذه البيئة الجرداء ، ومن هنا نجد القصص الطويلة التي دارت حول الآبار والمياه ، وما ورد حول زمزم وحفرها من روايات دليل على ما ذكرناه (٧) .

وهم بعد هذا لم يكتفوا بتقدير الخصب وحده ، وانما قدسوا مواطن الماء القديمة ، واعتقدوا فيها أسراراً غامضة ، وأضفوا عليها من القوى الخفية ما لم يصفوه على غيرها من الاماكن ، حتى كان اذا غم عليهم أمر الغائب جاءوا الى بئر قديمة ، بعيدة الغور ونادوا يا فلان ، أو أبا فلان: ثلاث مرات ، فان كان ميتا لم يسمعوا في اعتقادهم صوتا (٨) .

قال شاعرهم (٩) :

- (٦) البكري : التنبيه ص ١٩
(٧) ابن هشام . السيرة ١٥٤/١ ومحي الدين العطار : بلوغ الارب في مآثر العرب ص ١٣٨ ، ١٦٢
(٨) الالوسي : بلوغ الارب في احوال العرب ج ٣ ص ٣
(٩) الالوسي : بلوغ الارب ج ٣ ص ٣ .

دعوت أبا المغوار في الحفر دعوة فما آض صوتي بالذي كنت داعيا^(١٠)
أظن أبا المغوار في قعر مظلم تجرّ عليه الذاريات السوافيا
وقال آخر^(١١) :

وكم ناديته في قعر ساج بعادي البئار فما اجابا
أما المياه الباطنية فتتوفر في الجزيرة ، وتكون على مسافات قريبة،
بحيث تنهياً لمن يريد الحصول عليها بالحفر البسيط ، وعند هذه المناطق
التي تتوفر فيها المياه ، تقوم الواحات الاستقرارية الى جانب قبائل البدو
الرحل الذين ينتقلون شتاء الى سهول النفوذ ، ويعودون صيفا الى
واحات نجد لتبادل التجارة وكذلك الغزو وشن الغارات .

ان الظروف الطبيعية تتحكم في الاسس الاجتماعية والاقتصادية
والسياسية لحياة البشر وتتبدى آثار هذه الظروف في أنماط معيشتهم
وتوزعهم على سطح الارض ، وأماكن اقامتهم وطراز مساكنهم ، ونوع
غذائهم وشكل كسائهم فالانسان مدفوع بغريزته الى التحري عن
وسائل المعيشة والبقاء، وهو في تحريه هذا مرتبط جزئيا أو كليا بالظروف
الطبيعية المحيطة به .

والبيئة ذات أثر كبير في تكوين الانسان ، وقوته أو ضعفه ، كما لها
مساس ملحوظ باخلاق الشعوب ، وعاداتهم ، ولون تفكيرهم وطبائعهم
النفسية . والمناخ بدوره أهم عنصر من عناصر البيئة ، بحكم أهميته
البالغة في التأثير في حياة البشر ، والظروف المناخية تحمل في طياتها
الضوء الذي يفسر لنا كثيرا مما غمض من اعمال الانسان ، وهذه
الظروف - في أية بقعة - توجي دائما باتباع طرق معينة لكسب الرزق،
وممارسة مظاهر خاصة للنشاط الاقتصادي . . .

(١٠) آض : رجع ، وقعر مظلم : كناية عن القبر .

(١١) الالوسي : بلوغ الارب ج ٣ ص ٣ .

وما طريقة الحياة التي يحيها شعب من الشعوب الا تفاعل بين
العوامل الطبيعية وفعاليات الانسان نفسه ، فالبدوي اذا وجد خيلا جيدة
يركبها وسلاحا قويا يحمله ، أصبح الغزو عادة مستحكمة فيه ، وعندما
تحل فترات الجفاف وتهزل الحيوانات ، لانعدام العشب ويحس وطأة
الجوع تطبق عليه يصبح الغزو وسيلة لا بد منها للحصول على الطعام
الذي يرد عنه غائلة الجوع ، ولهذا اصبح الغزو عملا مشروعا يمارسه
البدوي دائما ، ويلجأ اليه باستماتة ، كلما لاحت سنوات المحل وبدت
مظاهر الجفاف .

وهذا النمط من الحياة يوجب على البدوي ان يكون متمتعا
بصفات فطرية معينة تؤهله للقدره على تحمل المشاق عند الغزو أو رد
عاديته أو قدرته على تحمل قابلية القيادة والقدره على البت السريع
في مجابهة الطواريء ، والاستجابة الآنية لمتطلبات الحياة ، والتعاون مع
ابناء عشيرته ، وهذه العادات هي التي ساعدت على نمو الصفات الفطرية
وجعلتها من متطلبات الحياة البدوية ، لان البدوي يتعرض للقناء السريع
ان لم تكن له الصلابة الجسمية الكافية لتحمل هذا النوع من الحياة .
فهو يكافح الصحراء حينما يقتحمها في طلب الرزق ، ويكافح الآخرين
حينما يهبطون عليه من كل فج يريدون به وبأهله سوءا ، ويكافح طبيعة
الارض الجرداء التي لا تنبت شيئا ولا تغني من الجوع فتिला ، ولذلك
كانت القوة هي الاساس الاول والاخير الذي تقوم عليه حياته .

وكانت حياة العربي في الجاهلية صراعا دائما بينه وبين بيئته
القاسية ، لان كل ما فيها يوحى بالقوة وينطق بأن البقاء للاصلح
والاقوى ، وكان للطبيعة قد أعدت الجزيرة العربية هذا الاعداد ، لتهب
لشعبها العريق السجايا الكريمة التي لم يفسد الزمن طبائعها ، والخلق
النبيل الذي أصبح عنوانا للبطولة ، ورمزا للمثل الرفيعة الشامخة . .

ان الحياة القاسية التي ارتبطت بها حياة العربي جعلته يتناحر على
طلب الكلاء والماء ويتخاصم من أجل الاحتفاظ بهذا المورد الحيوي

فيخرج الى الصحراء باحثا عنهما ، ميمماً شطر وجودها ، يتصارع من أجل الحصول عليها ، فيغير ويعزو ويتمكن من الثبات امام قانون الحياة ، ويفتتم ما يقيم اوده ، فكانت حياته قتالا دائما او تأهبا للقتال .

وكانت القوة شرطا من شروط وجوده ، وعاملا من العوامل التي تلعب دورها الفعال في مجتمعه ، ولذلك كان الفارس مكرمة من مكارم قومه ، ومفخرة من مفاخرهم التي يعتزون بها ويشيدون بطولتها ، فهم قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها الى سواهم ، ولا يثقون فيها بغيرهم ، فهم دائما يحملون السلاح ويتلفتون من كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوع الا غارا (١٢) .

عى أن عرب الجاهلية لم يخرجوا في حياتهم عن الدائرة التي اختارتها لهم الطبيعة ، فلم تقع أعينهم على شيء سوى الصحراء الواسعة ، وما تبعته في نفوسهم من العظمة والمهابة والعموض الذي تضل في ادراك كنهه العقول . فخلقت من ابنائها رجالا أقوياء لان الصحراء تغرس في نفوس ابنائها الشجاعة والقوة ، وتربيتها على الكبرياء والترفع ، وتعودها على الحرية والانطلاق ، لتكون قادرة على التحكم في هذه البيئة ، ومسيطرة على عواملها التي لا ترحم ، لان البيئات الصحراوية لا تسمح الا بأنواع خاصة من النشاط الانساني ، ولذلك يحاول الانسان ان يعمل أفضل ما يستطيعه من التكيف بموجب مقتضيات حياة البادية ، وطبيعة الحياة الصحراوية تخلق المساواة بين الافراد ، ولذا فالعربي لا يحتمل الضيم وقد حق له ان يفتخر بحريته الشخصية ، وقد شبه من يقبل الضيم بالحمار الذي لا يفقه الظلم ، او الودد الذي يذل من كثرة الضرب ويشج فلا يرثي له أحد قال المتلمس (١٣) :

ولن يُقيم على خسف يُسام به الا الاذلان غير الحي والودد

(١٢) ابن خلدون : المقدمة ص ١٢٥ .

(١٣) لويس شيخو : شعراء النصرانية ١/ ٣٤٤ .

هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج^{١٤} فما يرثي له احد (١٤)
يضاف الى ما تقدم حب البدوي لحماية الجار فهو يرى في العدوان
على جاره عدوانا عليه ، فيهب للذود عنه مهما يكلفه ذلك من متاعب ،
ويسبب له من حروب .

وإذا أستقصينا أيام العرب وجدنا ان بعض هذه الايام كانت تقع
بسبب الجار ، واذا ضمننا الى جانب حماية الجار ما عرف به العربي
من حب لقبيلته، وتعصب لها وحرص على الاخذ بالثار استطعنا أن نتصور
حياة البدو وعاداتهم وما كانت تستلزمه من حروب وغارات لا يهدأ
لهم بدونها بال ولا يقر قرار (١٥) .

وهكذا تكون العوامل الطبيعية والظروف القاهرة لتلك البيئة
هي التي تدفع البدو ان يكونوا وحدات اجتماعية ، يطلق على كل واحدة
منها أسم قبيلة، والقبيلة تجمع العائلات، والعمارة تجمع البطون، والبطون
تجمع الافخاذ ، والافخاذ تجمع الفصائل (١٦) وتقيم كل من هذه
الوحدات كيانا خاصا تعتر به .

على ان هذه التشكيلات لا تفقدها صلتها الوثيقة بالفرع الذي
تفرعت عنه . والعرب بحكم نظامهم القبلي السائد ، وطبيعة هذا النظام
الاجتماعي الذي كان لا يرحم الضعيف بل يقوده الى الهلاك والاتقراض،
هذا النظام نفسه كان سببا من أسباب نشوء القوة وضرورتها ، فمدحها
العربي ومدح كل ما يؤدي اليها ، وتغنى بالشجاعة والاقدام ، وأثنى
على كل من اتصف بهذه الصفات وافتخر بحروبه وغزواته ووقائعه ،
وذم الضعيف وكل الصفات التي يتصف بها كالجبن والتردد والخنوع
والتخلف عن الغزوات والاحجام عن الحرب وعدم الصبر على المكاره .

(١٤) الرمه : القطعة من الجبل البالي ، ويشج : يدق رأسه .

(١٥) عبدالرؤوف عون : الفن الحربي في صدر الاسلام ص ٣٥ .

(١٦) ابن رشيق : العمدة ٢/١٨٢

ولعلنا لا نغلو اذا قلنا: انه لم تتوفر لدى أية امة من اسباب التناحر والتقاتل والتطاحن بقدر ما توافرت لدى أمة العرب في جاهليتها ، وخاصة القبائل العدنانية البدوية ، فقد انتشروا في انحاء الجزيرة يطلبون لماشيئهم الكلاً وينتجعون مواقع الغيث ، وكان من عادة القبائل انها تترك الاماكن الخصبة اذا أجذبت ، فهم يقعون مع الغيث كلما وقع في بلد صاروا اليه وغلبوا أهله عليه قال الاخنس التغلبي (١٧) :

ونحن اناس لا حجاز بأرضنا مع الغيث ما ثلثي، ومن هو غالب

فهم ينتزعون المرعى الخصب من أهله باسنة الرماح ، ويكفي بعد هذا أن تكون غارة بين قبيلتين أساسا تقوم لها الحرب ، فتبقى آمادا وآجالا ، يشب أوارها بين آونة وأخرى طلبا لثأرات ، أو انتقاما لمال يغتصب أو امرأة تهان أو جار يعتدى عليه ..

ان النظام القبلي كان الاصل في المجتمع البدوي ، ويعد أفراد العشيرة الواحدة أنفسهم أبناء دم واحد ، يخضعون لرئيس واحد : وهو أسن أعضاء القوم وأبرزهم ومن أكبر بيوتهم ..

والقبيلة : هي دولة الاعرابي ، وموئله ، ووحدته الاجتماعية ، توافرت فيها المسؤولية المشتركة بين أفرادها جميعا ، فكل فرد صورة مصغرة لقبيلته ، وهي مسؤولة عن جرائم الافراد وحياتهم ، وبذلك تكون (عقد اجتماعي) يضم أعضاءها ويؤلف منها عصابة واحدة (١٨) .

والعصية للقبيلة هي القومية بالقياس الى العرف البدوي ، وقد توسع هذه العصية في الاحلاف فتشمل القبائل والعشائر المتحالفة بالنسب أو بالجوار والداخلة في الحلف (١٩) .

(١٧) الفضل الضبي : المفضليات ٦/٢

(١٨) احمد الشايب : تاريخ النقائص ص ٣٧

(١٩) الحلف : مجتمع قبلي ولكنه لا يستقيم لامد طويل ، فقبائل تدخل وقبائل تخرج واحلاف توالد وأخرى تموت ككل كائن حي .

وليست هذه العvisية الا ضرورة ، خلقتها الظروف التي تحيي فيها ، والوضع الطبيعي الذي تعيش فيه ، فهذه العvisية تدافع عن نفسها وعن وجودها وتجد لها رزقا في قبيلة أضعف منها ، فالحياة في البادية صراع مستمر ، يفرض على أهله التكتل والتحالف ، لان في ذلك دواما لبقائها ، واستمرارا لوجودها ••

فالخيمة وما فيها من متاع تعتبر ملك الفرد ، واما الماء والمرعى والارض الزراعية فهي ملك مشاع للقبيلة ، والغزو محور نشاط فرسان القبائل ، ومراد معيشتها ، لانه وسيلتها في الحياة ، والثأر واجب مقدس وقد فرض على البدوي ان يكون محاربا لان من واجبه حماية أهله وأمواله وكل ما يعود اليه •

ويعتاد البدوي منذ صغره على مشاهد الحياة الملى بالاطار ، فيعوده ابوه على ذلك عندما يحين دوره مما يدفعه الى ازدراء كل ما يبعد عن العنف معجبا بالقوة مهما كانت نتائجها (٢٠) •

ولم يكن غريبا في عالم الادب الجاهلي ظهور شعر الفروسية ولم يكن غريبا على العربي في جاهليته ان يتغنى بالبطولة ، ويترنم بأمجادها ، ويقدم مثلها وقيمتها ، لان الحياة بطبيعتها كانت تفرض عليه هذا النوع من الحياة ، وتضطره الى الانتقال من مكان الى مكان ، لان ضيق أسباب المعيشة وضآلة الموارد ، أوجد في الجزيرة حركة مستمرة نحو الماء والمرعى وكون تسابقا بين القبائل للاستيلاء على هذه الاماكن وأوجد فيها هجوما ودفاعا ، هذا يهاجم لانتزاع الارض من قوم نزلوا فيها قبلا ، وذلك يدافع عنها ، لانه حازها بالسيف • والاكتساب بالسيف حق لا ينازع فيه أما الكلمة فللسيف • فمن كان سيفه أمضى وأقوى كانت له الكلمة ، وكان له الحق وعلى المغلوب وزر ضعفه • فنشأت الغارات ونشأت العداوات وقامت الايام والحروب ، وكانت الصحراء

(٢٠) بلاشير : تاريخ الادب العربي - العصر الجاهلي ص ٣٧ - •

مجالا فسيحا ، وميدانا واسعا ، لاظهار الشجاعة والفروسية ، وكان هوى ذلك يتجسد في نفوس الشعراء قصائد عامرة بالانتصار زاخرة بالفخر والحماسة مشيدة بأعمال البطولة التي تمثل في القبيلة المنتصرة ، وساخرة من هزيمة الاعداء .

المرأة

لا بد لنا ونحن نتحدث عن المرأة من أن نحدد الهدف الذي نريده من حديثنا ، لان المفهوم المطلق للمرأة مفهوم عام وشامل ، ترتبط به المرأة ، وهي تقوم مقام الام وال بنت والاخت والزوجة والحبيبة والشاعرة والمحاربة والمغنية والامة والسبية وغيرها ، وقد جمع الشعر الجاهلي نساذج وصورا كثيرة لهذه الالوان ، وعرض لها بالدراسة والتفصيل ، وتطرق الى الحديث عنها في كل مجال من مجالاته ، فكانت حقاً ثروة زاخرة ، ومجالا ثرا اكل دارس يريد البحث فيه . . .

ولسنا نريد في هذا المجال ان نتطرق الى المرأة بصورة عامة لان ذلك قد يخرج عن مجال بحثنا ، ويبتعد عن خطة عملنا ، وانما سنقصر الحديث عن المرأة في المجالات التي كانت فيها باعنا قويا لالهاب مشاعر الفرسان واذكاء بطولاتهم في ميدان المعركة .

لقد تمثل في المرأة الجمال الحي الذي أكسبته هذه الطبيعة من الصفاء والاصالة ما أضفى عليه طابع الهدوء والاناقة ، فكان لها سحرها الروحي في نفوس الرجال ، وكان لها سلطانها العنيف على مشاعرهم وأحاسيسهم ، فكانت ملهمتهم في روائعهم وباعثة عواطفهم الصافية الرقراقة التي خلدوا لنا فيها أدبا يحمل كل معاني السمو والاباء

والعربي عاش في بيئة غنية بالجمال الاصيل ، مليئة بالمحاسن المطبوعة ، فهو يسرح طرفه في امتداد الصحراء ، فلا يجد الا اتساعا في الطبيعة ، وصفاء في اللون ، وانطلاقا في الحياة، والانسان بطبيعته ميال

للجمال ، مدرك لصالته ، يعجب بكل كائن يملك هذه الصفة ويعبر بما يملكه من وسائل التعبير عن اعجابه . . .

والشعر العاطفي تصوير صادق في أغلب الاحيان للمشاعر الانسانية ، وينبوع غزير للعواطف التي يحسها المرء في كل عصر وفي كل زمان ، وحكاية الحب اخذت من حياة العربي وأدبه مكانا رحبا ، فخلقت لنا هذا الشعر الغنائي في أبسط صورته . يتحدث فيه الشاعر عن نفسه ويصور عواطفه واهواءه ويرسم رغباته وآماله .

ان اعجاب الرجل بالمرأة لم يقف عند الاحتفاء بجمالها الجسدي ، بل يتعدى ذلك الى الاحتفاء بجمالها الروحي ، الذي يكون في كثير من الاحيان أعمق أثرا من الجمال الجسدي الزائل ، فالرجل يشعر بجمال المرأة ، فيعبر عن هذا الشعور وهو لا يعلن هذا الجمال للملأ ، ليلفت اليه النظر ، وانما يريد بذلك تأدية ما حملة من أمانة ، ليثبت في نفس السامع ما يحمله على عذره في حالة هيامه ، ولانه ينشد الجمال في الحياة ولن يظفر به كما يشاء الا عن طريق الحب . . .

ولقد وجد الشاعر الجاهلي في محبوبته المثل الاعلى الذي يصوره ، فهو يتوجه اليها بأجمل أغانيه ، ويقدم لها كل ما تقوم به من أعمال حربية مجيدة ، فهو ينادي اسمها في ساعات القتال الحرجة ، وحين يلفظ انقاسه الاخيرة ، وحتى اذا أراد الشاعر ان يمتدح نفسه بالكرم والشجاعة ، لم يكن يخاطب الا المرأة اعتقادا منه أن المرأة اذا رضيت عنه ، فكأنما رضي الناس جميعا . . . وقد ترددت هذه المعاني في قصيد الشعراء كثيرا ، ولا سيما الفرسان منهم ، فهذا عنتره يرسم معاناته في ساعة المعركة لعبلة ، فيقول (٢١) :

يا عبل كم من غمرة باشرتها بالنفس ما كادت لعمرك تنجلي
فيها لوامع لو شهدت زهاءها لسلوت بعد تخضب وتكحل

(٢١) ديوان عنتره : تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي ص ١٢١

أما تريني قد نحتت ومن يكن غرضا لاطراف الاسنة ينحل
وهو يطلب أن تسأل عن مواقفه وأفعاله في الوغى فيقول (٢٢) :

فلئن صرمت الجبل يا ابنة مالك وسعت في مقالة العُذال
فسلي لكيما تخبري بفعائلي عند الوغى ومواقف الاهوال
والخيل تعثر بالقنا في حاجم تهفو به ويجن كل مجال (٢٣)
وأنا المجرب في المواقف كلها من آل عبس منصبي وفعالي
وهو يقدم لها كل بطولاته وامجاده قربانا عند محرابها ، فيقول
وهو خارج الى العراق (٢٤) :

أيا عبـل ما كنت لولا هـواك قليل الصديق كثير الاعادي
وحقك لا زال ظهر الجواد مقيلي وسيفي ودرعي وسادي (٢٥)
السى أن أدوس بلاد العراق وأفني حواضرها والبوادي
إذا قام سوق لبيع النفوس ونادى وأعلن فيها المنادي
وأقبلت الخيل تحت الغبار بوقع الرماح وضرب الحداد (٢٦)
هنالك اصدم فرسانها فترجع مخذولة كالمعداد
وأرجع والنوق موفورة تسير الهوينى وشيبوب حادي (٢٧)
وتسهر لي أعين الحاسدين وترقد أعين أهل الوداد

ولقد كانت قصائد الغزل ترجمانا للعواطف المزدحمة في قلوب
الشعراء الجاهليين ، فلا يكادون يصيرون معنى ، أو يظفون بموضوع ،

-
- (٢٢) ديوان عنتره : تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي ص ١٢٩
(٢٣) الحاجم : المكان الشديد الحر . يريد ميدان الوغى . تهفو : تسرع .
(٢٤) ديوان عنتره : تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي ص ٥٣ .
(٢٥) مقيلي : حيث أقيـل : أي أنام نصف النهار والمعنى أنه لا يبرح
ظهر جواده .
(٢٦) الحداد : أي السيوف .
(٢٧) موفورة : أي غنية بما عليها من اسلاب . والهوينى : المشي في لين
ورفق وذلك لكثرة ما تحمل ، أو لأنها آمنة لا يزعجها شيء ...

حتى ينموا بذكر الحبيبة ، ويتغنوا بحاسنها ، ويمتدحوا شمائلها ، لقد فرضوا على أنفسهم ذلك ، فكانت هذه الوجدانيات مطالع قصائدهم ، ومذاهب غنائهم ، ومجتلى الهامهم ، وما زالوا يلزمون أنفسهم كل هذا ، حتى أصبح الابتداء بالنسيب تقليدا شعريا ، وأصبح الحب حافزا من حوافز البطولة ، وباعثا من بواعث الالهام الشعري ، وقوة تدفع الى جلائل الاعمال . . .

ان الحب المقرون بالفروسية والعفاف ، كان المثل الاعلى في الحياة الجاهلية ، لما فيه من الحرص على الاعراض ، ومحافظة على القيم النبيلة . وسعى الى اعلاء شأن المرأة .

قال عنتره (٢٨) :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلني
يخبرك من شهد الوقعة انني اغشى الوغى واعف عند المغنم
وقال المرقش الاكبر مخاطبا حبيته وواصفا لها جده في الحرب (٢٩):

هلا سألت بنا فوارس وائل فلنحن أسرعها الى أعدائها
ولنحن أكثرها اذا عد الحصى ولنا فواضلها ومجد لوأئها (٣٠)
وقال عامر بن الطفيل (٣١) :

ان تسألني الخيل عنا في مواقعها يوم المشقر والابطال في زعج (٣٢)
يخبرك أني أعيد الكر بينهم اذا القنا حطمت في يوم معتلج (٣٣)

(٢٨) ديوان عنتره : تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي ص ١٤٩-١٥٠

(٢٩) الفضل الضبي : المفضليات ٣/٣٤

(٣٠) الحصى يضرب مثلا لكثرة عدد القبيل .

(٣١) ديوان عامر بن الطفيل ص ٣٧

(٣٢) يوم المشقر : يعني يوم الصفقة وهو أحد الايام التي ابلى بها الشاعر ، الزعج : الخوف .

(٣٣) يخبرك : جواب ان تسألني . يوم معتلج : يوم فيه ازدحام وأراد به الازدحام في المعركة .

وقال عامر بن الطفيل أيضا مفتخرا ببسالته (٣٤) :

هلا سألت بنا وانت حَقْبَةٌ بالقاع يوم تورعت نهد (٣٥)
أي الفوارس كان أنك في الوغى للقوم لما لاحها الجهد (٣٦)
لما رأيت رئيسهم فتركته جزر السباع كأنه لهد (٣٧)

وكما تحدث عنترة والمرقش وعامر بن الطفيل ، تحدث غيرهم من الشعراء عن بطولاتهم في الحرب ، وثباتهم في المعارك ، وبلائهم فيها . . . تحدثوا بشعرهم ، وهم يعلمون كل العلم ان هذا الحديث سيطرق اذهان المرأة . . . وسيدور في مجالسها ، فاطهروا في حديثهم اروع المواقف التي خاضوها ، وبينوا أرفع آيات العفة في توزيع الغنائم ، وتطرقوا الى الحديث عن كل ما يشرف الفارس ، ويرفعه الى مصاف الابطال الشجعان . لان هذا الحديث هو السبيل الوحيد الى قلبها .

ومن هنا كانت المرأة باعنا قويا من بواعث الفروسية ، ومنطلقا واسعا من منطلقاتها الرحبة ، ومجالا فسيحا يظهر فيه الفرسان بطولاتهم النادرة . . .

مكانتها :

إذا استعرضنا منزلة المرأة ، كما صورها الشعر الجاهلي ، وجدناها سامية في غالب الاحيان ، فالشاعر يناجيها في السر والعلانية، ويستشيرها في كثير من أموره ، ويحتكم اليها ، ويكرس قدرا كبيرا من اشعاره لها ، ويتعرض لوصفها ، والحديث عنها في مختلف الادوار التي تؤديها . وان تفاوت قدر العناية بها ، واختلفت المشاعر التي كان يبديها نحوها ، كما أن وقائع الشعر وصوره ، تثبت بما لا يتطرق اليه الشك ، ان

(٣٤) ديوان عامر ص ٤١

(٣٥) حفية : مشفقة . بارّة . وتورعت : جبت وتأخرت وهابت . نهد : قبيلة من قضاة .

(٣٦) أنك : أشد . لاحها أضمرها وغير لونها .

(٣٧) اللهد : الورم . ولعله أراد انه لما قتله انتفخ فصار كأنه وارم .

العرب خاضوا أطول حروبهم من أجلها •
لقد احتلت المرأة في أدبنا العربي صفحات كثيرة ، لأنها كانت مدار
حياة الرجل ، ومكان شرفه ، وحمى وطنه ، فكانت مكائنها تتناسب مع
الخدمات التي تؤديها ، والواجبات التي تقوم بها ، وسط مجتمع كان
الرجل يقوم فيه بمهمة الحرب والعمل في وقت واحد •

وقد أهلتها هذه الأهمية لان تكون في مكانة رفيعة ، ومنزلة
عالية ، لان الدفاع عنها بطولة وشجاعة ، والموت في سبيلها مفخرة
تستحق الثناء والذكر ، والحفاظ عليها مروءة ونبل ، فهي صاحبة رأي
وارادة ، واثقة ورفعة • ففاطمة بنت الخرشب كانت احدى ثلاث عرفن
بالمنجبات ، وقبلها حبية بنت رياح الغنوية أم الاحوص ، وماوية بنت
عبد مائة بن مالك • وكان لفاطمة ثلاثة أبناء يعرفون بالكلمة وهم الربيع
وعمارة وأنس (٣٨) •

وفي يوم أغار حمل بن بدر الفزاري على بني عبس ، وهي القبيلة
التي تنتهي اليها فاطمة فأسرها ، فلما أخذ بخطام البعير ، وابتعد بها عن
الحي وأهله ، صاحت به ، وطلبت منه تركها ، لان الناس سيقولون في
هذا الحال ما شاءوا • فرد عليها : « اني اذهب بك حتى ترعي ابلي »
فلما أيقنت أنه ذاهب بها رمت بنفسها على رأسها من البعير ، فماتت
خوفا من أن يلحق بينها عار فيها (٣٩) •

ومن الاسماء التي غدت مضرب المثل في الوفاء بين النساء فكيهة ،
ومما يروى من أمرها ان السليك بن السلركة أغار على بني عواد (بطن
من بني مالك) ، فلم يظفر منهم بفائدة ، وأرادوا مساورته • فقَالَ
شيخ منهم : انه اذا عدا لم يتعلق به شيء ، فدعوه حتى يرد الماء ، فاذا
شرب وثقل لم يستطع العدو وظفرتهم به ، فلما علم أنه مأخوذ جاملهم
وقصد لادنى بيوتهم حتى ولج على امرأة منهم يقال لها فكيهة ، فاستجار

(٣٨) أبو الفرج الاصفهاني ١٩/١٦ ساسي •

(٣٩) أبو الفرج الاصفهاني ٢١/١٦ ساسي •

بها ، فمنعته وجعلته تحت درعها واخترت السيف وقامت دونه ،
فكاثروها فكشفت خمارها عن شعرها وصاحت بأخوتها فجأؤها ودفعوا
عنها حتى نجا من القتل ، فقال السليك في ذلك (٤٠) :

لعمر اييك والابناء تنمي لنعم الجار أخت بني عوارا
من الخطرات لم تفضح اباها ولم ترفع لآخوتها شنارا
كأن مجامع الارداف منها نقى درجت عليه الريح هارا
يعاف وصال ذات البذل قلبي ويتبع المنعنة النوارا
وما عجزت فكيهة يوم قامت بنصل السيف واستلبوا الخمارا

والحرب التي قامت بين عبس وذيان ، والتي ظلت مستعرة نحوا
من اربعين سنة ، لم يفكر في اطفاء نارها الا امرأة • ولم تتمكن من
اطفائها الا بما لها من المكانة وحسن الرأي ، وذلك ان بهيسة بنت أوس ،
لما زوجها ابوها من الحارث بن عوف المري ، وأراد أن يدخل عليها ،
قالت : أتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتل بعضها • قلت : (والخطاب
لزوجها) : فيكون ماذا ؟ ، قالت : أخرج الى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ،
ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك • فقلت : والله اني لارى همة وعقلا ،
ولقد قالت قولاً • قال : فاخرج بنا • فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا
فيما بينهم بالصلح ، فاصطلحوا على ان يحتسبوا القتلى ، فيؤخذ الفضل
من هو عليه • فحملنا عنهم الديات • فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث
سنين فانصرفنا بأجمل الذكر (٤١) •

وقد اشتهر فريق من نساء الجاهلية بنظم الشعر وحفظه وتقده •
حتى ان أبا نواس وحده كان يروي لستين شاعرة ، وجمع الاب لويس
شيخو مجموعة لشواعر النساء ، صنف فيه لما يزيد على ثلاثين شاعرة
جاهلية ، وكذلك فعل بشير يموت في كتابه شاعرات العرب في الجاهلية

(٤٠) أبو الفرج الاصفهاني : الاغاني ١٣٧/١٨ ساسي •

(٤١) أبو الفرج الاصفهاني : الاغاني ٢٩٦/١٠ دار الكتب •

والاسلام .

وقد حفل الادب الجاهلي باسماء كثير من الامهات اللواتي كان
لهن شأن كبير في الحياة الجاهلية ، ومشاركة طيبة في الادب الجاهلي ،
منهن أم أوس ، وأم تابط شرا ، وأم ثواب الهزانية ، وأم السليك بن
السلكة ، وأم محارب زوجة النابغة الجعدي ، وأم هيثم زوجة عمرو بن
الاهتم ، وغنية بنت الحشرج ، وفاطمة بنت الخرشب وعشرات غيرهن .

ومن مبلغ اهتمام العرب بالمرأة ظاهرة النسب الام . فقد نسب
كثير من الشعراء الى أمهاتهم ، وهذا ما دفع محمد بن حبيب الى تصنيف
رسالة فيمن نسب الى امه من الشعراء ، وقد جمع فيها لما يربو على
المائة والثلاثين من الشعراء (٤٢)

وقد حملت هذه المكانة السامية للمرأة بعض الباحثين من
المستشرقين على القول بأن العرب كانت تتبع في الازمنة القديمة نظام
الامومة . وهو النظام الذي ينسب فيه أهل القبيلة أو الامة الى امهاتهم
بدلا من ابائهم . ومن هؤلاء المستشرقين الذين بحثوا في موضوع
الامومة ونظام العائلة باجيهوت ودارغون واميرا وويلكن وستارك
وسمث وغيرهم (٤٣) .

ولو رجعنا الى أدلة هؤلاء جميعا ، لما وجدنا قولاً صريحا او ثابتا
في تأييد رأيهم ، وانما كل ما هنالك اشارات وامور لا تقوم أدلة كافية
ومقنعة على ما اعتمدهم . فانتساب بعض القبائل او البطون او
العشائر الى امهاتهم وتأنيث اسماء القبائل واشتقاق لفظ الامة من الام ،
واطلاق لفظ الخال على أهل الام ، وتعدد أنواع الزواج ، وامتلاك بعض
النساء عصمتن بالطلاق ، وغير ذلك مما عول عليه أصحاب هذه النظرية

(٤٢) محمد بن حبيب : من نسب الى أمه من الشعراء ضمن مجموعة

نوادير المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون .

(٤٣) جرجي زيدان : انساب العرب القدماء ص ١٨

في أثبات بعض اقوالهم ، لا يجوز اعتباره دليلا على ان أساس الاسرة عندهم المرأة ، وانما على العكس ، يمكن اعتباره من الادلة القويصة على احترام منزلة المرأة ، كما ان وجود هذه الاحوال في جاهلية العرب لا ينافي انتسابهم الى اباؤهم •

أما قضية احوال الزواج فلا يمكن اعتبار ذلك قاعدة ، بل هي تعد من الشواذ ، واذا جاز لنا ان نجعل الشواذ قواعد لتسدت الاحكام •

ومن هنا كانت الادلة التي ساقها ويلكن^(٤٤) وسمت وغيرهما في اثبات نظريتهم حول وجود الامومة عند العرب غير كافية ، لان التاريخ يثبت عكس ما جاءوا به • فالمجتمع السامي يعد الرجل رأس العائلة • والزوج هو السيد ، كما ان القرآن الكريم لم يورد في نص من نصوصه فقرة تشير الى الامومة ، أو تدل على وجودها ، أو أثر شيوعها ولو على سبيل النقد ، أو النهي ، أو الاصلاح ، ثم ان القبائل التي نسبت الى الام قليلة جدا ، وهو امر لم يكن غريبا حتى في عصرنا هذا • والشعراء الذين نسبتوا الى امهاتهم لم يكونوا من الكثرة اذا قيسوا بغيرهم من الشعراء ، وهناك ردود اخرى ، يمكن الرجوع اليها في كتاب انساب العرب القدماء^(٤٥) ونظرية الانساب في الميزان^(٤٦) •

وطبيعي ان يدفع اصحاب هذه النظرية الى انكار الانساب العربية كما فعل سمث ، الذي قال : ان الانساب العربية اختلقت منذ زمن عمر (رضي) لكي يستطيع تنظيم العطاء^(٤٧) •

-
- (٤٤) ويلكن : الامومة عند العرب ، تعريب بندلي الجوزي •
(٤٥) جرجي زيدان : انساب العرب القدماء ص ٢٢ - ٢٧ ، والدكتور صالح احمد العلي في محاضرات في تاريخ العرب ص ١٣٩ ، ومحمد عبدالمعيد خان : الاساطير العربية قبل الاسلام ص ٦٤ •
(٤٦) عبد الوهاب حمودة : نظرية الانساب في الميزان •
(٤٧) روبرت سمث : القرابة والزواج عند العرب (الفصل الاول) بالانكليزية •

والرد على ستم لا يحتاج الى كثير من العناء ، لان الاخبار التاريخية عن حياة النبي (ص) وحروب الردة ، تؤيد وجود هذه القبائل كوحدات مستقلة في معظم انحاء الجزيرة ، وقد وردت اسماء هذه القبائل في الشعر الجاهلي ، وهو يلقي ضوءا هاما على العلاقات بينها . كما ان الرسول عليه الصلاة والسلام ، كان يؤكد على حفظ الانساب ، وما قول عمر بن الخطاب (رضي) ببعيد عنا حين قال : « تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل أحدهم عن أصله قال من قريسة كذا » (٤٨) .

فهل يصح بعد هذا ان نقول ان العرب لم تكن تربطهم بالنسب رابطة . وهل يصح بعد هذا ان تكون الانساب موضوعة في عصر متأخر أو أن الانساب وضعت لتنظيم العطاء كما يدعي ستم ؟

واذا فرضنا جدلا ان الانساب وضعت في القرن الاول الهجري ، فكيف ترضى القبائل التي أبعدها النسبون عن النسب النبوي ، قتل عطاؤها أو ضعفت حقوقها ؟ وكيف لا تحتج على ذلك ؟ ولم لم تظهر مظاهر الاحتجاج في أخبار المؤرخين ؟ ولم سكت الشعوييون عن ذلك ؟

لقد تمتعت المرأة باحترام الرجل في العصر الجاهلي ، فهي لا تزوج الا بعد اخذ موافقتها . وكان لها الحق في رفض من لا تريده من الرجال ، كما حصل بالنسبة للخنساء حين رفضت دريد بن الصمة (٤٩) ، وكما وقع لهند بنت عقبة ، فقد جاءها ابوها يشاورها في رجلين من قومها رغبا في الزواج منها فقالت صنفهما لي فوقع اختيارها على واحد منهما فتزوجته (٥٠) .

كما كان للمرأة حق التملك ، فجليلة بنت المهلهل كان لها ابل يرعاها

(٤٨) ابن خلدون : المجلد الاول من تاريخه ص ١٠٩ .

(٤٩) القالي : الامالي ١٦١/٢ .

(٥٠) القالي : الامالي ١٠٤/٢ .

زيد الخيل (٥١) ، وكانت خديجة بنت خويلد تاجرة ذات شرف ومال ،
تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم (٥٢) ، كما
كانت كذلك اوسط نساء قريش نسبا ، وأعظمن شرفا ، واكثرهن
مالا (٥٣) .

وقد ورد في الاخبار ان قسما من الشعراء كانوا يعتذرون لنسائهم
عن اعمال قاموا بها أو ارتكبوها ، كشن الغارات ، أو ركوب المخاطر ،
كما وقع لابي الطمجان القيني مع امرأته (٥٤) . وكما وقع لازهر بن هلال
التيمي حين انتهى من حربه ، وقص على زوجته امره ، فقال لها وكأنه
يطلب منها الصفح أو الاعذار (٥٥) :

أعاتك ما وليت حتى تبددت رجالي وحتى لم اجد متقدما
أعاتك أفناني السلاح ومن يطل مقارعة الابطال يرجع مكلما

وقد تميزت هذه الظاهرة في شعر الصعاليك . ويعد عروة بن
الورد خير من يمثل هذه الظاهرة من بين الشعراء الصعاليك ، فهو
يقول مخاطبا امرأته عندما نهته عن الخروج في غزوة مع أصحابه
لما تخوفت عليه من الهلاك (٥٦) :

أرى أم حسان الغداة ، تلومني تخوفني الاعداء والنفس أخوف
تقول سلمي : لو أقت لسرنا ولم تدراني للمقام أطوف
لعل الذي خوفتنا من اماننا يصادفه في أهله المتخلف

(٥١) الاصفهاني : الاغاني ١٦ / ٥٠ ساسي .

(٥٢) ابن هشام : السيرة ١ / ٢٠٣ .

(٥٣) ابن هشام : السيرة ١ / ٢٠٥ .

(٥٤) الاصفهاني : الاغاني ١٣ / ٨ دار الكتب .

(٥٥) زكي المحاسني : شعر الحرب في أدب العرب ص ٣٧ . .

(٥٦) ديوان عروة ص ٩١ - بيروت .

ويقول أيضا وكانت امرأته قد نهته عن الغزو (٥٧) :

أفلي علي الموم يا بنت منذر ونامي وان لم تشتهي النوم، فاسهري
ذريني ونفسي ، أم حسان انبي بها قبل أن لا أملك البيع مشتري

كما نلاحظ ان قسما من الشعراء قد ارتضى المرأة حكما ، كما
جرى في قصة أم جندب وكيف فاضلت بين امرىء القيس وعلقمة (٥٨) .

لقد كان احترام الرجل للمرأة واضحا ، انعكست صورته في الشعر
والادب والتاريخ . لانها عاشت الى جانبه ، وشاركته عيشه في الدعة
والاضطراب ، وقاسمته الحياة في السراء والضراء ، فاصطلى جسدها
بنيران الحرب والسبي والقتل ، واضطرم قلبها بنيران الحب والهوى .

المرأة في الحرب :

لقد كان للمرأة دور كبير في الحرب ، لانها رمز القوة المعنوية ،
يستلهمها الرجل في ساعات الشدة والضييق ، فيستمد عزما من رؤيتها
الى جابه ، فتثور فيه الحمية والحماسة والشجاعة . . .

وقد رويت لنا مواقع كثيرة رافقت فيها النساء الرجال الى ميادين
القتال حتى اذا رأين دائرة الحرب أوشكت ان تدور على قبيلتهن ،
حسرن البراقع وكشفن الشعور وبرزن الى المعركة ، يستثرن حمية
الرجال ، ويدفعنهم الى الدفاع عنهن وحمائتهن من السبي وهوانه .
قال عمرو بن كلثوم في معلقته (٥٩) :

على أثارنا بيض كسرام نحاذر أن تفارق أو تهونا (٦٠)

(٥٧) ديوان عروة ص ٦٣ - بيروت .

(٥٨) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٥٨ .

(٥٩) التبريزي : شرح القصائد العشر ص ٢٤٧ .

(٦٠) نساؤنا خلفنا نقاتل عنهن ونحذر ان نفارقهن او يصرن الى غيرنا

ويقع عليهن الذل والهوان .

طعائن من بني جشم بن بكر
 أخذن على بعولتهن عهدا
 اذا ما رحنا يمشين الهوينا
 يثقتن جيادنا ويقلن لستم
 اذا لم نحمهن فلا بقينا
 وما منع الطعائن مثل ضرب
 خلطن بيسم حسبنا ودينا (٦١)
 اذا لاقوا فوارس معلمينا (٦٢)
 كما اضطربت متون الشاريننا (٦٣)
 بعولتنا اذا لم تمنعونا (٦٤)
 لشيء بعدهن ولا حيننا
 ترى منه السواعد كالقلينا (٦٥)

واذا كان ا كبار الشجاعة واحترام مظاهر البطولة يستحقان
 الاعجاب والتقدير من جميع الاشخاص ، فان اعجاب المرأة بهما أشد ،
 وتقديرها لهما أعظم ، لحاجتها الشديدة الى من يعولها ويعني بشأنها
 ويدافع عنها .

وكانت حماية المرأة جزءا من الخطة الحربية عند العرب دائما ، فما
 يروى في ذلك : أن قبائل مذحج عندما خرجت في يوم فيف الريح تريد
 بني عامر كان معها النساء والذراري حتى لا يفروا . اما ظفروا واما
 ماتوا جميعا (٦٦) .

فالعربي يحارب حتى آخر رمق فيه ، ذابا عن نسائه اللاتي كن
 اذا جد الجد ، واشتبت الرماح ، صحن القبيلة ووقفن خلف الصفوف

- (٦١) طعائن : جمع طعمينة وهي المرأة في الهودج . الميسم : الحسن . أي
 لهن مع جمالهن حسب ودين .
- (٦٢) البعول : جمع بعل وهو الزوج وأصله في اللغة ما علا وارتفع .
- (٦٣) ابدان : جمع بدن وهو الدرع من الزرد أو الدرع عامة . البيض :
 الحديد والمعنى أنهم يسلبون اعداءهم ويسوقونهم أمامهم أسرى
 مقيدين بالسلاسل .
- (٦٤) يثقتن من القوت ، وكانوا لا يرضون للقيام على الخيل الا بأهليهم
 اشفاقا عليها ، ويقلن أنتم لستم لنا أزواجا ان لم تدافعوا عنا .
- (٦٥) القلون : جمع قلة وهي الخشبة التي يلعب بها الصبيان .
- (٦٦) ابو عبيدة : النقائص بين جرير والمفرزدق ١٢٧/٢ تصحيح الصاوي

حتى اذا وجدن دائرة الحرب تدور على قبيلتهن كشفن عن وجوههن ،
لما يداخلهن من الرعب أو تشبها بالآماء ليأمن السبي وليثرن الحمية في
نفوس الرجال فيدفعنهم الى الاستماتة ، قال عمرو بن معد يكرب (٦٧) :

لما رأيت نساءنا يفحصن بالمعزاء شدا (٦٨)

وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدى (٦٩)

نازلت كبشهم ولم أر من نزال الكبش بدا (٧٠)

وفي يوم جدود (٧١) الذي وقع بين بني منقر من تميم ، وبين بكر
من ربيعة نادى الاهثم بن سمي بأعلى صوته : يا آل سعد ، ونادى
الحارث : يا آل وائل • وشد كل واحد منهما على صاحبه واحقوا بنو
منقر فقاتلوا قتالا شديدا ، ونادت نساء بني ربيعة : يا آل سعد ، فاشتد
قتال بني منقر لما نادى النساء ، فهزمت بكر بن وائل وخلوا ما كان في
أيديهم من السبي والاموال ولم تكن لرجل منهم همة الا أن ينجسوا
بنفسه وتبعتهم منقر فمن قتل وأسير •

فالمرأة كانت تثير الهمم في نفوس الرجال ، وتحرضهم على القتال •
فعندما التقى الرسول (ص) وأصحابه مع جيش المشركين في أحد ودنا
بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذت
الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول (٧٢) :

(٦٧) أبو تمام : الحماسة : شرح المرزوقي ١/١٧٧

(٦٨) المعزاء : الارض الحزنة ذات الحجارة ومعناه يؤثرن لشدة العدو في
المعزاء .

(٦٩) وبرزت هذه المرأة كاشفة عن وجهها سافرة •

(٧٠) كبش الكتيبة : رئيسها

(٧١) أبو عبيدة : النقائض بين جرير والفرزدق ٢/٣٤

(٧٢) ابن هشام : السيرة ٣/١٣ •

ويها^(٧٣) بني عبد الدار ويها حماة الادبار^(٧٤) ضرباً بكل بتار^(٧٥)

وتقول :

ان تُقبلوا نُعائق وقرش النمارق^(٧٦)

أو تُدبروا تفارق فراق غير وامق^(٧٧)

وكانت بعض النسوة يشتركن في الحرب فعلاً ، فقد ذكر سعيد بن زيد الانصاري أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلت على أم عمارة ، فقلت لها : يا خالة ، أخبريني خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعني سقاء فيه ماء ، فاتميت الى رسول الله (ص) وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين^(٧٨) فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله (ص) فقممت بأبشر القتال ، واذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح اليّ ، فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت ، ما أصابك بهذا ؟ فقالت : ابن قمئة أقماه الله^(٧٩) ، لما ولى الناس عن رسول الله (ص) أقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا ، فاعترضت له انا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله (ص) فضربني هذه الضربة ، فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كانت عليه درعان^(٨٠) . ويذكر الرواة أن لقيطاً كان يصحب ابنته دختنوس في غزواته^(٨١) . وكانت النساء يحملن القتلى بعد انتهاء المعارك .

(٧٣) ويها : كلمة معناها الاغراء والتحريض .

(٧٤) الذين يحمون اعقاب الناس .

(٧٥) البتار : السيف القاطع الماضي في ضربته .

(٧٦) جمع نمرقة وهي الوسادة الصغيرة .

(٧٧) الوامق : المحب .

(٧٨) الدولة : القلبة .

(٧٩) أذله وأحقره .

(٨٠) ابن هشام : السيرة ٣/٣٠ .

(٨١) الاصفهاني : الاغانى ١١/١٣١ دار الكتب .

وكان الغناء الحربي من شأن النساء لما في تغنيهن من تأثير في نفوس الرجال ، ولم يكن شيء يثير حماسة الرجال ويدفعهم الى الاقدام مثل غناء النساء ، لان في بروزهن الى المعارك وغنائهن ما يثير عاطفة الرجال ، ليزيدوا ثباتا في الحرب ولتدب الشجاعة الى نفوسهم ، فيستقتلوا في الدفاع عن اعراضهم ، ويستमितوا في سبيل شرف القبيلة .

فهند بنت النعمان بن المنذر - والتي كانت تلقب بالحرقه - طلبها كسرى من أبيها للزواج فأبى النعمان أن يزوجها ، فجدد كسرى الجنود وفتك بالنعمان . وهربت هند ملتجأة الى بوادي العرب في خفاء ، فأجارتها صفية الشيبانية ، وحارب قومها كسرى وجنوده ، مما اضطر كسرى الى جمع جيش كبير ، ودارت المعركة الفاصلة في التاريخ (يوم ذي قار) فلما اشتد البأس ، رأس القوم عمرو بن ثعلبة الشيباني (أخو صفية) فسفرت هند بين يديه وقالت (٨٢) :

حافظ على الحسب النفيس الارفع بدمججين مع الرماح الشرع
وصوارم هندية مصقولة بسواعد موصولة لم تمنع
وسلاهب من خيلكم معروفة بالسبق عادية بكل سميعدع
واليوم يوم الفصل منك ومنهم فاصبر لكل شديدة لم تدفع
يا عمرو يا عمرو الكفاح لدى الوغى ياليث غاب في اجتماع المجمع
أظهر وفاء يا فتى وعزيمة أتضيع مجدا كان غير مضيع

وكرمة بنت ضلع وهي أم مالك بن زيد فارس بكر كانت تهيج الرجال في الحرب بقولها ، منسدة مع النساء (٨٣) :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

(٨٢) لويس شيخو : شعراء النصرانية القسم الاول ص ٢٣ وبشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ٢٣ مع بعض الخلاف .

(٨٣) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ٤٢ .

مشي القطي البارق المسك في المفارق
والدر في المخانق ان تقبلوا نعانق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق
عرس المولي طالق والعار فيه لاحق

وهند بنت حذيفة بن بدر الفزاريه تعرض قومها على الاخذ بثأر
أخيها حصن بن حذيفة ، وكان قد قتل يوم وقعة حجر (٨٤) :

تطاول ليلي للمهوم الحواضر وشيب رأسي يوم وقعة حاجر
اعمري وما عمري علي بهيّن ولا حالف برّ كآخر فاجر (٨٥)
لقد نال كرز يوم حاجر وقعة كفت قومه أخرى الليالي الغوائر (٨٦)
فله عينا من رأى مثله فتى تناوله بالرمح كرز بن عامر
فيا لبني ذبيان بكتوا عميدكم بكل رقيق الحد أبيض باثر
وكل رديني أصم كعوبه ينوء بنصل كالعقيقة زاهر

وأم قرفة زوجة حذيفة بن بدر كانت عزيزة الجانب ، يضرب
بعزها المثل قتل قيس بن زهير ابنها قرفة وحمل ديته الى ابيه فرضيها،
فلما علمت بذلك قالت ترثيه وتعيّر زوجها بقوله الدينة (٨٧) :

حذيفة لا سلمت من الاعادي ولا وقّيت شر النساءبات
أقتل قرفة قيس فترضى بانعام ونوق سارحات
أما تخشى اذا قال الاعادي حذيفة قلبه قلب البنات
فخذ ثأرا باطراف العوالي وبالبيض الحداد المرهفات
والاخني أبكي نهاري ويلي بالدموع الجاريات

- (٨٤) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ٤٦ .
(٨٥) الحالف البر : الصادق في يمينه .
(٨٦) تريد أن كرزاً قتل سيذا كريما فاكسب ذلك قومه شرفا الى
آخر الدهر .
(٨٧) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ٤٣ .

لعل منيتي تأتي سريعاً وترميني سهام الحوادث
فذاك أحب من بعل جان تكون حياته اردا الحياة

هذه طائفة من شاعرات الجاهلية ، وهناك غيرهن كثيرات من
الشاعرات المواتي لعبن دورا كبيرا في استشارة الهمم وتحريض الرجال
للدفاع عن الحمى ، وقد زخر الادب العربي بصور كثيرة لبطولاتهن
النادرة في كل مجالات الحياة .

وكثيرا ما استفتت النساء في أغانيهن الرجال بهتكم مر ، ومثل هذا
التهكم يدفع بالعربي الى الاستماتة في القتال ، والاندفاع وراء الثأر غير
مفكر في شيء ، لثلاثت به النساء ، ولهذا السبب كان الرجال
يبدلون أقصى ما يستطيعونه في سبيل المحافظة عليهن من أجل حمايتهن
من السبي . وكان الحفاظ على الطعينة في مجاهل الصحراء ومفازاتها
دليلا من أدلة البطولة والفروسية . وكان الفارس الحقيقي يسير بطعنته
في الصحراء منفردا ، وكان لقب حامي الطعينة من الالقاب التي يفتخر
بها الفارس ويعتز ، لانه رمز من رموز القوة والشجاعة .

وقد كثرت أحاديث الطعينة في شعر الشعراء، وضرب المثل بحمايتها.
فما رواه صاحب الاغاني في أخبار ربيعة بن مكرم قوله (٨٨) :

خرج دريد بن الصمة في فوارس من بني جشم ، حتى اذا كانوا
بواد لبني كنانة يقال له الاخرم ، وهو يريد الغارة على بني كنانة ، رفع
له رجل من ناحية الوادي معه طعينة ، فلما نظر اليه قال لفارس من
أصحابه ، صح به ان خل عن الطعينة وانج بنفسك ، وهو لا يعرفه .
فانهى اليه الرجل ، فصاح به ، وألح عليه ، فلما أتى القى الزمام وقال
للطعينة :

(٨٨) الاصفهاني : الاغاني ١٦/٦٥ دار الكتب ، القاىي : الامالي ٢/٢٧١
ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/١٧٠ - ١٧٣ .

سيري على رسلك سير الآمن سير رداح ذات جأش ساكن
ان اثنائي دون قرني شائني وابلي بلائي واخبري وعائني

ثم حمل على الفارس فقتله ، وأخذ فرسه ، فأعطاه الطعينة فبعث دريد
فارسا آخر ، لينظر ما صنع صاحبه ، فرآه صريعا ، فصاح به ، فتصامم
عنه ، فظن أنه لم يسمعه فغشيه ، فألقى الزمام اليها ، ثم حمل على
الفارس ، فطعنه فصرعه ، وهو يقول :

خلَّ سبيل الحرّة المنيعة انك لاق دونها ربيعة
في كفه خطيّة مطيعة أو لا فخذها طعنة سريعة
فالتعن مني في الوغى شريعة

فلما أبطأ على دريد بعث فارسا آخر لينظر ما صنعا . فانتهى اليهما
فرأهما صريعين ، ونظر اليه يقود طعينته ، ويجرر رمحه ، فقال له
الفارس : خل عن الطعينة . فقال لها ربيعة : اقصدي قصد البيوت ، ثم
أقبل عليه فقال :

ماذا تريد من شتيم عابس ألم تر الفارس بعد الفارس (٨٩)
أرداهما عامل رمح يابس

ثم طعنه فصرعه ، وانكسر رمحه ، فارتاب دريد وظن انهم قد
أخذوا الطعينة ، وقتلوا الرجل فلحق بهم ، فوجد ربيعة لا رمح معه وقد
دنا من الحي ، ووجد القوم قد قتلوا . فقال دريد : أيها الفارس ، ان
مثلك لا يقتل ، وان الخيل نائرة باصحابها ، ولا أرى معك رمحا ،
وأراك حديث السن ، فدونك هذا الرمح ، فاني راجع الى اصحابي ،
فمشبط عنك ، فأتى دريد أصحابه ، وقال : ان فارس الطعينة قد حماها ،
وقتل فوارسكم ، وانتزع رمحي ، ولا طمع لكم فيه ، فانصرف القوم .
وقال دريد في ذلك :

(٨٩) شتيم : كرية الوجه .

ما أن رأيت ولا سمعت بمثله
أردى فوارس لم يكونوا نهزة
متهلل تبدو أسرة وجهه
يزجى ظعينة ويسحب رمحه
وترى الفوارس من فخامة رمحه

فقال ربيعة :

ان كان ينفعك اليقين فسائلي
هل هي لأول من اتاها نهزة
اذ قال لي ادنى الفوارس ميتة
فصرفت راحلة الظعينة نحوه
وهتكت بالرمح الطويل أهابه
ومنحت آخر بعده جياشة
ولقد شفعتهما بأخر ثالث
عني الظعينة يوم وادي الاخرم
لولا طعان ربيعة بن مكدم
خل الظعينة طائعا لا تندم
عمدا ليعلم بعض ما لم يعلم
فهوى صريعا لليدين والقم
نجلاء فاغرة كشدق الاضجم (٩٣)
وأبى الفرار لي الغداة تكرمي

ثم لم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدم ، أن أغاروا
على بني جشم رهط دريد ، فقتلوا واسروا وغنموا ، وأسروا دريد بن
الصمة ، فأخفى نسبه ، فبينما هو عندهم محبوس ، اذ جاء نسوة يتهادين
اليه • فصرخت امرأة منهن ، فقالت : هلكنم واهلكنم ، ماذا جر علينا
قومنا ؟ هذا والله الذي اعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة ثم القت عليه
ثوبها وقالت : يا آل فراس ، أنا جارة له منكم ، هذا صاحبنا يوم
الوادي • فسألوه من هو ؟ فقال : أنا دريد بن الصمة ، فمن صاحبي ؟
قالوا ربيعة بن مكدم ، قال : فما فعل ؟ قالوا : قتله بنو سليم ، قال :

(٩٠) نهزة : فرصة لمن يريدهم بشر .

(٩١) يمينه من اليمن أي توجه ظافرا ميمونا . (٩٢) البغاث : الطيور

الضعيفة . والاجدل : الصقر .

(٩٣) جياشة : طعنة تجيش بالدم . والاضجم : صفة من الضجم ،

وهو عوج في الفم وميل في الشدق .

فمن الظعينة التي كانت معه ؟ قالت المرأة : ربيعة بنت جذل الطعان ، وأنا هي ، وأنا امرأته • فحبسه القوم وأمروا انفسهم ، وقالوا : لا ينبغي أن تكفر نعمة دريد على صاحبنا • وقال بعضهم والله لا يخرج من أيدينا الا برضا المخارق الذي أسره • وانبعثت المرأة في الليل فقالت :

سنجزي دريدا عن ربيعة نعمة وكل فتى يجزى بما كان قَدَمَا
فان كان خيرا كان خيرا جزاؤه وان كان شرا كان شرا مذمما
سنجزيه نعمى لم تكن بصغيرة باعطائه الرمح السديد المقوما
فقد ادركت كفاه فينا جزاءه وأهل بأن يجزى الذي كان انما
فلا تكفروه حق نعماه فيكم ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما
فلو كان حيا لم يضق بشوابه ذراعا ، غنيا كان او كان معدما
ففكوا دريدا من اسار مخارق ولا تجعلوا البؤسى الى الشر سلما

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم ، فأطلقوه وكسته ربيعة وجهازه ، ولحق بقومه ولم يزل كافا عن غزو بني فراس حتى هلك •

وكما سمي ربيعة بن مكدم حامي الظعينة سمي حنظلة بن ثعلبة مقطع الوضن^(٩٤) لأنه قطع وضن النساء في يوم ذي قار ليدفع الرجال الى الاستماتة والقتال ، فعندما قام قال : يا معشر بكر • ان الشباب التي مع هؤلاء الاعاجم تفرقكم فعالجوا اللقاء وابدأوا بالشدة • وقال هاني بن مسعود : يا قوم : مهلك معذور خير من منجى مغرور • ان الجزع لا يرد القدر وان الصبر من أسباب الظفر • المنية خير من الدنية • واستقبال الموت خير من استدباره ، فالجد الجد ، فما من الموت بد ، ثم قام حنظلة بن ثعلبة ، فقطع وضن النساء ، فسقطن الى الارض وقال :

(٩٤) الوضيئة : الكرسي المنسوج ، والوضين : بطن عريض منسوج من سيور أو شعر والوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب والحزام للسرّج • والوضين : بطن منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير وقيل الوضين يصلح للرحل والهودج والبطان للقتب خاصة (لسان العرب ج ١٧ ص ٣٤٢) •

ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته ، فسي مقطع الوضن (٩٥) .
 وفي غزوة أحد ، خرجت قريش بجدها وحديدها وأحاييشها
 ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظعن (٩٦) ،
 التماس الحفيظة (٩٧) ، وأن لا يفروا ، فخرج أبو سفيان بن حرب ، وهو
 قائد الناس (معه) بهند ابنة عتبة . وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم
 حكيم بنت الحرث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن
 المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة (٩٨) .

كما كانت المرأة عاملا قويا من عوامل استمرار الحروب بين
 القبائل العربية ، بتحريضها على أخذ الثأر ، فلو لم تتغن بسوس بنت
 منقذ خالة جساس حينما اصاب كليب سرايا ناقة جاراها الجرمي ، لما
 اندفع جساس الى قتل صهره كليب ، ولما وقعت حرب بسوس (٩٩) .
 ولو لم تعير كبشه أخت عمرو بن معد يكرب قومها ، وتشر في نفوسهم
 الحمية ، وتهجم لادراك الثأر ، وترك التباطوء والتكاسل ، لما ثار
 قومها ، ووقعت بينهم الحرب (١٠٠) .

كما روى الراوون أن ذؤاب بن اسماء العبسي ، قتل عبدالله بن
 الصمة - وكان ذؤاب بطلا أيذا قويا - فلبث دريد يترقبه ، حتى
 أعياه ، فلما انقضى الحول ، ولم يأخذ بثأر أخيه ، قالت أمه ريحانه
 بنت معد يكرب : يا بني . ان كنت عجزت عن طلب الثأر بأخيك ،
 فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد ، فأتف لذلك . وحلف لا يدسهن ولا

(٩٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٩٦) الظعن : جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج واصلها الهودج فلما
 كانوا لا يطلقون على الهودج ظعينة حتى تكون فيه النساء ، توسعوا
 فاطلقوها على المرأة .

(٩٧) الحفيظة : الانفة والفضب .

(٩٨) ابن هشام : السيرة ٣/٥ - ٦ .

(٩٩) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/٢١٤ .

(١٠٠) الاصفهاني : الاغاني ١٤/٢٣ ساسي .

يكتحل ولا يمس طيبا ولا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يدرك ثأره .
ثم استجمع بعس وفاجأهم ، وأوقع بهم واقتاد ذؤابا أسيرا وذهب
به الى فناء أمه ، فقتله بمرقب منها ثم قال لها : هل بلغت ما في نفسك ؟
قالت : نعم . متعت بك (١٠١) .

لقد كانت المرأة مبعث الهمم ، فكانت الكلمة تخرج من فيها هادئة
وادعة فيكون لها أبعاد الآثار في اثارة النفوس .

أما مشاركتها في غناء الحرب ، فقد كانت مشاركة فعالة ، فكمن
يذهبن مع الرجال - كما مر - الى ساح المعارك فيثرن في قلوب الرجال
الحماسة والاقدام ويحضضنهم على لقاء الاعداء والصبر على ذلك ويثشن
فيهم روح المقاومة والاستماتة ، وأي رجل يرى ذات خدر تخوض
غمرات الحرب ، وتقاتل قتال الابطال ، ولا تثار نخوته ، وتضطرم الحمية
في نفسه ، فيندفع في حومة الوغى ساخراً بالموت ، ولا يأبه لصلصلة البيض ،
ولا يجزع من رنين القسي ، ولا يخشى التماع الأسنة ؟ .

وقد ازدهرت صفحات الادب الجاهلي ببطولة بعض النساء
اللواتي خلدن أمجادهن ، ورسمن أروع المآثر الخالدة ، وبذلك حفل
التاريخ العربي بمواطن سامية لها وآيات رفيعة لمناقبها ، التي تستحق
كل تقدير واجلال .

فهذه صفية بنت ثعلبة الشيبانية تخاطب قومها وتستشير في نفوسهم
الهمم ليكونوا أكثر ثباتا في المعركة ضد كسرى وجيوشه عندما غزوههم
فتقول : (١٠٢) :

ماذا ترون بني بكر فقد نزلت كبرُ الذوائب والاخري على الاثر
أصبرون لشعواء مملسةٍ فيها الاعاجم بالنشاب والوتر

(١٠١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٧١٣/٥ .

(١٠٢) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ١٦ .

أم لستم أهل صبر في لوازمها عند الحفائظ والجارات والخقر
أنى أجرت بكم يا قوم فاصطبروا فالصبر يحلل فوق الانجم الزهر
ايها أجيوا بني بكر حجيجتكم ما عندكم ويحكم من غاية الخبر (١٠٣)
يا أيها الشم أتم حافظو ذمي واتم فلعمري العز من عمري
أما صبرتم فلا ادعو لغيركم وان جزعتم انادي كل ذي حضر
بكل سام الى الهيجاء ذي شرف واري الزناد كريم الجد من مضر
ذي مرة لا يخاف الجند ان كثروا في سادة قادة معروفة صبر

فاجابها قومها الى طلبها ، وقاموا على الاستعداد للقاء جند
كسرى ، فلما قدموا ، أقبلت صفية على قومها تحرضهم وتشجعهم ،
فرقة فرقة ، وقبيلة قبيلة ، فخاطبت بني حنيفة بقولها (١٠٤) :

ايها أجيوا الضرب يا حنيفة فاتم الجمجمة الشريفة
ان الجنود حولكم كثيفة فلا تهلكم وتزدكم خيفة

ثم أقبلت على بني لجيم فقالت (١٠٥) :

لجيم قومي وبنو أيننا ليسوا لدى الهجامعكينا
بل ظافرون وحماة فينا العز فيهم حين يلجمونا
ويسرحون ثم يحملونا ايها بني الاعمام فانصرونا

ثم اقبلت الى بني عجل وفيهم أبوها وأخوها وهي تردد شعرا تثير
فيه حسبتهم (١٠٦) ، ثم مرت على بني ذهل وبني شيبان فسارت وهم
من خلفها وهي تقول شعرا (١٠٧) .

فحمل العرب على جنود كسرى (الذي كان يقود جنوده في تلك

(١٠٣) حجيجتكم : لقب الشاعرة صفية بنت ثعلبة .

(١٠٤) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ١٦

(١٠٥) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ١٦

(١٠٦) نفس المصدر ص ١٧

(١٠٧) نفس المصدر ص ١٧

الوقعة) • وتكاثر جنود العجم على العرب ، حتى كادوا يهزمون •
فقامت صفية تقطع الجبال ، فسقطت النساء عن الجمال ، ورأى رجالهن
ذلك فعمقوا على القتال عطفة من لا يرجو الحياة ، وصاحت صفية
بأعلى صوتها تنادي أخاها (١٠٨) :

يا عمرو يا عمرو القتى بن ثعلبه حام على جارتك المستقربة

وهكذا انتهت معركة ذي قار بانتصار العرب ، فكانت معركة
فاصلة في حياتهم ، بذل الرجال فيها ما يستطيعون من قوة ، وبذلت
النساء ما يملكن من شجاعة وبطولة ••

الحرب :

الحرب ظاهرة بشرية صحبت الانسان منذ فجر التاريخ ، وان
تباينت الصور التي جاء فيها القتال ، ولا بد ان يكون الامر قد بدأ
قتالا بين أفراد ، للتنازع على ملكية شيء ما ، مهما كانت قيمة هذا
الشيء ، وان هذا القتال قد بدأ تماسكا بالأيدي ، او تقاذفا بالاحجار ،
أو تضاربا بالعصي • ولكن الفكرة لا تخرج عن نطاق القوة الجسدية
التي كانت عاملا له قيمته في تلك البيئة •

فالحياة البدوية ، بطبيعتها الصحراوية ، وظروفها الحيوية •
كانت منطلقا واسعا ، وميدانا فسيحا لقيام الحرب • وهي في الوقت
نفسه وهبت العربي حب الانطلاق ، فعاشت الحرية في دمه فقدسها •
وجعلها مثلا عاليا من مثله • وتقليدا محترما من تقاليدته ، فهو يابى
العبودية ، ولا يرضى بها من أية جهة كانت ، ويتنرد على الهوان ولا
يخضع للمذلة ويفضل الموت ، وهو يقتل تحت صليل السيوف ، من
أن يعيش عبدا ذليلا في ظل نعيم وافر :

(١٠٨) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ١٨ •

تفود ونأبى أن تقاد ولا نرى تقوم علينا في مكارمهم فضلا (١٠٩)
والحرب • أكبر ميدان لتدريب الفرسان ، فيها يتقوم الضعيف ،
ويشدد ساعده ، ويقوى عوده ليكون اهلا للنزال اذا التحمت المعارك ،
واشتدت المنازعات ، وليذود عن حماه ، ويدافع عن الحقيقة ، ويصون
العرض ، ويرفع اسم القبيلة عاليا في مجالات المجد والرفعة والسؤدد ،
قال الطفيل الغنوي (١١٠) :

وفينا ترى الطثولى وكلّ سميذع مُدرب حرب وابن كل مدرب (١١١)
طويل نجاد السيف لم يرض خُطّة

من الخسف وراذ الى الموت صقعب (١١٢)
وفينا رباط الخيل كل مطهم رجيل كسرحان الغضا المتأوّب

فهذه الطبيعة وهذا المزاج ، كانا يؤديان الى اصطدام مع القبائل
الآخري التي كانت تؤمن ايمانا كليا باخضاع القبائل لمشيئتها ، فبعض
القبائل كانت تسعى وراء المجد الرفيع ، والسلطان الشامل على حساب
القبائل الآخري ، وهذا بطبيعته كان يدفع القبائل الى التناحر والتصادم
محافظة على وحدتها وسمعتها ، ويدفع بكثير من القبائل القليلة العدد
والتي تستشعر بتهديد الحرب لها على تكوين الاحلاف (١١٣) دفاعا عن
المصالح المشتركة ، وتقوية لنفوذها • وكانت معظم القبائل داخلية
في هذه الاحلاف ، الا عددا قليلا منها لا تدخل مع غيرها ، وتسمى

(١٠٩) شعر الافوه الاودي ص ٢٢ الطرائف الادبية .

(١١٠) شعر الطفيل الغنوي ص ٤ - ٥ كرنكو .

(١١١) السميذع : السيد الموطأ الاكناف او السيد الذي يلاذ به ويضاف
في كنفه .

(١١٢) الصقعب : الطويل .

(١١٣) الاصل في الحلف ان يكون بين قبائل او عشائر ، كانت مرتبطة
فيما بينها برباط ، تتفاوت وثاقته . والظاهر انهم كانوا يرمون
من اقامة هذا الحلف الى توحيد الجماعات التي كانت مفرقة الكلمة
وقد كان لقسم من هذه الاحلاف اهمية كبيرة ، لانها عقدت للاخذ
بناصر المظلومين ، كما هو الحال بالنسبة لحلف الفضول .

هذه القبائل « جمرات العرب » • منها بنو عامر بن صعصعة ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضبة ، وبنو عيس ، فاذا تحالفت اطفئت • فقد جاء في كتاب التاج قول أبي عبيدة : « اطفئت جمرتان من جمرات العرب ، بنو ضبة لانها صارت الى الرباب فحالفتها • وبنو الحارث ، لانها صارت الى مذحج فحالفتها • وبقيت بنو نمير الى الساعة ولم يدخل بينها أحد (١١٤) •

وتتميز هذه القبائل عن غيرها بقوتها ، وكثرة عددها • فكانت تتفاخر بنفسها لانها لا تعتمد على حليف يدافع عنها ، بل كانت تأخذ حقها بيدها • وتنال ثأرها بسلاحها ، كما ان بعض القبائل كانت تشرك مواليها في الحرب اذا وجدت حاجة لذلك ، الى جانب الصرحاء ، كما فعلت مذحج في يوم الكلاب ، والى ذلك يشير ربيعة بن مقروم فيقول : (١١٥) :

وساقت لنا مذحج بالكلاب مواليها كلها والصميما (١١٦)
فدارت رحانا بفرسانهم فعادوا، كأن لم يكونوا، رميما
بطعن يجيش له عاند وضرب يفلق هاما جثوما

ومما تقدم ، نستطيع أن نقول ان العرب كانوا يخوضون الحرب من أجل مظاهر الخصب كلها ، الى جانب أسباب أخرى ، منها اجارة المستجير التي كانت تكفي للمحاربة في سبيل ايوائه ، أو حماية الجار ، أو الدفاع عن العرض ، والاخذ بالثأر ، والوصول الى الرئاسة والزعامة • ومع ذلك فان اباة النفوس عندهم ، مع ما هم عليه من الشجاعة والبأس ، وما هم عليه من المجاورة والاتصالات ، كانت

(١١٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣/٣٦٧ ، ابن رشيق : العمدة ٢/١٨٨

(١١٥) الفضل الضبي : المفضليات ١/١٨٢ . وكما فعلت قريش في فتح مكة ، حيث استعانت بالاحباش لمعاونتها .

(١١٦) الموالي هنا : الحلفاء ، الصميم ، الصريح . الخالص في نسبه وأراد بالكلاب ، الواقعة بين مذحج وتميم .

تقتضي المنافسة لامور كثيرة . فكم لطفة جرت حربا كما حصلت حرب داحس والغبراء التي تحدثنا عنها في « أيام العرب » ، وكلمة رمّلت المئات كما هو الحال بالنسبة لحرب البسوس (١١٧) وحروب الاوس والخزرج الطويلة التي كانت بسبب كلمة قالها رجل يقال له سُمير فجرت ذلك الويل الطويل (١١٨) ، ونظرة يتمت الوفاً من الاطفال (١١٩) وضربة فرشت البر جياجم (١٢٠) .

(١١٧) ومن حديثها انه عندما اعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مجامعة بني شيبان ومساعدتهم على قتال اخوتهم ، واعظموا قتل جساس كليباً رئيسهم بناب من الابل ، انقبض الحارث بن عباد في اهل بيته ، واعتزل الحرب حتى قتل ابنه نجير بن الحارث ، ويقال انه كان ابن أخيه . . . فلما بلغ الحارث قتله ، قال : نعم القليل قتيل اصلح بين بني وائل ، وظن ان المهلهل قد أدرك به ثأر كليب وجعله كفأ له فقيل له : انما قتله بشسع نعل كليب . وذلك ان المهلهل لما قتل بجبرا قال : بؤ بشسع نعل كليب . ففضب الحارث ابن عباد ، وكان له فرس يقال لها النعامه . فركبها وتولّى امر بكر فقاتل تغلب حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب .
(ابن عبد ربه العقد الفريد ٢٢٠/٥)

(١١٩) كما وقع في يوم الفجار الثاني . وكان الذي هاجه ان فتية من قريش قعدوا الى امرأة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ ، وقالوا بل اطاف بها شباب من بني كنانة وعليها برقع وهي في درع فضل فأعجبهم ما رأوا من هيئتها ، فسألوها ان تسفر عن وجهها ، فأبت عليهم . فأتى أحدهم من خلفها ، فشد دبر درعها بشوكة الى ظهرها وهي لا تدري ، فلما قامت تقلص الدرع عن دبرها ، فضحكوا فنادت المرأة يا لعامر ، فتجاوز الناس ، وكان بينهم قتال ودماء سيره ، فحملها حرب بن أمية وأصلح بينهم .
(ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٥٢/٥)

(١٢٠) كما وقع في الفجار الاول عندما كان بدر بن معسر الكناني يمد رجله في سوق عكاظ ويقول : انا أعز العرب ، فمن كان أعز منها فليضربها بالسيف ، فضربها الاحمر بن هوازن فكان بين القبيلتين التشاجر .
(ابن رشيقي : العمدة ٢٠٧/٢)

ومهما تكن اساليب الحروب التي وقعت في الجاهلية • فان
قسما منها كانت بدافع الحصول على الكلاؤ والمرعى ، كما حصل
بالنسبة ليوم سفوان ، عندما التقوا بنو مازن وبنو شيبان على ماء
يقال له سفوان ، فزعت كل واحدة منهما انه لها (١٢١) •

وكما وقع في يوم هرا ميت بين الضباب وجعفر بسبب بئر اراد
أحد أن يحتقرها (١٢٢) ، وكما وقع في غيرهما من الايام ••

وكان القسم الآخر منها بدافع الاستيلاء على اكبر قدر من الغنائم
والاسرى • فقد روي أن أبا براء عامر بن مالك (ملاعب الاسنة) ، كان
يلح على ضرار ، طمعا في فدائه أثناء حرب يوم السلان ،
التي وقعت بين بني عامر بن صعصعة وبين قوم النعمان بن المنذر ، وجعل
بنوه يحمونه ، فلما رأى ذلك أبو براء قال له : لتموتن أو لاموتن دونك ،
فأحلني على رجل له فداء ، فأوماً ضرار الى حبيش بن دلف - وكان
سيدا - فحمل عليه أبو براء فأسره ، وكان حبيش أسود مخيفا دميما ،
فلما رآه كذلك ظنه عبدا ، وان ضرارا خدعه ، فقال أنا لله الا في الشؤم
وقعت ، فلما سمعها حبيش منه خاف أن يقتله ، فقال ايها الرجل ان
كنت تريد اللبن ، فقد أصبته • وأفتدى نفسه بأربعمائة بعير (١٢٣) •

ومن وصية أكثم بن صيفي عندما بلغ قومه أن مذحجا وأحلافهم
عازمون على غزوهم قال : « البسوا جلود النمر ، والثبات أفضل من
القوة ، اهنأ الظفر كثرة الاسرى ، وخير الغنيمة المال » (١٢٤) •

ان نفس العربي وما فطرت عليه من شجاعة وابهاء وشمم وفروسية

(١٢١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٠١/٥

(١٢٢) ابن رشيق : العمدة ٢٠٤/٢

(١٢٣) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢٦١/١

(١٢٤) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢٦١/١

كانت تجعل الحرب قريبة منه ، مألوفة لديه ، بل محبوبة عنده في كثير من الاحيان ، لانه يعدها مجالا لبطولته ، وامتحانا لمواهبه ، فالمجتمع الجاهلي كان يؤمن بالقوة ايمانا جعلها من مقومات الحياة ، وعنصر اساسيا من عناصر البقاء ، كما جعل الغزو السبيل الوحيد لاستمرار هذا البقاء ، فالحروب كانت ضرورة للحصول على العيش ، وتحقيق الكرامة والحرية ، ثم صارت غاية يفتخر بها . فكانت بالنسبة لهم المشغلة الاساسية ، وكانوا يعدون ابناءهم لها اعدادا ، لانها مسرح الرجولة والبأس ، ووسيلة الظفر بالثناء ، والعمل المثير لاجاب المرأة بهم .

وكان الفارس يدرك ثقل المهمة الملقاة على عاتقه ، والعاطفة المتأججة في نفسه ، لتركه الابناء ، وابتعاده عنهم ، ولكنه لم يستطع كبح جماح نزوته في الانتصار والغلبة والحصول على الابل والغنائم التي لا يسقيها الساقى الا بعد شق النفس والجهد الجهد لكثرتها ، قال سلامة ابن جندل (١٢٥) :

تقول ابنتي ان انطلقك واحدا الى الروع يوما تاركا لا اباليا
 دعينا من الاشفاق أو قَدمي لنا من الحدثان والمنية واقيا
 ستلف نفسي أو سأجمع هجمة ترى ساقبيها يألمان التراقيا

لقد حفل الشعر الجاهلي بصور رائعة لغارات الفرسان ، وخوارق بطولاتهم ، ومثل تضحياتهم ، وصواب آرائهم في الحرب ، وطرائق هجماتهم وفنون القتال ، كما ان الشاعر الجاهلي استطاع أن يقدم لنا موضوعات كاملة في البطولة ، يتحرك فيها الافراد ، وتلتحم الاسنة ، وتطارد الخيل الخصم ، وتلتحم الفرق المتناحرة بطريق الكر والفر ، كما صور لنا الاسرى والسبايا والغنائم بأساليب شعرية رائعة ملأت حيزا واسعا من قصائده ، واصبحت الطابع المميز للشعر في هذه الفترة .

(١٢٥) ديوان سلامة بن جندل ص ٢١

قال زيد الخيل يصف نفسه وقد علا غبار المعركة وجهه فشمس عن ساقه استعدادا لها (١٢٦) :

رأتني كأشلاء اللجام ولن ترى أخا الحرب الا ساهم الوجه اغبرا
أخا الحرب انعضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال قيس بن الخطيم في حرب حاطب (١٢٧) :

دعوت بني عوف لحقن دمائهم فلما أبوا سامحت في حرب حاطب
وكنت امرءا لا ابعث الحرب ظالما فلما أبوا اشعلتها كل جانب
أربت بدفع الحرب حتى رأيتها على الدفع لا تزداد غير تقارب
فاذ لم يكن عن غاية الموت مدفع فأهلا بها اذ لم تزل في المراحب

والمفضل النكري من أصحاب المنصفات (١٢٨) يبدي اعجابه بأعدائه،
وينصفهم انصافا ظاهرا ، فالقتل قد وقع بين القبيلتين ، والسباع قد
شبت من عشيرته وعشيرتهم ، وبكت نساؤه ونساؤهم ، فشبوا في
الحرب ، وصبروا على مصائبها ، واحتملوا عواقبها . وفي ذلك أسى
آيات الفروسية وأروع أمثلة الخلق النبيل (١٢٩) :

(١٢٦) البحري : الحماسة ص ٣٧ وتنسب في حماسة ابن الشجري الى
حاتم الطائي ص ١٥ .

(١٢٧) ديوان قيس بن الخطيم ص ٣٢ تحقيق الدكتور احمد مطلوب
وابراهيم السامرائي ، وحاطب حليف للاؤس قتل فكانت بينهم
وبين قاتليه حرب في قتله .

(١٢٨) هي القصائد التي انصف قائلوها فيها اعداءهم ، وصدقوا عنهم
وعن انفسهم ، فيما اصطلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من
احوالهم دون مبالغة او مفالاة ، فذكروا بطولاتهم الى جانب بطولة
خصومهم ، انصافا لهؤلاء الابطال ، وتأيدا لهم في ثباتهم أمامهم .
والمنصفات كما ذكرها صاحب الاشباه والنظائر . ثلاثة ص ١٤٩ ،
وهي دليل من أدلة شعر الفروسية .

(١٢٩) الاصمعيات ص ٢٣٢ ، وذكرت أبيات منها في الاشباه والنظائر
ص ١٤٩ .

هَمُّ صَبْرُوا وَصَبْرَهُمْ تَلِيدٌ
 وَهُمْ دَفَعُوا الْمَنِيَّةَ فَاسْتَقَلَّتْ
 تَلَاقِينَا بَغِيَّةَ ذِي طَرِيفٍ
 فَجَاؤُوا عَارِضًا بَرْدًا وَجِئْنَا
 مَشِينًا شَطْرَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا
 وَكَمْ مِنْ سَيِّدٍ مَنَا وَمَنْهُمْ
 فَأَشْبَعْنَا السَّبَاعَ وَأَشْبَعُوهَا
 فَأَبْكِينَا نِسَاءَهُمْ وَأَبْكُوا
 عَلَى الْعِزَاءِ إِذْ بَلَغَ الْمُضِيقُ (١٣٠)
 دَرَاكَآ بَعْدَمَا كَادَتْ تَحِيْقُ
 وَبَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ حَنِيقُ (١٣١)
 كَسِيلُ الْعَرِضِ ضَاقَ بِهِ الطَّرِيقُ (١٣٢)
 وَقَلْنَا الْيَوْمَ مَا تَقْضَى الْحَقُوقُ
 بِذِي الطَّرْفَاءِ مَنْطِقَهُ شَهِيْقُ
 فَرَاخَتْ كُلُّهَا تَتَّقُ " يَفُوقُ (١٣٣)
 نِسَاءَ مَا يَسُوْغُ لَهِنَّ رِيْقُ

وقال المزرد بن ضرار العطفاني يفخر بشجاعته ويصف سلاحه (١٣٤):

وَقَدْ عَلِمْتَ فَتِيَانَ ذِيَانَ أَنِّي أَنَا الْفَارِسَ الْحَامِيَّ الذَّمَارَ الْمُقَاتِلَ
 وَأَنِّي أَرْدَا الْكَبِشَ وَالْكَبِشَ جَامِحَ وَأَرْجِعُ رَمْحِي وَهُوَ رِيَانَ نَاهِلَ (١٣٥)
 وَعَنْدِي إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانَ تَلْقَحَتْ
 وَأَبْسَدَتْ هَوَادِيهَا الْخَطُوبَ الزَّلَازِلَ (١٣٦)

وقال ربيعة بن مقروم يفخر بقومه ويصف شدة بأسهم في
 الحروب (١٣٧):

- (١٣٠) العزاء: الشدة .
 (١٣١) الغيبة: الهبطة من الأرض ، وطريف موضع بالبحرين كان لهم فيه وقعة .
 (١٣٢) عارضا ، أي كالعارض ، وهو السحاب يعترض في افق السماء ، العرض بكسر العين : الوادي .
 (١٣٣) التثق . المتليء . فاق ، يفوق ، فووقا . أخذه البهر .
 (١٣٤) ديوان المزرد ص ٣٥ .
 (١٣٥) كبش القوم : بطلهم وسيدهم . الناهل : الريان . وهو من الاضداد يقال أيضا للعطشان .
 (١٣٦) العوان : التي قوتل فيها مرة بعد مرة . تلقحت : أي حملت بالقتال . هواديتها : أوائلها .
 (١٣٧) الفضليات ج ١ ص ١٨١ .

بنو الحرب يوما اذا استلأموا حسبتهم في الحديد القروما (١٣٨)
تركنا عمارة بين الرماح عمارة عبس نزيفا كليما (١٣٩)
ولولا فوارسنا ما دعت بذات السليم تميم تميم (١٤٠)

وقد وصفوا شدتها أنها اذا باشرها الشيخ المجرب البصير غص
بريقه ، قال بشير بن عمرو بن مرثد (١٤١) :

قل لابن كلثوم الساعي بدمته أبشر بحرب تغص الشيخ بالريق
وصاحبيه فلا ينع صباهما اذفرت الحرب عن انايها الروق

نستطيع أن نستنتج مما مر أن العرب شغلوا بالحرب كثيرا ،
وانهم تحدثوا عنها بأشعارهم ، حتى أصبح الحديث عنها موضوعا
أساسيا من موضوعات شعرهم .

اساليب القتال :

لم تكن اساليب القتال في العصر الجاهلي اساليب موحدة ، أو
ذات انظمة معينة ، وانما تتحدد طريقة القتال بحسب طبيعة المقاتلين .
فالقبايل البدوية لها طريقة معينة ، تعتمد على الغارة في اغلب الاحيان ،
اما الدول العربية التي تمدنت قبل الاسلام كالحميريين والسبأيين
والمناذرة والغساسنة ، فكانت لها كتائب من الجند على نحو ما نعرف
عن الدوسر والشهباء (١٤٢) .

وكانت طريقة قتالها تعتمد على التنظيمات ، فكل مجموعة عليها

(١٣٨) استلأموا : لبسوا الامة وهي السلاح . القروم : فحول الابل .

(١٣٩) عمارة هو ابن زياد العبسي وهو أحد الكملة الثلاثة عمارة والربيع

وأنس وأمهم فاطمة بنت الخرشب الانمارية التي مر ذكرها .

(١٤٠) ذات السليم : موضع كان به يوم من ايامهم .

(١٤١) المفضل الضبي : المفضليات ٧٤/٢ .

(١٤٢) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ١٦٩/١ .

قائد تخضع له ، يليه ضابطان يقود كل واحد منهما مجموعة اقل، وهكذا تدرج القيادة حتى تصل الى طبقة الفرسان التي تقود اقل مجموعة من الجند (١٤٣) .

على اننا لا نريد ان نبحت الموضوع من خلال هذه التنظيمات ، لان ذلك يخرج بنا عن المجال الذي يدور فيه بحثنا وهو المجتمع الجاهلي في داخل الجزيرة العربية . ولذلك سنقتصر في البحث على طريقة القبائل في القتال والتي تعتمد على الكر والفر ، وهي الطريقة التي قامت على اساسها اكثر ايام العرب .

ولقد تحدث الشعراء عن معاركهم ، وعن اساليب القتال التي كانوا يسلكونها عند التقائهم بالعدو ، الا ان بداية المعركة كان يتحدد بالنسبة للظروف التي تسودها ، فاذا اخذ القوم على حين غرة ، حدث بينهم الفوضى وسادهم الاضطراب وخرجت النساء يملكهن الرعب والهلع . وقد صور لنا عوف بن عطية حالة قوم غزاهم في فتيان من عشيرته، فوصف ما اصاب نساءهم من ذهول واضطراب فقال (١٤٤):

ولنعم فتيان الصباح لقيتم واذا النساء حواسر كالعنقثر
من بين وازعة الخمار واختها تسعى ومنطقها مكان المئزر
ونكر اولاهم على اخراهم كر المحلّ عن خلّاط المصدر

وقد تلتقي القبائل احيانا ، ويبدأ القتال بطريقة المبارزة ، وذلك بأن يخرج من احد الفريقين فارس مشهور يطلب ان يخرج لمبارزته فارس آخر في مثل مركزه (١٤٥) ، وقد يطلب احد الفريقين الصراع أو

(١٤٣) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ١/١٦٨ .

(١٤٤) المفضل الضبي : المفضليات ٢/١٢٧ . العنقر : اصل البقل والقصب والبردى ما دام أبيض . المحلّ : البعير يمنع من ورود الماء . المصدر ههنا : صدور الابل عن الماء . وخالطها يريد مخالطتها ، يعني تطردهم كطرد الابل عن الماء .

(١٤٥) الواقدي : مغازي رسول الله ص ٤٩ .

الطعان أو المسابقة (١٤٦) .

وقد تحدث المبارزة بعد بدء القتال (١٤٧) ، فاذا انتهى النزال تراشقوا بالنبال (١٤٨) ، حتى اذا تقاربوا من بعضهم سلّوا السيوف . واذا تباعدوا تضاربوا بالرماح . واستعمال الرماح يكون عادة بالنسبة للمشاة ، واستعمال السيوف يكون بالنسبة للفرسان .

قال ائيف بن حكم النبھاني (١٤٩) :

فلما التقينا بين سيف بيننا صدور القنا منهم وعلت نهالها (١٥٠)
ولما تدانوا بالرماح تزلعت لسائلة عنا حفي سؤلها (١٥١)

وقد تقف جماعة من المقاتلين في المؤخرة لتحمي ظهور المحاربين ، وتكون هذه الجماعة عادة من الرماة (١٥٢) . كما يعهد اليها مهمة رشق الخيل بالنبل ، لان الخيل لا تقدم على النبل (١٥٣) . وكان للفرسان شعار يتعارفون به (١٥٤) ، وكلمة يتنادون بها في المعركة . وقد يكون هذا الشعار اسم جد القبيلة كما جاء في قول ائيف بن حكم النبھاني ايضا (١٥٥) :

فلما أتينا السفح من بطن حائل بحيث تلاقي طلحها وسيالها
دعوا لنزار واتميننا لطيء كاسد الشرى اقدامها ونزالها (١٥٦)

- (١٤٦) ابن الاثير: تاريخ الكامل ٢١٩/١ .
(١٤٧) الواقدي: مغازي رسول الله ص ١٧٦ .
(١٤٨) الواقدي: مغازي رسول الله ص ١٧٤ ، ص ٤٨ .
(١٤٩) ابو تمام: الحماسة . شرح المرزوقي ١٧٢/١ .
(١٥٠) الاحفاء يكون في السؤال عن الشيء ويكون بطلب الشيء من الغير وهو المبالغة فيهما .
(١٥١) يقول ولما تقاربنا باستعمال الرماح رويت القنا من دمائهم .
(١٥٢) الواقدي: مغازي رسول الله ص ١٧٥ .
(١٥٣) الواقدي: مغازي رسول الله ص ١٧٥ .
(١٥٤) نفس المصدر ص ٥١ .
(١٥٥) ابو تمام: الحماسة . شرح المرزوقي ١٧١/١ .
(١٥٦) انتمينا: انتسبنا أي قالوا: يا لنزار ، وقلنا نحن: يا لطيء .

اما قيادة الحرب فتكون لفارس القبيلة الذي يتسلم اللواء عند الحرب ، لتوفر مؤهلات الفروسية فيه ، كالشجاعة والبأس ، والمهارة في ركوب الخيل ، والقدرة على تدير امور الحرب واستعمال السلاح .

وقد عرف العرب الجاهليون اللواء والراية ، وللراية شأن كبير في الحرب . لان الناس انما يؤتون من قبل راياتهم ، اذا زالت زالوا . وقد كان في جملة مناصب قريش منصب اللواء ، ويسمونه (العقاب) باسم رايتهم يومئذ . وكانوا اذا خرجوا الى حرب اخرجوا الراية ، فاذا اجتمع رأيهم على أحد سلموه اياها والا فانهم يسلمونها الى صاحبها . وكان تارة من بني أمية وتارة من بني عبد الدار .

فقد كان صاحبها في موقعة بدر عقبه بن ربيعة ، وفي احد والخندق ابو سفيان ابن امية (١٥٧) .

على ان الحروب الجاهلية لم تعرف الجموع الحاشدة ، لان معظمها في الواقع لم تكن حروبا بالمعنى المفهوم لها ، فهي أقرب الى المناوشات والمصادمات المحلية منها الى الحروب ، وهذا ما لا يستوجب اعدادا كبيرة من المقاتلين ، والظاهر ان معدل الذين كانوا يشتركون في معظمها يقارب المئة ، فقد روى ابن قتيبة (١٥٨) ان عمر بن الخطاب (رض) سأل بعض بني عبس : كم كنتم يوم الهبأة (١٩٥) ؟ فقال : كنا مائة كالذهب ، لم نكثر فنتواكل ولم نقل فنذل . وروى ان عنترة العبيسي سئل : كم كنتم يوم الفروق (١٦٠) ؟ فقال : كنا مائة لم نكثر فنفسل ولم نقل

(١٥٧) ابن حبيب : المحبر ص ١٦٥ وجرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ٣٨/١ . وكان لابناء كليب وائل لواء ربيعة فكان في عنزة بن اسد ثم تحول اللواء في عبد القيس ثم تحول في النمر بن قاسط الخ ذلك . (ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢١٤/١) .

(١٥٨) ابن قتيبة : عيون الاخبار ١٢٥/١ .

(١٥٩) الهبأة : ارض لفظان ويومها من ايام العرب ، كان فيه النصر لعبس على ذبيان .

(١٦٠) الفروق : موضع بديار بني سعد . وهو يوم من ايام العرب المشهورة بين عبس وذبيان أيضا .

فذل •

ومع هذا فان جيش مدحج في يوم الكلاب الثاني بلغ ثمانية آلاف مقاتل ، وقيل انه لا يعلم جيش في الجاهلية كان اكبر منه ومن جيش كسرى ويوم ذي قار (١٦١) •

أما نهاية المعركة فلم تكن تقرر أمرا خطيرا في أغلب الاحيان • لان الغالب في المعارك ان تنتهي بالصلح ، او الاتفاق على دفع الديات والتنازل عن بعض الحقوق ، او غير ذلك مما تعارف عليه الناس في المجتمع الجاهلي •

وكانت المعركة تستوجب الاستعداد لها ، والتهيؤ لخوضها • ويتم ذلك بعقد الاحلاف مع القبائل المجاورة ، وشراء الخيل والسلاح ، ووضع الخطط اللازمة (١٦٢) ، وتأمين المحافظة على النساء والذراري في أماكن مأمونة ، او اصطحابها الى المعركة اذا استوجب الامر ، وارسال الطلائع للاستكشاف والاطلاع •

أما معاملة الاسرى فلم تكن تخضع لنظام معين ، فالاسرى غنائم توزع على المحاربين كبقية الغنائم ، وللمحارب الخيار في التصرف باسراهم • فان شاء استخدمهم في أموره الخاصة • وان شاء اكتفى بجز ناصيتهم واطلق سراحهم (١٦٣) • قال حسان بن ثابت (١٦٤) :

كم من أسير فككناه بلا ثمن وجز ناصية كنا مواليها

وكان البعض يحسن معاملتهم ، ويفرد لهم بيوتا خاصة ، فيطلقون

-
- (١٦١) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢٦٠/١ وينظر تقسيم المحاربين في نهاية الارب ١٩٠/٦ •
(١٦٢) ابن الاثير : تاريخ الكامل ١٩٦/١ •
(١٦٣) ابو عبيدة : النقائص بين جرير والفرزدق تصحيح الصاوي ١١٥ ، ١٥/٢ •
(١٦٤) ديوان حسان بن ثابت ص ٢٥٩ •

فيها ويتمتعون بكامل حريتهم بها ، وكانت المحافظة على ارواحهم - في نظر هذا البعض - واجبا تقتضيه الاصول ، وتوجيه الانظمة • وعلى العكس من ذلك كانت وفاتهم او التعرض لهم سبة وعارا •

فعندما ظفر عمرو بن مالك احد بني قيس بن ثعلبة بالمهمل فأسره ، احسن اساره ، ومر عليه تاجر يبيع الخمر - وكان صديقا للمهمل - فاهدى اليه - وهو اسير - زقا من خمر ، فاجتمع شبان من قيس بن ثعلبة ونحروا عنده بكرا وشربوا عند مهمل في بيته الذي افرد له (١٦٥) •

ولما اسر ابو مليل امتنع عن الطعام ، وكان يؤتى له به فيطرد عنه الكلاب مخافة ان تأكله فيظنوا انه أكله هو حتى جهد • فلما رأوا جهده قال بشر بن قيس لآخيه بسطام : اني لا آمن ان يموت اسيرك في يديك هزلا فتسبك به العرب (١٦٦) •

وقد ذكر ابن اسحاق : ان ابا عزيز بن عمير شقيق مصعب بن عمير - كان في اسرى بدر - قال: كنت في رهط من الانصار حين اقبلوا بي من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز واكلوا التمر لوصية رسول الله (ص) (١٦٧) •

والواقع ان الحرب قد حبت الى نفوس العرب خصال الشجاعة والنجدة والبأس والقوة وهي صفات حميدة تتنافى وصفات الخور والضعف والجبين والهلع ، فكانوا يتمادحون بالموت في الهيجاء وميادين الحروب قطعاً باطراف الرماح او سقوطاً تحت ظلال السيوف •

قال الحصين بن الحمام المري (١٦٨) :

(١٦٥) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢٢١/١ •

(١٦٦) ابو عبيدة : النقائص ٢١/١ •

(١٦٧) ابن هشام : السيرة ٦٤٥/١ •

(١٦٨) ابو تمام : الحماسة شرح المرزوقي ١٩٧/١ •

تأخرت استبقي الحياة فلم اجد لنفسي حياة مثل ان اتقدما
فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على اقدامنا تقطر الدما

وقال عنتره (١٦٩) :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني اصبحت من غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها ان المنيّة منهل لا بد ان أسقى بكأس المنهل
ان المنيّة لو تشل مثلت مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل

والشعر الجاهلي مليء بهذه الصور ، حافل بهذه البطولات ، لانه ديوان العرب الكبير ، الذي يضم بين ثناياه سجايهم الرفيعة ، ومثلهم القيمة التي رفعوها في جزيرتهم فكانت مثالا رائعا للفروسية ، ونموذجا حيا لصور البطولة .

والحرب تستوجب في بعض الاحيان الفرار والهزيمة اذا شعر الفارس بدائرة الحرب تدور عليه ، وعلم أن بقاءه في المعركة لا يكسبه الا القتل او الاسر ، وهذا ما يدفعه الى الفرار من المعركة . وكان بعض الفرسان يدافعون عن فرارهم هذا ، ويضفون عليه طابعا من الشرعية ويدعمون دفاعهم بالحجج والبراهين ليسوغوا لانفسهم ذلك دون ان يجدوا في هذا الدفاع غضاضة او امر ايدعو الى الخجل . فقالوا: الفرار في وقته خير من الثبات في غير وقته (١٧٠) . وقالوا ايضا : الحمام في الاقدام والسلامة في الاحجام (١٧١) . فهم لا يفرون لانهم جبناء ، فهم شجعان ولكنهم يرون ان القتال لا يجديهم نفعا ، وان استمرارهم في القتال يعني ورودهم مورد الهلاك ، لاستحالة مقاومتهم او كثرة خصومهم ، وما قصيدة عامر بن الطفيل في يوم « فيف الريح » الا صورة للمأساة التي كان يعانها الفارس ، وهو يحس بهول الفاجعة التي تنتابه ، وعظم

(١٦٩) الاعلام : مختار الشعر الجاهلي ١/٣٨٩ .

(١٧٠) النويري : نهاية الارب ٣/٣٥٠ .

(١٧١) نفس المصدر : ٣/٣٥٠ .

المصاب الذي يحل به ويقومه فيقول (١٧٢) :

لقد علمت عليا هو اذن أنني انا الفارس الحامي حقيقة جعفر
وقد علم المزنوق أني اكره عشية فيف الريح كر المشهر (١٧٣)
اذا أزور من وقع الرماح زجرته وقلت له ارجع مقبلا غير مدبر
وانبأته ان الفرار خزاية على المرء ما لم يبل عذرا فيعذر
الست ترى ارماعهم في شرعا وانت حصان ماجد العرق فاصبر
وقد علموا اني اكر عليهم عشية فيف الريح كر المدور
وما رمت حتى بكل صدري ونحره نجيع كهذاب الدمقس الميسر
اقول لنفس لايجاد بشلها اقلتي المراح انني غير مقصر
فلو كان جمعا مثلنا لم يبننا ولكن اتتنا اسرة ذات مفخر
اتونا بشهران العريضة كلها واكلب طرافي لباس السنور (١٧٤)

وكان بعض الفرسان لا يجد غضاضة من فراره في يوم من الايام
ما دامت له مآثرة في الايام الماضية، قال عمرو بن معد يكرب يخاطب
اخته ريحانة وقد فر من بني عبس (١٧٥) :

اجاعلة أم الثوير خزاية علي فراري اذ لقيت بني عبس
نقيت ابا شأس وشأسا ومالكا وقيسا فجاشت من لقاءهم نفسي
لقونا فضموا جانينا بصادق من الطعن مثل النار في الحطب اليبس
ولما دخلنا تحت فيء رماحهم خبطت بكفي اطب الارض باللمس
وليس يعاب المرء من جبن يومه اذا عرفت منه الحماية بالامس

(١٧٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ٦١ .

(١٧٣) المزنوق : فرسه . وفيه الريح : مكان كانت الوقعة فيه .
ويروي على جمعهم كر المنيع المشهر .

(١٧٤) ويروي : اتونا بفرسان العريضة كلها ولعلها اصوب . والعريضة :
اليمن . وفرسانها قبائل مذحج ومراد وخثعم وزبيد وغيرها ،
والسنور : الدرع .

(١٧٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١/١٤٦ ، وتروى في حماسة البحترى
لاوس بن حجر التميمي مع اختلاف كثير ص ٥٢ .

كما ان قسما منهم يعلل خروجه من المعركة بسبب نفرة فرسه الذي ابتعد عن المعركة ، فترك أصحابه في مأزق ضيق يلاقون المصير في وقت كان خليقا به الثبات معهم وانهار البلاء في نصرتهم •

قال قيصة النصراني (١٧٦) :

ألم تر أن الورد عرّد صدره^١ وحاد عن الدعوى وضوء البوارق
واخرجني من فتية لم ارد لهم فراقا وهم في مأزق متضايق
ومن اشعار الفرارين الذين حسنوا الفرار قول الفرار
السلمى (١٧٧) :

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبتت تفضت لهايدي
وتركتهم تقص الرياح ظهورهم من بين مقتول وآخر مسند
هل ينفعني أن تقول نساؤهم وقتلت دون رجالها - لا تبعد
وكما عرف الفرسان بالفرار فقد عرف الصعاليك بالفرار ايضا ،
وخاصة صعاليك هذيل التي كانت تنزل الحجاز ، وقد اشتهر منهم
كثيرون • فحاجز الاسدي كان مع غارته كثير الفرار (١٧٨) •

واحاديث الفرار ظاهرة واضحة كل الوضوح في اخبار الهذليين ،
وللاعلم الهذلي قصيدة يتحدث فيها عن فراره ومطاردة الخصوم له ،
والفرع الذي اتابه عند اقترابهم منه ، ثم ينتقل الى الاعتذار عن فراره
بانه يخشى ان يقتل بسيوفهم فيصبح طعاما للضباع والطيور والذئاب
والثعالب ، ثم يصف اقترابه من اهله ، والامان الذي شعر به بعد
وصوله الى ارضهم • واخيرا يضيف على القصيدة طابع الكآبة عندما

(١٧٦) ابو تمام : الحماسة : شرح المرزوقي ٢/٦٢٠ •
(١٧٧) النويري : نهاية الارب ٣/١٣٩ ، وتروى في حماسة البحترى مع
اختلاف ص ٥٢ •
(١٧٨) الاصفهاني : الاغاني ١٣/٢١٥ • دار الكتب •

يتطرق الى ذكر اهله وفقدهم واولاده الصغار وحاجتهم اليه (١٧٩) .

لما رأيتُ القوم بال	علياء دون قدي المناصب (١٨٠)
وفريت من فزع فلا	ارمي ولا ودعت صاحب (١٨١)
يعرون صاحبهم بنا	جهدا واغرى غير كاذب
أغرى أباً وهب ليع	حزهم ومدوا بالحلاب (١٨٢)
وخشيت وقع ضريبة	قد جربت كل التجارب (١٨٣)
فاكون سيدهم بها	واصير للضبع السواغب (١٨٤)
جزرا وللطير المربسة	والذئب والثعالب (١٨٥)
وتجر مجرية لها	لحمي الى أجر حواشب (١٨٦)
حتى اذا اتصف النهاس	ر وقلت يوم "حق ذائب
رقعت عيني بالحجاس	زالى أناس بالمنساب
وذكرت أهلي بالعراس	ء وحاجة الشعث التواب (١٨٧)
المصرمين من التلا	د اللامحين الى الاقارب (١٨٨)

وكما علل عامر بن الطفيل فراره ، وبرر الاعلم هزيمته من خصومه

- (١٧٩) ديوان الهذليين ٧٧/٢ .
- (١٨٠) يقال قدى وقيد وقاد واحد ، ويقال قيد وقاد : رمح . والمناصب بلد . والمناصب : انصاب الحرم .
- (١٨١) فريت : تحيرت ودهشت .
- (١٨٢) الحلاب : الجماعات .
- (١٨٣) الضريبة : السيف .
- (١٨٤) السواغب : الجياح . وتروى في شرح اشعار الهذليين ، فآكون سيدهم بها للذئب والضبع السواغب
- (١٨٥) المربة : الثابتة .
- (١٨٦) المجرية : ذات اجر . والاجر جمع جرو . والحواشب المنتفحات البطون .
- (١٨٧) التواب : الجحاش الصغار يريد بها هنا اولاده .
- (١٨٨) المصرمين : المخفين ، واصله صاحب صرمة . والصرمة : القطعة من الابل ما بين الخمس الى العشر . اللامحين الى الاقارب : الى من يأتيهم من اقاربهم بشيء يأكلونه .

للحجج التي ذكرها ، دافع تأبط شرا عن فراره ايضا - مع انه ترك رفيقا له في المعركة - لانه لا يستطيع ان ينتظر حتى يدهمه مطارده الذين كانوا خلفه كالنحل ، ولا ان يبطيء حتى تصيبه السهام . ثم يرجع الى ذكر عذره الذي حملة على الفرار وهو الفرع من الموت على ايدي هؤلاء الاعداء (١٨٩) .

ألا تلكما عرسي منيعة ضمنت من الله اثماً مستسرا وعالنا
تقول تركت صاحبا لك ضائعا وجئت الينا فارقا متباطنا
ولم انتظر أن يدهموني كأنهم ورائي نحل في الخلية واكننا
ولا أن تصيب النافذات مقاتلي ولم ألكُ بالشد الذليق مداينا (١٩٠)
فارسلت مثنيا عن الشر عاطفا وقلت تزحزح لا تكونن حائنا
وحشحت مشعوف النجاء كأنني هجف رأى قصر اسمالا وداجنا (١٩١)
فزحزحت عنهم او تجئني منيتي بغيراء او عرفاء تقرى الدفائنا
كأنني اراها الموت لادراً درها اذا امكنت انيابها والبرائنا (١٩٢)

وأبو خراش لا يفر لانه جبان ، بل هو يقاتل ولكنه اذا شعر
بالمهلكة تحيط به نجا بنفسه (١٩٣) :

- (١٨٩) الاصفهاني : الاغاني ٢١٣/١٨ .
(١٩٠) الشد : العدو . والذليق : الحاد .
(١٩١) النجاء : الاسراع . والمشعوف هنا : من اصيب قلبه بذعر .
الهجف : الظليم . والقصر هنا : اختلاط الظلام . والسمال :
جمع سملة وهي بقية الماء في الحوض ، ويكون الشاعر بهذا يصور
فزع الظليم حين اخذ الظلام يختلط والمطر يسقط ، او حين
رأى عند اختلاط الظلام ماء عنده صياد متربص .
(١٩٢) العرفاء : الضبع .
(١٩٣) ديوان الهذليين ١٦٩/٢ وفيه شعر كثير بهذا المعنى ، ٨٣ ، ١٣٠ ،
١٤٢ ، ١٦٨ وافرده البحترى في حماسته بابا فيما قيل في الاقرار
بالفرار (الثاني عشر) ، وبابا فيما قيل في الاعتذار عن الفرار
(السابع عشر) ، وبابا فيما قيل في حسن الفرار (التاسع عشر) ،
وبابا فيما قيل في الفرار على الأرجل (الباب الخامس والعشرين) ،

فان تزعمي أني جنت فانتني افر وأرمي مرة كل ذلك
اقاتل حتى لا ارى لي مقاتلا وانجو اذا ما خفت بعض المهالك

الا أن العرب كانت تعتبر الفرار من اقبح ما يهجي به الرجل على
الرغم من كل التبريرات التي يبرر بها الفارون اسباب فرارهم — فعندما
اراد هابي الشيباني أن يحرض قومه على القتال يوم ذي قار قال : يا بني
بكر • هالك معذور ، خير من ناج فرور • المنية ولا الدنية ، استقبال
الموت خير من استدباره ، الثغر في ثغور النحور ، خير منه في الاعجاز
والظهور ، يا بني بكر : قاتلوا فما من المنايا بد ، الجبان مبغض حتى
لامه ، والشجاع محبب حتى لعدوه (١٩٤) •

أيام العرب :

هو الاسم الذي اطلقتها الروايات العربية على الحروب التي قامت
بين قبائل العرب في الجاهلية ، وان قسما من هذه الايام لا يتحدث عن
معركة ذات اهمية ، وانما يتحدث عن معارك ومناوشات قليلة الاهمية ،
لا تشترك فيها القبائل بأسرها ، بل تنشب بين عدة بيوت او بضعة أفراد.
وقد سميت الايام وعرفت باسماء الاماكن التي وقعت فيها هذه المعارك،
كيوم كلاب وشعب جبلة واراب وجدود واعشاش، أو بأسماء الاشخاص
او الحوادث البارزة فيها ، كيوم البسوس ويوم حليمة ويوم داحس ،
أو باسماء الصفة التي تميزت بها كيوم تحلاق اللحم ويوم الفجار. وهذه
الايام تبدأ بسيطة ، ثم تتسع وتتعاظم ويستفحل امرها فتشمل قبائل
كاملة وكثيرا ما تكون بدايتها نزاعا حول مرعى او ناقة او دفعا لاهانة.

وبابا فيما قيل في الفرار على الخيل (السادس والعشرين) ،
وكذلك فعل الخالديان في كتاب الاشباه والنظائر من اشعار
المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، وخصصا بابا في وصف الفرار،
والعدو على الرجلين والاعتذار من الفرار ص ١٧٥ .
(١٩٤) النويري : نهاية الارب ٣/٣٤٧ •

وايام العرب ينبوع غزير ، ومعين ثريمد الدارسين باحوال العرب وعادانهم وقيمهم ومثلهم التي دافعوا عنها ، وتوضح لنا معالم بطولتهم وفروسيتهم التي شغلت حياتهم كلها ، على ان قسما من هذه الاخبار المتعلقة بالفرسان قد تضخمت وتوسعت فاصبحت اقرب الى الاساطير منها الى الحقائق .

وايام العرب كثيرة ودائمة لدوام منازعاتهم ، وقيل انها سميت اياما لان المعركة كانت تستغرق يوما واحدا او بعض يوم في اكثرها ، او لانها كانت تدور نهارا ، على أن هذا لا يمنع من استمرارها مدة طويلة كما حصل في حرب داحس والغبراء والبسوس وحرب البعاث والفجار .

والظاهر ان ايام العرب في الجاهلية لم تصل اليها اخبارها ، لاسباب كثيرة تتعلق بالتعصب القبلي ، او غيره من الاسباب . ومما يقال في ذلك ان ابا عبيدة المتوفى سنة (٢١١) للهجرة صنف في الف يوم ومائتين منها ، كتابا اعتمد عليه من جاؤا بعده . ولم يصل اليها هذا الكتاب ، وانما وصل اليها شرحه لنقائض جرير والفرزدق وفيه طائفة كبيرة منها (١٩٥) ، ثم نقل عنه ابن حبيب بصورة مفصلة ، وتبعه بعد ذلك ابن عبد ربه وابن الاثير والنويري ، كما ان كتاب الاغاني يضم بعضا من هذه الايام .

والظاهر ان هذه الايام - وان رويت في عدة كتب - تكاد تكون متقاربة ، وان الفروق بينها لا تكاد تخرج عن فروق لفظية .

وهذه الايام تؤلف في الواقع القسم الاكبر من علم الاخباريين بتاريخ الجاهلية ، ومادتها القصص الذي تناقله الناس عن شهدوها وحفظوها في صدورهم ، وهي مادة محبوبة ، تناولها الناس في الجاهلية والاسلام بلذة وشوق ، فكانت هي والشعر من أهم احاديث المجالس .

(١٩٥) شوقي ضيف : العصر الجاهلي ص ٦٤ .

قيل لبعض اصحاب الرسول (ص) : ما كنتم تتحدثون به
اذا خلوتم في مجالسكم ؟ قال : كنا تتناشد الشعر ، وتحدث بأخبار
جاهليتنا ، واهم اخبار الجاهلية هي هذه الايام (١٩٦) .

وكان مفهوم الايام يتضمن المآثر والبطولات التي نسعى لها
القبيلة لتدخلها ضمن سجل الفخر وتدونها الى جانب امجادها .

وقد كانت ايام العرب المشهورة ضرورة لتصفية القيم ، ولاكتمال
النظام القبلي بكل مآثره ، لان القبائل العريضة وقفت وجها لوجه ،
تعرض ما لديها في زحمة التنافس ، وفي غمرة هذا التنافس تبلورت
تلك القيم ، واخذت شكلها الاخير الذي عرفت به ، واشتهرت
باصالته .

ومن ايامهم المشهورة يوم جدود ، وهو ماء في ديار بني سعد من
بني تميم ، وفيه اغار الحوفزان (الحارث بن شريك الشيباني) على
بني تميم هو وابجر بن جابر العجلي ، خرجا متساندين يريدان الغارة
على بني تميم . فمرا ببني يربوع وهم بجدود ، فلما رأوهما نهدا
اليهما وحالوا بينهما وبين الماء وارادوا قتالهما (١٩٧) .

وفيف الريح وهي ارض بين ديار عامر بن صعصعة وديار
مذحج وخثعم . وفيه اغارت قبائل مذحج وخثعم ومراد وزبيد
ورئيسهم ذو الغصة (١٩٨) الحصين بن يزيد الحارثي على بني عامر وهم
منتجعون فيه ، فأغنت يومئذ بنو عامر ورئيسهم ملاعب الاسنة ، وفقئت
عين عامر بن الطفيل طعنة مسهر بن يزيد الحارثي (١٩٩) .

ويوم إراب وهو ماء من مياه بني يربوع (٢٠٠) . وفيه غزا الهذيل

(١٩٦) ابن الاثير : اسد القابة في معرفة الصحابة ١٩٣/٣ وانظر جواد

علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ٣٤٥/٤ .

(١٩٧) ابو عبيدة : النقائض بين جرير والفرزدق ١٣١/١ .

(١٩٨) لقب بذلك لانه كان بحلقه غصة لا يبين بها الكلام .

(١٩٩) ابو عبيد البكري : معجم ما استعجم ١٣٨/٣ .

(٢٠٠) نفس المصدر ١٣٣/١ .

ابن هبيرة الاكبر التغلبي ابو حسان ، فأغار على بني يربوع باراب فقتل منهم قتلا ذريعا واصاب نعما كثيرا وسبى سبيا كثيرا (٢٠١) .

وقد اعتبر ابو عبيدة عظام أيام العرب ثلاثة : يوم كلاب ربيعة ، ويوم جبلة ، ويوم ذي قار (٢٠٢) . والواقع ان يوم ذي قار يعتبر من اشهر ايام العرب ، لما تركه في نفوسهم من اثر ، وما بعث فيهم من معنوية . وقد خلد الشعراء هذا اليوم ، واعتبروه من ايام انتصاراتهم الفاصلة في التاريخ . كما نددوا بالقبائل التي لم تشترك فيه . . . وقد ذكر عن النبي (ص) انه قال لما بلغه ما كان من ظفر ربيعة بجيش كسرى ، هذا اول يوم انتصفت العرب من العجم (٢٠٣) .

وذو قار ماء لبكر بن وائل ، قريب من الكوفة بينها وبين واسط ، وكان من حديث ذي قار ان كسرى لما غضب على النعمان بن المنذر بسبب عدي بن زيد وزيد ابنه في قصة طويلة . . . أتى النعمان طيئا فأبوا ان يدخلوه جبلهم ، ثم مر في العرب ببني عبس فعرضت عليه بنو رواحة النصر ، فقال لهم : لا ايدي لكم بكسرى ، وشكر ذلك لهم ثم وضع وضائع له عند احياء العرب واستودع ودائع ، فوضع اهله وسلاحه عند هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود احد بني ربيعة بن ذهل بن شيان ، وتجمعت العربان مثل بني عبس وشيبان وغيرهم وارادوا الخروج على كسرى ، فاتى رسول كسرى بالامان على الملك النعمان ، وخرج النعمان معه حتى أتى المدائن ، فامر به كسرى فحبس بسابط ، فقيل : انه مات بالطاعون ، وقيل : طرحه بين ارجل القبيلة فداسته حتى مات . ثم قيل لكسرى : ان ماله وبيته قد وضعه عند هاني ابن قبيصة بن هاني بن مسعود الشيباني . فبعث اليه كسرى : ان اموال عبدي النعمان عندك فابعث بها الي ، فبعث اليه : ان ليس عندي

(٢٠١) ابو عبيدة : النقائص ٢/ ١٧٦

(٢٠٢) الاصفهاني : الاغاني ١١/ ١٣١ دار الكتب .

(٢٠٣) ابن الاثير : تاريخ الكامل ١/ ١٩٦ .

مال ، فعاوده فقال : امانة عندي ولست مسلمها اليك ابدا ، فبعث كسرى اليه الهامرز ، وهو مرزبانه الكبير ، في الف فارس من العجم وخنابير في الف فارس واياس بن قبيصة ، وكان قد جعله في موضع النعمان ملك الحيرة في كتيبتين شهاوين ودوسر وخالد بن يزيد البهراني في بهراء واياد ، والنعمان بن زرعه التغلبي في تغلب ، والنمر بن قاسط . و اشارت العرب المجتمعة عند هانيء بن قبيصة عليه أن يفرق دروع النعمان على قومه وعلى العربان ، فقال : هي امانة . فقبل له : ان ظفرك بك العجم اخذوها هي وغيرها ، وان ظفرت انت بهم رددتها على عاداتها ، ففرقها على قومه وغيرهم وكانت سبعة آلاف درع (٢٠٤) . وقال ابن الاثير اربعمائة درع ، وقيل ثمانمائة درع (٢٠٥) . وعبي بنو شيبان تعبئة الفرس ، ونزلوا ارض ذي قار . ووقعت بينهم الحرب ونادي منادي العرب : ان القوم يغرقونكم بالنشاب فاحملوا عليهم حملة رجل واحد . وبرز الهامرز فبرز اليه يزيد بن حرثة الاشكري فقتله واخذ ديباجه وقرطيه واسورته (٢٠٦) . وقد ذكر ابن الاثير (٢٠٧) ان كسرى ارسل اليهم النعمان بن زرعه يخبرهم واحدة من ثلاث . اما ان يعطوا ما بأيديهم ، واما ان يتركوا ديارهم ، واما ان يحاربوا . فولوا امرهم حنظله بن ثعلبة العجلي فاشار بالحرب . فآذنوا الملك بالحرب فارسل كسرى اياس بن قبيصة الطائي امير الجيش ومعه مرازبته الفرس والهامرز النسوي وغيره من العرب ، تغلب واياد وقيس بن مسعود بن قيس ذي الجدين ، وكان على طف سفوان فارسل الفيول (وكان قد بعث النبي «ص») فقسم هانيء بن مسعود دروع النعمان وسلاحه ، فلما دنت الفرس من بني شيبان قال هانيء بن مسعود : يا معشر بكر ، لا طاقة لكم في قتال كسرى فاركنوا الي القلاة ، فسارع الناس الي ذلك فوثب حنظلة

(٢٠٤) . ياقوت : معجم البلدان ٢٩٤/٤ طبع بيروت .

(٢٠٥) . ابن الاثير : تاريخ الكامل ١٩٩/١ .

(٢٠٦) . ياقوت : معجم البلدان ٢٩٤/٤ .

(٢٠٧) . ابن الاثير : تاريخ الكامل ١٩٩/١ .

بن ثعلبة العجلي وقال : يا هانيء أردت نجاينا فالقيتنا في الهلكة ورد
الناس وقطع وضمن الهوادج^(٢٠٨) - وهي الحزم للرحال فسمى مقطوع
الوضن - وضرب على نفسه قبة واقسم ان لا يفر حتى تفر القبة ،
فرجع الناس واستقوا ماء لنصف شهر، فاتتهم العجم فقاتلتهم بالجنود .
فأنهزمت العجم خوفا من العطش انى الجبابات^(٢٠٩) ، فتبعتهم بكر وعجل
وأبلى يومئذ بلاء حسنا ، اصطفت عليهم جنود العجم فقال الناس هلكت
عجل ثم حملت بكر فوجدت عجلا تقاتل ، فقاتلوهم ذلك اليوم، ومالت
العجم الى بطحاء ذي قار خوفا من العطش فارسلت ايام الى بكر وكانوا
مع الفرس وقالوا لهم ان شئتم هربنا الليلة وان شئتم اقمنا ونفر حين
تلاقون الناس ، فقالوا بل تقيسون وتنهزمون اذا التقينا . وقال زيد
بن حسان السكوني وكان حليفا لبني شيبان - اطيعوني واكنوا لهم
ففعلوا ثم تقاتلوا وحرص بعضهم بعضا وقطع سبعمائة من بني شيبان
ايدي اقيبتهم من مناكبها ، لتخف ايديهم لضرب السيوف . فجالدوهم
وبارز الهامرز ، فبرز اليه برد بن حارثة اليشكري، فقتله برده . ثم حملت
ميسره بكر وميمنتها ، وخرج الكمين فشدوا على قلب الجيش وفيهم
اياس بن قبيصة الطائي . وولت ايام منهزمة كما وعدتهم ، فانهزمت
الفرس واتبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت الى سلب أو غنيمة . وقال الشعراء
في وقعة ذي قار فاكثروا^(٢١٠) .

أما اثر هذه المعركة فقد كان له صدى كبير في الشعر لانه حرك
مشاعر الشعراء ، واثار في نفوسهم الاحاسيس . فالفهمم بذلك اعذب
المعاني ، واكد في نفوس العرب القوة والشدة . فلو لم يكونوا كذلك لما
كان النصر في جانبهم في هذه المعركة الحاسمة . وبذلك كسبوا مجدا

(٢٠٨) الوضبن : بطن عريض منسوج من سيور او شعر، وقيل لا يكون

الا من الجلد .

(٢٠٩) الجبابات : موضع قريب من ذي قار، كانت به احدى الوقائع بين

بكر وائل والفرس .

(٢١٠) تاريخ الكامل ج ١ ص ٢٠٠ .

وشرفا عظيمين • وفي ذلك اليوم يقول اعشى قيس مفتخرا (٢١١) :

وجند كسرى غداة الحنو صبغهم منا كتاب تزجي الموت فانصرفوا (٢١٢)
جحاجح وبنو ملك غطارفة من الاعاجم في آذانها النطف (٢١٣)
اذا أمالوا الى الشباب ايديهم ملنا بيض فظل الهام يختطف (٢١٤)
وخيل بكر فما تنفك تطحنهم حتى تولوا وكاد اليوم يتتصف (٢١٥)
لو أن كل معد كان شاركنا في يوم ذي قار ما احظاهم الشرف (٢١٦)

وقال مخاطباً كسرى حين اراد منهم رهائن (٢١٧) :

من مبلغ كسرى اذا ما جاءه عني مآلك مخمشات شردا (٢١٨)
آليت لا نعطيه من ابنائنا رهنا فيفسدهم كمن قد افسدا (٢١٩)
كلا يمين الله حتى تنزلوا من رأس شاهقة الينا الاسودا (٢٢٠)
لنقاتلنكم على ما خيئت° وانجعلن لمن بغى وتمردا (٢٢١)
وقال يمدح بني شيبان بن ثعلبة في يوم ذي قار لانهم كانوا من

-
- (٢١١) ديوان الاعشى ص ٣١١ .
(٢١٢) الحنو : منرج الوادي . ويوم الحنو هو يوم ذي قار .
(٢١٣) الجحاجح . السيد المسارع الى المكارم . النطفة : لؤلؤة تعلقها الاعاجم في الاذن .
(١٢٤) الشباب : السهام . البيض : السيوف . الهام : جمع هامة وهي الرأس .
(٢١٥) انتصف النهار : بلغ النصف وقت الظهر .
(٢١٦) معد بن عدنان : هو جد عرب الشمال من قبائل ربيعة ومضر جميعا .
(٢١٧) ديوان الاعشى ص ٢٢٩ .
(٢١٨) مالك (جمع مالكة) وهي الرسالة . مخمشات : مغضبات والخمش الخدش واللطم .
(٢١٩) آليت ان لا نجيبه الى ما يسألنا من تقديم رهائن من ابنائنا . يعرضهم للتلف كالذين اتلفهم وآذاهم من قبل .
(٢٢٠) الاسود هو اخو الحوفزان . كان في يد كسرى .
(٢٢١) اولنقاتلنك على ما نشاء ونختار، ولنبعثها على المتمردين الطغاة .

احسن الناس بلاء فيه (٢٢٢) :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي وراكبها يوم اللقاء وقلت (٢٢٣)
هم ضربوا بالحنو حنو قراقر مقدمة الهامرز حتى تولت (٢٢٤)
فله عينا من رأى من عصابه اشد على ايدي السعاة من التي (٢٢٥)
اتتهم من البطحاء يبرق بيضها وقد رفعت راياتها فاستقلت (٢٢٦)
فثاروا وثرنا والمنية بيننا وهاجت علينا غمرة فتجلت
كفوا اذ اتى الهامرز تخفق فوقه كظل العقاب اذ هوت فتدلّت
واحمواحمى ما يمنعون فاصبحت لنا ظعن كانت وقوفا فحلت (٢٢٧)
اذاقوهم كأسا من الموت مرة وقد بدخت فرسانهم وادكت
فجادت على الهامرز وسط بيوتهم شآبيب موت اسبلت واستهلت
تناهت بنو الاحرار اذ صبرت لهم فوارس من شيبان غلب فولت (٢٢٨)
فما برحوا حتى استحثت نساؤهم واجروا عليها بالسهام فذلت (٢٢٩)

(٢٢٢) ديوان الاعشى ص ٢٥٩ .

(٢٢٣) قلت من قل الشيء أي علا وقل النبات اناف وارتفع .

(٢٢٤) حنو قراقر وحنو ذي قار والبطحاء كلها مواضع قرب الكوفة حيث

جرت المعركة المشهورة بين الفرس وبكر بن وائل والهامرز
احد قادة كسرى في هذا اليوم . وكانت شيبان على ميمنة بكر
بازاء كتيبة الهامرز .

(٢٢٥) العصابة هم بنو ذهل بن شيبان . ومن : حرف جر زائد .

السعاة : الذين يسعون للحرب ويهيجونها وهم الفرس .

(٢٢٦) البيض : جمع بيضة وهي غطاء للرأس يلبسه المقاتل ليقيه ،
وكذلك المففر . استقلت : علت وارتفعت .

(٢٢٧) ظعن : جمع ظعينة وهي ائهودج فيه امرأة أو المرأة نفسها، يشير

بذلك الشاعر الى ما فعله حنظلة بن ثعلبة حين قطع الوضن حتى
لا تهرب النساء فينهزم الرجال ، حلت : أي نزلت لان النساء
نزلت من الهوادج بعد تقطيع الوضن .

(٢٢٨) تناهى عن الشيء : كف . بنو الاحرار هم الفرس . غلب : جمع

اغلب وهو الفليظ العنق ، يكنى به هنا عن القوة ومثانة بنيان
الجسم . . .

(٢٢٩) استحثت نساؤهم : سيقوا امام القوم وقد اخذن سبائيا ،

لعمرك ما شففتي مثلهم إذا حاجة بين الحيازيم جلت (٢٣٠)
وكما تغنى الأعشى بانتصار العرب في ذي قار فقد تغنى أبو كلبة
التيمي به كذلك فقال (٢٣١) :

لولا فوارس لا ميل ولا عزل من اللهازم ما فظتم بذي قار (٢٣٢)
ان الفوارس من عجل هم انفوا من ان يخلو الكسرى عرصة الدار (٢٣٣)
لاقوا فوارس من عجل بشكتها ليسوا اذا قلصت حرب باعمار (٢٣٤)
قد احسنت ذهل بن شيبان وما عدلت في يوم ذي قار فرسان ابن سيار

ثم قامت حروب الفجار التي شهدها الرسول (ص) ، وقد شارك
فيها فكان يناول اهله النبل . وانه ليذكر ذلك لاصحابه فيقول (٢٣٥) :
كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة . وكانت
ايام الحجيج للعرب اشهر حراما ، يأمن بعضهم فيها من بعض ، فلما وقعت
فيها الحروب سموها حروب الفجار . وقال بعض المؤرخين : ان القتال
في ذلك لم يكن في الشهر الحرام وانما سببه كان في الشهر الحرام .
وحرب الفجار فجاران . الفجار الاول ثلاثة ايام والفجار الثاني

يدفعن طلبا للاسراع . اجرؤا عليها بالسهم : اقترعوا عليهن
فيخرج لكل مقاتل سهمه ، أي نصيبه من السبايا .
(٢٣٠) الحيازيم : جمع حيزوم وهو الصدر او موضع الحزام . جلت :
عظمت .

(٢٣١) النقائص : يوم ذي قار . .

(٢٣٢) الاميل : الذي لا سيف معه ، وقيل الذي لا رمح معه ، وقيل هو
الذي لا ترس معه ، وقيل هو الجبان ، او هو الذي لا يثبت
على ظهور الخيل ، وجمعه ميل . والعزل : الذي لا سلاح معه .
واللهازم : بنو تميم الله بن ثعلبة . وفاض الرجل : مات .

(٢٣٣) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

(٢٣٤) الشكة : السلاح . ورجل غمر : لا تجربة له بحرب ولا امر ، وام
تحنكه التجارب .

(٢٣٥) وفي رواية الطبقات لابن سعاد ج ١ ص ١١٠ ان الرسول (ص) قال :
« حضرته مع عمومتي ورميت فيه باسهم وما احب اني لم اكن
فعلت » .

خمسة ايام في اربع سنين ، اما اسباب الفجار الاول فتتلخص في أن بدر بن معشر الغفاري كان رجلا منيعا ، وكان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ، ويفتخر على الناس ، وفي احد المواسم بعكاظ ، قعد وجعل يتناول على الناس ، ثم مد رجله وقال : انا اعز العرب ، فمن زعم انه اعز مني فليضربها بالسيف ، فوثب رجل من بني نصر بن معاوية فضربه بالسيف على ركبته فاندرها (٢٣٦) . وقيل جرحه جرحا يسيرا ، فتحاور الحيان عند ذلك حتى كاد ان يكون بينهما الدماء ، ثم تراجعوا ورأوا ان الخطب يسير (٢٣٧) .

اما سبب الفجار الثاني فهو ان امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ ، فأطاف بها شاب من قريش من بني كنانة ، فسألها ان تكشف وجهها فأبت ، فجلس خلفها وهي لا تشعر ، وعقد ذيلها بشوكة ، فلما قامت انكشف دبرها ، فضحك الناس منها . فنادت المرأة يا آل عامر فثاروا بالسلاح ، ونادى الشاب يا بني كنانة فاقتتلوا . ووقعت بينهم دماء يسيرة (٢٣٨) .

وكانت العادة في الجاهلية ألا قتال في الأشهر الحرم لقدسيتها ومكاتها ، فهي أشهر هدنة يستريح فيها الأفراد والقبائل من القتال ، ويكون الإنسان فيها آمنا على نفسه وماله . فيظهر فيها الفرسان المعروفون دون خوف .

وهكذا لعبت الايام دورا في حركة الشعر العربي ، بما اثارته في نفوس الشعراء ، وما رسمته حوادثها في اذهانهم من فخر وانتصار . فكان هذا الديوان الضخم من شعر الحماسة ، وكانت هذه القصائد الرائعة في عالم الحرب والفخر .

(٢٣٦) اندرها : قطعها .

(٢٣٧) ابن هشام : السيرة ١/١٣٧ .

(٢٣٨) نفس المصدر ١/١٣٧ .

الدعوة الى نبذ الحرب :

لقد كابد الانسان في شتى العصور احوال الحرب ، وعلم علم اليقين عواقبها الوخيمة ، بيد انه لم يستطع ان ينبذها ، وللحرب آثارها المشهورة في أدب كل أمة بلا استثناء ، وكان العرب في الجاهلية كغيرهم من الامم في قتال لا يكاد يهدأ ، وكانت تقع بين قبائلهم و اشرافهم ثارات و عداوات لا تكاد تنتهي ، حتى اضطروا الى ان يتخذوا لهم موضعاً حراماً دعوه بالسوق ، و وقتاً حراماً سموه الاشهر الحرم ، تهدأ فيه الخصومات و تغمد الصوارم و تتصل الاسباب .

والحرب طبيعتها الغلظة والقسوة ، لا تعرف الرحمة ولا الهوادة ، فهي ضرام تأتي على زهرة شباب الامم ، و تأكل خيراتها ، و تحطم مدنياتها ، وقد وصفها عنترة الفوارس فقال : اولها شكوى و اوسطها نجوى و آخرها بلوى (٢٣٩) .

والحرب والغارات تعود على اصحابها بالآسي و الفواجع و الكوارث ، و تفرق شمل العشيرة ، و تذهب برجالها ، و يتم اطفالها ، و هذا يحدث بعامل الثأر و الانتقام ، و ان هذا العامل في حد ذاته لا يقف عند حد ، و انما تتأثر العداوات و تستعر ، و يصبح الناس طعاماً لها ، لا يعرفون اللحظات التي يلاقون فيه مثل هذا المصير وسط صحراء لا ترحم ، و ارض لا تعرف الهدوء ، قال عامر بن الطفيل مفتخراً ببطولته و بطولة قومه و معددا انتصاراتهم (٢٤٠) :

ونحن صبحنا حيّ اسماء بالقنا و نحن تركنا حيّ مرةً مأتماً (٢٤١)
بقرنا الجبالي من شنوءة بعدما خبطن بفيف الريح نهدا و خثعما (٢٤٢)

(٢٣٩) ابن عبدربه : العقد الفريد ١/ ٩٤ .

(٢٤٠) ديوان عامر بن الطفيل ص ١١٧ .

(٢٤١) حي اسماء : يعني بني فزارة .

(٢٤٢) شنوءة و نهد و خثعم من القبائل اليمينية .

ونحن صبحنا حي نجران غارة تبيل حبالها مخافتنا دما (٢٤٣)

ولم يكن العربي مندفعاً للحرب من اجل الحرب ، ولكنه كان مضطراً الى خوضها ، ومجبوراً على الدخول فيها ، وهو يدرك بطبيعته ويلاتها ، ويقدر فظائعها ، وما تجره على الاقوام المتخاصمة من أهوال .
قال عنتره في رثاء مالك بن زهير العبيسي وكان صديقا له في حرب داحس والغبراء (٢٤٤) :

فله عينا من رأى مثل مالك عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتها لم يجريا نصف غلوة وليتها لم يرسلا لرهبان
وليتها ما تا جميعا بيلدة واخطاهما قيس فلا يريان

ولكن الانسان عندما يستنفد طاقته من المداراة والحلم ، ولا يجد منفذاً غير الحرب يخوضها ، لان الحلم الكثير يفضي الى الذل والخضوع - في نظر الجاهليين - . وقد صور الفند الزماني ذلك بشكل واضح (٢٤٥) :

فلمما صرح الشر فأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العودوا ن دناهم كما دائوا
وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان
وفي الشر نجاة حين لا ينجيك احسان

كما ان الناس كانوا يميلون الى السلم ، ويؤثرون العفو عن الجناة ، ومقابلة الاساءة بالاحسان ، مع قدرتهم على الانتقام ، ومكنتهم من الثأر . وهذا دليل الابتعاد عن الشر . قال بعض شعراء بلعبر (٢٤٦) :

-
- (٢٤٣) تبيل : اي ترمي اولادها من مخافتنا .
(٢٤٤) ديوان عنتره - تحقيق عبدالمنعم عبد الرؤف شلبي ص ١٧٧ .
(٢٤٥) ابو تمام : الحماسة شرح المرزوقي ٣٠/١ .
(٢٤٦) ابو تمام : الحماسة شرح المرزوقي ٣٢/١ .

لكن قومي وان كانوا ذوي عدد ليسوا من الشرقي شيء وان هانا
يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة ومن اساءة اهل السوء احسانا

وقال قيس بن الخطيم في حرب حاطب التي قامت بين الاوس
والخزرج ، نتيجة قتل جار لحاطب بتدبير من الاوس وقد اقتتلوا قتالا
مريرا (٢٤٧) :

دعوة بني عوف لحقن دمائهم فلما ابوا سامحت في حرب حاطب
وكنت امرءا لا ابعث الحرب ظالما فلما ابوا اشعلتها كل جانب
اربت بدفع الحرب حتى رأيتها على الدفع لا تزداد غير تقارب (٢٤٨)
فاذ لم يكن عن غاية الموت مدفع فاهلا بها اذا لم تنزل في المراحب (٢٤٩)
فلما رأيت الحرب حربا تجردت لبست مع البردين ثوب المحارب

وكان الحارث بن عباد قد تجنب حرب بكر وتغلب ، لانه يعتقد
بان الحرب جناية • حتى قتل التغليبيون بجيرا فثارت حميته فقال (٢٥٠) :

يا بئير الخيرات لا صلح حتى نملأ البيد من رؤوس الرجال
وتقر العيون بعد بكاهها حين تسقي الدما صدور العوالي
اصبحت وائل تعج من الحر ب عجيج الجمال بالاثقال
لم أكن من جناتها علم الله واني لحرها اليوم صال
قد تجنبت وائل كي يثيقوا فابت تغلب علي اعترالي
واشابوا ذؤابتي ببجير قتلوه ظلما بغير قتال

وقد وصفوها بالجناية المنكرة ، والجريمة الشنعاء ، ولعنوا من
يتسبب فيها • واكبروا في نفس الوقت من يسعى الى الصلح بين

(٢٤٧) ديوان قيس بن الخطيم : تحقيق السامرائي ومطلوب ص ٣٢ .

(٢٤٨) اربت : كانت لي اربه في دفع الحرب ، أي حاجة .

(٢٤٩) المراحب : جمع مرحب . والمراحب : السعة او المكان الواسع

يريد أي لا يزال في الامر سعة قبل ان يضيق عليه .

(٢٥٠) لويس شيخو : شعراء النصرانية ١/ ٢٧٢ .

المتنازعين ، وتلك ادلة على انسانية العربي ، وشعوره بمسؤولياته •
ولكنهم يقدمون عليها عندما لا يجدون مفراً منها ، ولا خلاصاً من
شرها ، ولا مهرباً من اذائها ، وعند ذلك يقتحمونها اقتحام الابطال ،
ويخوضونها خوض الفرسان (٢٥١) :

وان تك حربكم امست عوانا فاني لم اكن ممن جناها
فهم يتبرأون من اثارها ، ويتعدون عن جنايتها • لانهم يعلمون
مسبقاً انها ليست لعبة يتسلون بها ، او دعاية يفرجون بها كروبهم ،
وانما هي افطع من ذلك • قال أحيحة بن الجلاح الاوسي مخاطباً عاصم
ابن عمرو عندما بلغ احيحة ما اضره له عاصم (٢٥٢) :

اعصيم لا تجزع فان الحرب ليست بالدعاية

لا شك اننا نستطيع ان نقول ان الحرب نكبة من افدح النكبات ،
وكارثة من افجع الكوارث ، فهي تجر الويلات على الغالب والمغلوب
معاً ، وتكبدهما الخسائر ، وتستنزف مواردهما ، وتفقد الامم النفوس
البشرية الغالية ، وتشكل الآباء والامهات •

ولم تكن الحرب في نظر الشعراء مقبولة ، ولكنها كانت تستبشع
في كثير من الاحيان • فقد وصفها عمرو بن معد يكرب فقال : مرة المذاق ،
اذا كشفت عن ساق ، من صبر فيها عرف ومن نكل عنها تلف ثم انشأ
يقول (٢٥٣) :

الحرب اول ما تكون فتية تسعى بزيتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشبّ ضامها عادت عجوزا غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للشم والتقويل

(٢٥١) ديوان عنتره : تحقيق وشرح عبد المنعم عبد الرؤف شلبي ص ١٨٦

(٢٥٢) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢٧٧/١

(٢٥٣) ابن عبدربه : العقد الفريد ١/٩٤

والعرب تقول : الحرب غشوم لانها تنال غير الجاني (٢٥٤) .

على ان ذلك الضجيج الصخب الذي شمل الحياة بكل مظاهرها ،
لم يمنع الاصوات القليلة التي كانت تنبعث من افواه العقلاء والمجربين
منادية بالرجوع الى حياة الوداعة ، والاطمئنان والعودة الى السلم لحل
مشكلاتهم ، لانهم يعرفون ويلات الحرب ، ويدركون قسوتها . قال
الاعشى (٢٥٥) :

بني عنما لا تبعثوا الحرب بيننا

كرد رجيع الرفض وارموا الى السلم (٢٥٦)

وكونوا كما كنا نكون وحافظوا

علينا كما كنا نحافظ عن رهم (٢٥٧)

نساء موالينا البواكي واتتم

مددتم بايدينا حلاف بني غنم (٢٥٨)

فلا تكسروا ارماحكم في صدوركم

فتغشمكم ان الرماح من الغشم (٢٥٩)

ومن اشهر الشعراء الذين تحدثوا عن السلام ودعوا الى نبذ
الحرب ، وخوفوا الناس من ويلاتها ، زهير بن ابي سلمى ، الذي افزعته
حرب واحس والغبراء ، وحز في نفسه ما آل اليه الناس ، وآلمه ما يؤلم
كل حكيم يشهد ما شهد من فوضى واضطراب ، فيرجو للناس امنا
وسلاما ، ترجع فيه الامور الى وازع نفسي يهديهم . وحرب داحس
والغبراء حرب مناوشات ، استمرت اربعين عاما ، فجعلت من زهير صاحب

(٢٥٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٩٥/١ .

(٢٥٥) ديوان الاعشى ص ٣٠٥ .

(٢٥٦) الرفض (بفتح فسكون) : الابل الراعية .

(٢٥٧) رهم : اسم حي .

(٢٥٨) حلاف : مصدر حالف اي عاهد .

(٢٥٩) فلا تبعثوا بيننا الشر فتكونوا كالذي يكسر رمحه في صدره .

معلقة ، ومن هرم بن سنان والحارث بن عوف علمين في عالم الامن
والطمأنينة في تاريخ الادب العربي •

لقد حركت هذه الحرب الحارث بن عوف فمشى في الصلح ،
وساعده في غايته رجل آخر من قبيلة بني مرة هو هرم بن سنان ،
فاحتسبت عندئذ عبس وذبيان قتلاها ، واحتمل هرم والحارث الديات ،
فكانت ثلاثة آلاف من الابل وفوها في ثلاثة أعوام ، وهكذا
وضعت حرب داحس والغبراء اوزارها ، وعلا اسم هرم والحارث في
تاريخ الادب ، وعلا معهما اسم زهير بن ابي سلمى •

لقد اتاحت هذه الحرب لزهير هذا الموقف ، وهيات له هذه
الخصومات عقلا بصيرا ، وادراكا عميقا ، فكان لزاما عليه ان يمكن
للفضيلة في نفوسهم ، ويجعل للخير طريقا الى قلوبهم ، لان الحرب لن
لن تبعث الا حربا ، والبغضاء لا تثير الا حقدًا وغلا ••• لقد وقف زهير
يتأمل الحقائق ، ويبحث عن العلل التي يمكن ان تضع حدا لهذه الحرب
الطاحنة ، وفعلا هب يعظ ويرشد ويدعو الى الخير والوفاق ، فاستنكر
الحرب ، وهتف واصفا احوالها •• موضعا بشاعتها وفضاعتها ، فهي
ثرة من ثمار الحقد ، تسحق الانسان ، وتجعله يتساقط تساقط الطحين
على الثقال ، وهي أم تلقي ابناءها في احضان الشؤم والبؤس (٢٦٠) :

وما هو عنها بالحديث المرجم	وما الحرب الا ما علمتم وذقتهم
وتضر اذا ضرّتموها فتضرم	متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتلقح كشافاتهم تحمل فتنتهم	فتعرككم عرك الرّحى بثقالها
كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم	فتنتج لكم غلمان اشأم كلّهم
قرى بالعراق من قفيز ودرهم	فتغلل لكم ما لا تغل لاهلها

لقد وجد الشاعر في هذين الرجلين القيم الخيرة التي عاشت في

(٢٦٠) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ١/٢٣١ •

ذهنه ، لانهما ادركا المسؤولية الجبارة التي تحملها عبثها ، لقد كانا يحملان آلام الناس ، ويشعران باحاسيسهم ، فوهبا المال لتضييد الجروح ، وتحملوا عبء الضريبة دون ان يشتركا في النزاع القائم ، او يضربا بسهم واحد في المعركة ، فاستحقا تخليد الشاعر لهما •

ان الحارث بن عوف وهرم بن سنان اتفقا المال في سبيل الخير ، فبسطا فلسفتهما في استخدام المال لوقف سعير الحرب ، وبذلك تمكنا من ان يزرعا الارض سلاما وخيرا وانسانية (٢٦١) :

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعد ما تبزل ما بين العشيرة بالدم (٢٦٢)
فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم (٢٦٣)
يمينا لنعم السيد ان وجدتما على كل حال من سجيل ومبرم (٢٦٤)
تداركتما عيسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم (٢٦٥)
وقد قلتما ان ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من الامر نسلم
فاصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد وغيرهما ومن يستبح كنزا من المجد يعظم
تعفى الكلوم بالمتين فأصبحت ينجمها من ليس فيها بمجرم (٢٦٦)

لقد حرك صنيع هرم والحارث بواعث الاعجاب والاعظام في نفس الشاعر ، فأكبرهما وخلد مأثرتهما ، فكانت دعوته بحق دعوة خير ، ارتسمت فيها شخصيته ، واتضح نزعته الى البر والرحمة ، لانقاذ

-
- (٢٦١) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٢٢٩/١ . تبزل : تشقق .
(٢٦٢) جرهم : قبيلة من اليمن .
(٢٦٣) السجيل : الخيط المفرد وهو كناية عن الرخاء . والمبرم : الذي يجمع بين مفتولين وهو كناية عن الشدة .
(٢٦٤) منشم : ارا عطارة كانت بمكة . اشترى منها قوم شيئا من العطر ، وتحالفوا على قتال عدوهم ، فقاتلوا حتى قتلوا عن اخرهم ، فطيرت العرب بعطرها .
(٢٦٥) معد : هو ابن عدنان وعليها معد رؤساؤهم .
(٢٦٦) تعفى : تمحى . الكلوم : الجروح .

الناس الذين كانوا في صلاح من امورهم ، ثم صاروا الى حرب يستعمل فيها السلاح ، وتسفك الدماء ، ثم اشتغلوا بالاستعداد لها ثانية ، فجعل عزمهم على الحرب بمنزلة الكلاء الوييل الوخيم (٢٦٧) :

رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم اوردوا غمارا تسيل بالرماح وبالدم فقضوا منايا بينهم ثم اصدروا الى كلاءٍ مُستوبلٍ مُتوخَّمٍ (٢٦٨)

فزهير لم يمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف الا لانهما تلمسا الجراح بانامل نظيفة ، وتسكنا من وضع حد لتيار الحرب ، فجعل منهما المثل الاعلى للانسان العربي في عصره ، لقد اقلق زهيرا مصير الوجود العربي في تلك الفترة ، فعبّر في شعره عن آماله ، ثم خلص الى نصيحة المتحاربين لنفض الصدور من الحقد والضغائن ، لان الله يعلم كل شيء وان ظل مخفيا :

ومهما تكن عند امريء من خليقة ولو خالها تخفى على الناس تعلم (٢٦٩)

وهكذا يبدو لنا زهير في معلقته خاصة ، رجلا انسانيا جريئا ، يحرص على ارواح قومه وآمالهم ، مستعدا لان يتناسى شخصيته اذا استطاع ان يضيّعها في سبيل رفع مثل اعلى امام الامم والاقوام ، وهو لا يحرص على خير الافراد فقط ، بل يفضل خير القبيلة على ذلك ، بل هو اوسع في نظره ، يُحِبُّ ان يشمل بخيره القبائل اجمع ، ولا شك في أن شخصية الحارث بن عوف وهرم بن سنان ساعدته على ان يقف هذا الموقف ، ويكفيه فخرا انه كان يجاهر بدعوته هذه ويعتقد انها السبيل الصحيحة الى الحق .

(٢٦٧) ديوان زهير ضمن مجموعة الاعلم ص ٢٣٢ .

(٢٦٨) قضوا منايا: انفذوها . واصدروا: رجعوا ، والمستوبل : الذي لا يستمر وكذا المتوخَّم .

(٢٦٩) ديوان زهير ضمن مجموعة الاعلم ص ٢٣٤ .

الثأر :

ان اندحار البدوي في المعركة ، او قتل احد من افراد عشيرته او ذوي رحمه ، كان يثير في نفسه عوامل الحقد والكراهية والانتقام ، فهو يحاول الثأر من الغالب او القاتل متى تهيأت له الظروف ، ومتى ما وجد الفرصة السانحة للانتقاص عليه ، اتقازا لكرامته ، فهذا مالك بن حريم الهمداني يفخر بسطوة قومه وبأسهم فيقول (٢٧٠) :

يقود بارسان الجياد سراتنا لينقمن وترا او ليدفعن مدفعنا
فاصبحن لم يتركن وترا علمنه لهمدان في سعد واصبحن طلعا

والثأر عادة تأصلت في طباع العربي ، واصبحت جزءاً من كيانه اذا اراد ان يعيش محترماً بين افراد قبيلته ، لان الاخذ به دليل على الشجاعة والقوة ، والسكوت عنه دليل على الخضوع والذلة والاستكانة ، وباعت على الاستهانة بالفرد والقبيلة . فيكون او تكون هدفا لغزوات اخرى .

وقد لعبت هذه العادة دورا مهما في الصراع العنيف الذي عاشه العصر الجاهلي ، وكانت سببا لكثير من الحوادث والايام التي وقعت بينهم ، كما ان الخروج عليها كان يعد عارا كبيرا ، ويعتبر الذي لا يرد اللطمة التي اصابته جانا ، ويستحيل على الرجل الكريم المحتد ان ينسى ضررا لحقه حتى يثأر لنفسه ، وينتقم لها .

والثأر شريعة مقدسة عند العرب ، له اوار يستعر في قلوبهم ، ويعيش حياتهم كلها . . والعربي لا يهدأ له بال اذا لم يأخذ به ، وما تتبع قيس بن الخطيم لقاتلي ابيه وجده والانتقام منهما ، الا دليل على ادراك الثأر مهما بعد (٢٧١) :

(٢٧٠) الاصمعي : الاصمعيات ص ٦٠ .

(٢٧١) ديوان قيس بن الخطيم ص ٢١ .

ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ولاية اشياء جعلت ازاءها
ضربت بذي الزرين ربقة مالك فأبت بنفسٍ قد أصبت شفاءها (٢٧٢)
وشايحني فيها ابن عمرو بن عامر خدّاش فادي نعمة وافاءها (٢٧٣)
طعنت ابن عبد القيس طعنه ثأرت لها نَقْدَ لولا الشعاع اضاءها
ملكّت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائمان خلفها ماوراءها (٢٧٤)

وقد لعبت المرأة دورا كبيرا في استشارة همم الرجال للاخذ بالثأر،
فهذه كبشة اخت عمرو بن معد يكرب تعير قومها لتكاسلهم في ادراك
الثأر، وتحرضهم على الامتناع عن قبول الدية، لان في ذلك عارا
وضعفا (٢٧٥) .

ارسل عبدالله اذ حان يومه الى قومه لا تعقلوا لهم دمي
ولا تأخذوا منهم إفالا وابتكرا وأترك في بيت بصعده مظلم
ودع عنك عمراً أن عمراً مسالم" وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم
فان اتم لهم ثأروا واتديتكم فمشوا بذان النعام المصلم
ولا تردوا إلا فضول نساءكم اذا ارتسلت اعقابهن من الدم

ومثل ما كانت المرأة تحث على الاخذ بالثأر والانتقام للمقتول،
كان الرجال ايضا كذلك . فالمهلل اخو كليب الذي لم يهدأ له قرار
ولم نخفت صيحة الثأر في نفسه، ظل ينظم القصائد المطولة في رثاء
اخيه، ويستجمع قوى اصحابه وعشيرته ومناصريه للاخذ بثأره مهما
تعاضم الخطب، فأخذ على نفسه عهدا بأنه سيهجو الغواني ويمتنع عن
الشراب، وانه لن ينزع سلاحه حتى يأخذ بثأره فيقول (٢٧٦) :

ارى طول الحياة وقد تولى كما قد يسلب الشئ المعار

(٢٧٢) الزرين : وذو الزرين سيف من سيوف كان يعمل فيها .

(٢٧٣) شايحني : تابعني .

(٢٧٤) ملكت : أي شددت . انهرت : اجريت الدم .

(٢٧٥) حماسة ابي تمام المرزوقي ج ١ ص ٢١٧ .

(٢٧٦) شعراء النصرانية ص ١٦٤ .

كأنني اذ نعى الناعي كليسا
 فدثرت وقد عشا بصري عليه
 سألت الحيّ اين دفنتموه
 فسرت اليه من بلدي حيثما
 اقول لتغلب والعز فيها
 تتابع اخوتي ومضوا لامر
 خذ العهد الاكيد عليّ عمري
 وهجري الغايات وشرب كأس
 ولست بخالع درعي وسيفي
 والا أن تبيد سراً بكر
 تطاير بين جنبيّ الشرار
 كما دارت بشاربها العقار
 فقالوا لي بسفح الحي دار
 وطار النوم وامتنع القرار
 اثيروها : لذلك انتصار
 عليه تتابع القوم الحيسار (٢٧٧)
 بتركي كل ما حوت الديار
 ولبسي جبّة لا تستعار
 الى أن يخضع الليل النهار
 فلا يبقى لها ابدا أثار

وكان اذا قتل شخص قريب يحرم ابناؤه أكل اللحم، وشرب الخمر،
 والاقتراب من النساء ، وغسل الرأس ، حتى يدركوا ثأره ، فعندما بلغ
 امراً القيس مقتل ابيه وهو بدمون ، آلى على نفسه ألا يأكل لحماً ، ولا
 يشرب خمراً ، وحلف على نفسه بالألا يغسل رأسه حتى يدرك ثأره ببني
 أسد ، ولما تبع بني اسد فادركهم وقتل فيهم قتلا ذريعا قال (٢٧٨) :

قولاً لدودان عبيد العصا
 قد قرّت العينان من مالك
 ما نحركم بالاسد الباسل (٢٧٩)
 ومن بني عمرو ومن كاهل (٢٨٠)
 ارجلهم كالخشب الشائل (٢٨١)

- (٢٧٧) الحيسار والحاسر : من لا مففر له ولا درع ولا جنة .
 (٢٧٨) ديوان امريء القيس ص ١١٩ - ١٢١ .
 (٢٧٩) دودان : قبيلة من بني اسد . وعبيد العصا : اي لا يعطون الا على
 الضرب والاذلال .
 (٢٨٠) واراد بالاسد الباسل : اباه او نفسه ، مالك وعمرو وكاهل : احياء
 من بني اسد .
 (٢٨١) ارجلهم كالخشب الشائل : اي قتلناهم والقينا بعضهم على
 بعض ، فارتفعت ارجلهم فكأنهم الخشب الشائل .

حلت لي الخمر وكنت امرأً عن شربها في شغل شاغل
فاليوم اسقى غير مستحقب اثما من الله ولا واغل (٢٨٢)

وكان المهلهل بن ربيعة في اول امره صاحب لهو ، كثير المحادثة للنساء ، فسماه اخوه كليب (زير نساء) أي جليسهن ولم يكن يرجو منه خيرا ، فلما قتل كليب في حرب البسوس المشهورة كان المهلهل يعاقر الخمر ، فهاجه مقتل اخيه ، وذهب الى قومه واستحثهم على الاخذ بالثأر ، وجز شعره ، وقصر ثوبه ، وهجر النساء وترك الغزل ، وحرّم القمار والشراب ونهض للحرب .

وهذا قيس بن الخطيم يصور لنا امتناع قومه عن الخمر ثلاثين ليلة لانهم اقسوا الا يذوقوها ، حتى يبروا بقسمهم ويدركوا ثأرهم (٢٨٣) :

ومنا الذي آلى ثلاثين ليلة عن الخمر حتى زاركم بالكتائب
ولما هبطنا الحزن قال اميرنا حرام علينا الخمر ما لم نضارب
فسامحه منا رجال اعزة فما برحوا حتى أحلت لشارب
وقال دريد بن الصمة (٢٨٤) :

شلت يميني ولم أشرب معتقة إذْ أخطأ الموت اسماء بن زباع
وهذا الخلق عام فيهم ، اذ لا بد ان يثأروا لقتيلهم ، ولو أدى ذلك الى هلاك القبيلة .

قال مهلهل بن ربيعة (٢٨٥) :

-
- (٢٨٢) قوله غير مستحقب اثما من الله ، اي غير مكتسبه ولا محتمله
واصله من حمل الشيء في الحقيقة فضره مثلا . والواغل :
الداخل على القوم يشربون ولم يدع . . .
(٢٨٣) ديوان قيس بن الخطيم ص ٣١ .
(٢٨٤) شعراء النصرانية المجلد الاول ص ١٧٤ .
(٢٨٥) شعراء النصرانية ج ٢ ص ٧٧٥ .

ان نحن لم نثار به فاشحدوا سفاركم منا لجز الحلوق
ذبحا كذبح الشاة لا يتقى ذابحها الا بشخب العروق
ولم يكن هذا التقليد يشمل فردا واحدا ، او فارسا واحدا ،
وانما يشمل في بعض الاحيان قبيلة بكاملها ، فقد حرم بنو الشريد على
انفسهم النساء والدهن حتى يدركوا ثأرهم من بني كنانة (٢٨٦) .
ومن تقاليد الثأر ايضا ، جز ناصية الفرس ، وقطع ذنبها . فعندما
اراد الحارث بن عباد أن يطلب ثأرا له ، طلب فرسه (النعامة) ، وقال
قصيدته المشهورة التي ذكر فيها اسمها أكثر من عشرين مرة ، وقالوا
أكثر من خمسين (٢٨٧) . وكانت النعامة فرسه ، ولم يكن في زمانها مثلها ،
فجاؤوه بها فجز ناصيتها ، وقطع ذنبها ، وكان اول من فعل ذلك من
العرب ، فاتخذته العرب سنة ، اذا قتل لاحدهم عزيز واراد ان يطلب
بثأره ، فعل بفرسه مثل ما فعل الحارث بن عباد .
واذا ثأرت القبيلة لنفسها وشتت غلتها وحقدتها ، أخذ شعراؤها
ينشدون الاناشيد ، ويحللون على انفسهم ما حرموه ، قال دريد بن
الصمة يفتخر بتشفيه من قاتلي اخيه وظفروه بثأره (٢٨٨) :

يا راكبا اما عرضت فبلغن ابا غالب أن قد ثأرنا بغالب
قتلت بعبدالله خير لداته ذؤاب بن اسماء بن زيد بن قارب
والظاهر ان اتخاذ بعض العادات خلال فترة الثأر ، كالتقناع في
الطعام والشراب ، والامتناع عن الاغتسال ، وحلق الشعر . لا بد ان
تكون لها جذور دينية قديمة ، داخلتها بعض الاساطير الشائعة ، فاتخذت
هذا الشكل الذي تعارف عليه الناس .
ولا تشتقي العشيرة في الحرب الا ببثل ما فقدت ، او تزيد على

(٢٨٦) العقد الفريد ج ٥ ص ١٧٦ .

(٢٨٧) شعراء النصرانية ج ١ ص ٢٧١ .

(٢٨٨) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١٦/٥ .

ذلك فقتل بعدد قتلاها ، وتأسر مثل اسرائها ، وتسبي عدد سباياها ، وعند ذلك تبرد غلتها ، وتظفي غليلها • لأنها ادركت الثأر ونالت الشرف الذي تفاخر به ، وتعتد على غيرها من القبائل • وبعدها تستطيع الوقوف على قدميها بمستوى القبائل العريقة في المجد ، الاصيلة في البطوأة ، وهذا ما يفسر لنا اشتداد الحروب واستمرارها الى امد طويل ، لان الناس يعيشون حياتهم كلها بين واطر وموتور ، وطالب ومطلوب ، ومنتصر ومنحدر • وهذا ما يورث الاحقاد ، ويؤجج الثارات فتنتفض الهمم ، وفي ذلك يقول الطفيل الغنوي (٢٨٩) :

قتلنا بقتلانا من القوم مثلهم وبالموثق المكلوب منا مكلب (٢٩٠)
وبالنعم المأخوذ مثل زهائه وبالسبي سبي والمحارب محرب (٢٩١)

وتغالي عشيرة المقتول بركز القتيل ومنزلته وقيمته ، وتصر على ان تثار ممن قتله او ممن يساويه في المنزلة ، وكثيرا ما تحاول احراج قبيلة القتال بأمور لا تقدر عليها ، أو لا يسكن تنفيذها ، محاولة في ذلك تبرير شنها الحرب ••

فعندما قتل جساس كلييا ارسل التغلييون رجالا منهم الى بني شيبان ، فاتوا مرة بن ذهل بن شيبان وهو في نادي قومه • فقالوا له : انكم انيتم عظيما بقتلكم كلييا ، وقطعتم الرحم ، واتتهكتم الحرمة ، انا نعرض عليكم خلاالا أربعا لكم فيها مخرج ، ولنا فيها مقنع :

أما ان تحي لنا كلييا ، او تدفع الينا قاتله جساسا فنقتله به او هماما فانه كفاء له ، او تمكننا من نفسك فان فيك وفاء لدمه ، فقال لهم : اما احيائي كلييا فلست قادرا عليه ، واما دفعي جساسا اليكم ،

(٢٨٩) ديوان الطفيل الغنوي ص ٢٤ .

(٢٩٠) المكلوب : المكبل . الموثق : المقيد .

(٢٩١) مثل زهائه : مثل محزرتة ، يقال كم زهاء الكتيبة ؟ أي كم محزرتها . والمحارب محرب : يقول اسروا فاسرنا وقتلوا فقتلنا وحررنا فحررنا . والنعم : الابل .

فانه غلام طعن طعنة على عجل وركب فرسه فلا ادري اي بلاد قصد ،
واما همام ، فانه ابو عشرة واخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان ، فلن
يسلموه بجريرة غيره ، اما انا فما هو الا أن تجول الخيل جولة فأكون
اول قتيل فما اتعجل الموت ، ولكن لكم عندي خصلتان : أما احدهما
فهؤلاء ابنائي الباقون ، فخذوا ايهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم ، واما
الآخرى ، فاني ادفع اليكم الف ناقة ، سود الحدق ، حمراء الوبر ،
فغضب القوم وقالوا قد اسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم
كليب • ونشبت الحرب (٢٩٢) •

وقد لا يكون الثأر بواحد ، وانما يتعداه الى اكثر ، فعندما قتل
عبدالله بن الصمة ، اغار دريد على غطفان يطالبهم بدمه ، فاستقراهم
حيا حيا ، وقتل من بني عبس ساعده بن مرة ، واسر ذؤاب بن اسماء
بن زيد بن قارب ، اسره مرة بن عوف الجشسي ، فقالت بنو جشم ، لو
فاديناه : فابي ذلك دريد عليهم ، وقتله باخيه عبدالله ، وقتل من بني
فزارة رجلا يقال له حزام واخوة له ، واصاب جماعة من بني مرة ومن
بني ثعلبة (٢٩٣) •

وقد يبلغ حد الاخذ بالثأر مبلغا كبيرا كقول المهلهل اخي كليب
يرثي كليبيا ويتهدد قاتليه (٢٩٤) :

كذبوا ورب الحل والاحرام	قتلوا كليباً ثم قالوا ارتعوا
ويحل اصرام على اصرام	حتى تلف كتيبة بكتيبة
يمسحن عرض تنائم الايتام	وتقوم ربات الخدود حواسرا
وعظام روس هسنت بعظام	حتى نرى غررا تجر وجمة
مما يرى جزعا على الابهام	حتى يعرض الشيخ من حسراته

(٢٩٢) ابن الاثير : تاريخ الكامل ١/٢١٨ •

(٢٩٣) الاصفهاني : الاغانى ١٠/١١ دار الكتب •

(٢٩٤) لويس شيخو : شعراء النصرانية ١/١٧٥ •

اما الدية فكان بعضهم يمتنع عن أخذها ، ويعتبر أخذها سبة الى الابد ، وفتناً للعضد^(٢٩٥) كما قال امرؤ القيس بعد مقتل والده ، وكان البعض الآخر يعضب اذا عرضت عليه ، لأن الدم أحب اليهم من اللبن • وكان تقسيمها الفا للملوك ، ومائة للصريح ، وخمسين للحليف ، وكان هناك اصطلاح آخر وهو أقل من الدية ويسمى الخماشة ، وهي تدفع لقطع يد او اذن^(٢٩٦) •

وكانت العرب تزعم ان روح القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره ، تقول اسقوني اسقوني • فاذا ادرك بثأره طارت ، وفي ذلك يقول ذو الاصبع العدواني^(٢٩٧) :

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي اضربك حتى تقول الهامة اسقوني

وقال ابو عبيدة^(٢٩٨) : كانت العرب تقول ان عظام الموتى ، وقيل ارواحهم تصير هامة فتطير • او قيل : كانوا يسمون ذلك الطائر الذي يخرج من هامة الميت الصدى ، فنفاه الاسلام ونهاهم عنه •

وقد زعم بعض الاعراب ان الهامة تصيح اذا قتل الرجل بأني عطشى حتى يقتل بثأره فتسكن • وقالوا : بل يخرج من رأسه طائر يقال له الهامة •

وكان قسم من العرب اذا مات احد اقربائهم يذبجون على قبره ناقة ، او يربطونها ثم يدعونها تموت جوعاً معتقدين ان الروح لما تنفصل عن الجسد تتشكل بهيئة طير يسمونه الهامة او الصدى ، وهي نوع من البوم لا تبرح تطير بجانب قبر الميت نائحة ساجدة ، تأتيه باخبار اولاده ، فاذا كان الفقيده قد مات قتيلاً تصيح صداه قائلة (اسقوني) ولا تزال

(٢٩٥) الاصفهاني : الاغانى ١٠٥/٩ دار الكتب •

(٢٩٦) ابو عبيدة : النقائض ٢٣١/٢ •

(٢٩٧) الفضل الضبي : المفضليات ١٥٨/١

(٢٩٨) لسان العرب مادة (هام) •

تردد هذه اللفظة حتى ينتقم له اهله من قاتله بسفك دمه • قال قراد ابن عوية (٢٩٩) :

أليت شعري ما يقوئن مخارق اذا جاب الهام المصيح هامتي
وقال عروة بن الورد يخاطب امرأته وقد نهته عن الغزو (٣٠٠) :

ذريني ونفسي ، ام حسان اتسي بها قبل ان لا املك البيع مشتري
احاديث تبقي ، والفتى غير خالد اذا هو امسى هامة فوق صير (٣٠١)

ومن معنى كلمة الهامة عند اللغويين الرأس ، او الجزء المقدم منه ،
او بعض اجزائه • وقد ذكرت في معاجم اللغة فقالوا انها طير الليل ، او
طائر صغير يألف المقابر ، او البومة الطائر المعروف (٣٠٢) • ولاسطورة الهامة
صلة باسطورة الصدى ، والصدى طائر يخرج من الرأس اذا بلى ،
وقيل هو الهامة ، او ذكر البومة • وقد كانت العرب تقول الصدى في
الهامة ، والظاهر انهما من اسطورة واحدة وقد فرق بينهما بعد زمن
الاسطورة (٣٠٣) •

ومن هذا الخلط وجدنا اضطراب استعمالهما في اللغة ، واختلاط
معانيهما عند العرب ، فاستعملت كل واحدة منهما مكان الاخرى ،
كما وجدنا في النماذج الشعرية التي ذكرناها •

ويقول الدكتور عبدالمعيد خان (٣٠٤) : ان النفس كانت عند
العرب عبارة عن دم الحياة ، كما كانت عند الاسرائيليين • ثم يقول :
ومنهم من زعم أن النفس هي الدم ، وان الروح الهواء الذي كان في

(٢٩٩) ابو تمام : الحماسة : شرح المرزوقي ١٠١٥/٢

(٣٠٠) ديوان عروة بن الورد ص ٢٥ •

(٣٠١) صير : حجارة تجعل كالحظيرة زربا للفنم •

(٣٠٢) لسان العرب مادة (هام) •

(٣٠٣) جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٥ ص ٩٨ •

(٣٠٤) الاساطير العربية قبل الاسلام ص ٤٥

باطن الجسم الانساني الذي منه نفسه ••

وتزعم طائفة منهم ان النفس طائر ينسبط في جسم الانسان ، فاذا هو مات او قتل ، لم يزل مطيفا به ، متصورا له في صورة الطائر ، يصدح على قبره •• ونخلص من ذلك كله الى ان العرب القدماء دهشوا من مظاهر الحياة ، فبحثوا عن حقيقتها ، فلما رأوا انه ما دام الدم يجري في شريان الانسان فهو حي ، فاذا هريق عن جسده فهو ميت •• قالوا ان الدم هو الحياة ، ثم لاحظوا ان النفس جزء مهم في الحياة • فقالوا : ان الحياة عبارة عن الهواء الذي في باطن جسم المرء • وظلت هذه الفكرة مدة من الزمان ، فاتي جيل بالغوا في تصوير النفس الذي يتكون من الدم والهواء ، حتى اعتقدوه طيرا من الطيور التي لها علاقة بالتشاؤم وهذا الطير هو البومة التي تمثل الخراب والفساد والموت (٣٠٥)

وعلى الرغم من كل ما تقدم ، فان هذه الاساطير قد لعبت دورا كبيرا في تأريث نار الحرب واستمرار دواعيها ، لانها كانت تحمل البدوي على الانتقام ، وتضطره الى ادراك الثأر بأي شكل من الاشكال ، وعلى اية طريقة من الطرق •

(٣٠٥) نفس المصدر ص ٤٦ •

تمجيد البطولة :

للفروسية عند الامم من قديم الزمان شأن خطير ، ولتمجيدها مقام كبير ، فكان اليونانيون يقدسون فرسانهم وابطالهم الذين اشتهروا بينهم ، وكانوا يفخرون بهم •

وكان للفرسان عند العرب في الجاهلية المقام الاكبر ، والمكانة الاولى بين العشائر والقبائل ، لانهم عنوان الشجاعة ، وملاذ القبيلة ، وحماتها عند احتدام المعارك • وكانت الفروسية حديث الناس وأقاصيصهم ، كما كانت حافزا قويا للاقتداء ، وشحذ الهمم والسير في المسلك الذي اختطه البطل لنفسه • وقد ظلت احاديث اولئك الابطال حية في نفوس الاجيال عقب الاجيال ، يستلهمون منها القوة ، ويستمدون العون •

والحياة الجاهلية بطبيعة تكوينها ، كانت تفرض على ابناءها ادب الفروسية ، وتعلمهم تقديس البطولة ، لان هذا النمط من الحياة حافل بذكر الحروب ، مليء بحوادث الايام ، والبطل في هذه البيئة لم ينحدر من سلالاة الآلهة ، ولم تكن بطولته غيبية كما عودتنا الاساطير اليونانية والرومانية ، وانما بطولة نابعة من أعماق ابناءها ، ومتولدة من أعوار نفوسهم • فهي بطولة انسانية واضحة ، تتمثلها جوانب العربي ، وتتحمسها ذاته ووجدانه ، وهي صورة ناطقة بكل المقومات العربية ، ومثال حي لخصائصها ، تتجسد في أعمال الفروسية والشجاعة الخارقة ، وتتميز في تمجيد الاخلاق المثالية ، والمناقب الرفيعة ، والمزايا الفذة التي تفرد بها عدد من الاشخاص لكي يظهروا وجوهاً رائعة ، تثير الدهشة وتبعث على الاقدام •

فالبينة التي ينشأ فيها الفارس الجاهلي ، هي التي تصلب عوده ،
وتجعله يألف المخاطر والمغامرات ، وتربيته على مبادئ الفروسية
والشهامه • وهي التي تعود الفارس فيها على استقبال الموت بنفس
الروح التي يستقبل بها الحياة • فالموت لا يقربه ركوب المخاطر ، ولا
تؤخره شدة الحذر • وهذه الفلسفة الشاملة لحياة البدوي ، هي التي
دفعته الى الاستبسال •

وما البطل في هذه البيئة الا ذلك الانسان الذي تتجسد فيه
آمال الناس ورغباتهم ، وتمثل في اعماله بطولاتهم ، فيدرك بما أوتي
من قابليات وأحاسيس مطامح مجتمعه فيحاول تحقيقها ويسعى الى
انجازها ، لتتمكن صورته في نفوسهم فيحاولوا اقتفاءه ، ويتوقوا
للوصول الى درجته ، لانه يمثل الطليعة الصادقة لاماني الاغلبية
الساحقة •

والبطل عادة لا يكون الا في مجتمع ، يمثل النموذج الحي لصفات
ابنائهم ، والمثال الاعلى لنوع حياتهم ومواهبهم •

والامة المحاربة ينبغ فيها البطل ، فيبلغ مكانة لا تطاول ، وأثره
لا يُبارى ، وكلمة لا ترد ، فيغنى غناء الجحافل ، حتى اذا خلا مكانه
وافترق ، زاد ذكره ، وارتفعت سمعته ، وتضخمت اخباره ، وتعاطمت
آثاره ، وحيكت حوله الاساطير ، ونشأت القصص ، فيصبح أقرب
الى الاسطورة منه الى الحقيقة •

لقد وهب هذا النفر اقتداراً على القيام باعمال كبار ، يشغل بها
اذهان معاصريه ، فكان مبعث احترامهم ، لأن المرء في اعماقه ، يحس
أن في اجلاله لمن هو ارفع منه ، رفعة لنفسه ، وتقديراً لانسانيته ، فاذا
ما ظهر البطل ، وتوضحت معاملته ، وتمكن الناس من اكتشاف مثلهم
التي آمنوا بها ، وعاشوا من أجلها في شخصه ، تفجرت قلوبهم له عن
أخلص الولاء وأصدق الاحترام • فالبطولة صورة من الصور الخالدة ،

وان احتفاء الامة بابطالها من ابرز دلائل حيويتها ، وان من دلائل
حيويتها حفول تاريخها باسمائهم •

لقد تطور معنى البطولة مع تطور المجتمعات ، واختلاف نظرتها
الى السلوك الانساني ، فقد كانت بعض المجتمعات تغالي ، فترتفع
بابطالها الى مصاف الالهة كما فعل قدماء المصريين بأوزيريس واخته
وابنه ، وكما فعل اوائل الاسكندناويين ببطلم اودين ، او الى مراتب
انصاف الالهة كما فعل الاغريق القدماء بأبطالهم •

فالاقاصيص المتخلفة من عصور الابطال ، تبقى مليئة بروائع
الافصاف ، وبدائع الصور ، كما تظل مجالا واسعا لتمتع الاخيله ،
ومسرحاً للمواقف والوقائع • وتبقى هذه الاقاصيص محفوظة لنفستها،
وكنزاً ثميناً لقرائح الادباء واخيلتهم • فيجرون افكارهم على السنة
أشخاصها ، ويستعيرون وقائعها ومشاهدتها في تمثيل وقائع عصورهم،
وقد برزت هذه الصفات في ملاحم اليونان والرومان (١) •

والذي نجده في هذا المجال ، هو أن تطور البطولة قد جرى فعلا
في الادب الجاهلي ، وقد كان الادب صائباً في تصويره للبطل الذي
تجاوز الناس في صفاته ، وسلك في مواجهة الاحداث مسلكاً مثالياً ،
وجاء بأعمال عجز عن القيام بها سائر البشر ، وتنزه عن كثير مما يميز
الناس من نقص انساني أو ضعف بشري •

والجاهلية العربية شديدة الشبه بالعصر الهومييري ، ففيه كانت
الامة منقسمة على نفسها ، لا تفتر عن القتال ، ولا يزال يظهر فيها من
الابطال أمثال عنتره والمهلhel ودريد بن الصمة وعامر بن الطفيل
وغيرهم ، ولا تزال تتحدث بأيام المواقع ، وتتفاخر وتتنافر كما تفخر
أبطال الحروب الطروادية ، فكان العرب على تفرقهم يشعرون بوحدتهم

(١) البطولة في الادبين العربي والانجليزي - فخري ابو السعود
مجلة الرسالة (القاهرة) السنة الخامسة - العدد (١٨٩) •

في الجنس واللغة والمصير المشترك والتاريخ ، ويجتمعون في مواسم الحج واسواق التجارة والادب ، كما كان اليونانيون يجتمعون في دلفي وأولمبيا ، ولم يفهم أن يجمعوا شملهم تحت لواء العربية لدفع الفرس في موقعة ذي قار ، كما فعل الاغريق من قبل ، اذ تجمعوا بزعامة أثينا لرد عادية الفرس ايضا (٢) .

لقد كانت ملامح هذا التطور ، واشارات هذا التعبير ، تبدو ساطعة في آفاق الحياة ، فدار حولها معظم الشعر ، كما دار حول الصفات التي يجب توافرها في البطل ، فانشاعر الجاهلي لا يرى شيئاً أفضل من التعرض الى غزواته ومعاركه اذا اراد الحديث او رغب في الكلام ، لانها النقطة التي تنطلق منها جميع الفضائل ، وتلتقي عندها كل الصفات .

لقد كانت صورة البطل تتمثل للفرد الجاهلي بشكلها الكامل ، ومثلها الرفيعة ، وصفاتها النبيلة ، التي تعارف الناس عليها ، فترسم في ذهنه كاملة ، جمعت فيها كل العناصر ، وتآلفت منها كل القيم ، فحماية الجار . والكرم والشجاعة والصبر على المكاره ، كانت حلقة متصلة متماسكة ، تغنى بها في شعره ، ودافع عنها ما استطاع الدفاع ، ليثبتها في مجتمعه . هذه المثل السامية التي سنّها الفرسان ، ورفعوا لواءها عاليا ، كانت دليلاً حياً على اعتزازهم بها ، لانها هيأت نفوسهم لسمو انساني نبيل ، وعودتهم على قيم خالدة ، فدعتهم الى احترامها ، واجبرتهم على تمجيدها، فحفل الادب بصورها الرائعة ، فكانت لوحات خالدة في عالم الكرم والايتار والبطولة والتضحية .

فهذا انسان ، يعد الكرم فخراً ، لاسيما اذا ارغمت الشدائد الناس على الاثرة ، فعند ذلك تجد نفسه تنطلق بكل ما يدخره من الزاد ، ليطعم

(٢) البطولة في الادبين العربي والانكليزي ، الرسالة - السنة الخامسة - ١٨٩ .

كل جائع ويقري كل ضيف •

قد يعلم القوم إذ طالت غزاتهم وارملوا الزاد أني مُنفذ زادي^(٣)
وهذا الانسان يعتز بهذه الصفة ، وينحي على لائمه باللائمة ، اذا
كان اللوم مبعثه الكرم ، وسببه الانفاق • ثم يدعم كلامه هذا بحجته
التي اتخذها فلسفة حياة لنفسه ، وبنى عليها كل مقوماته ومثله ، وهي
ان الخلود في البذل وان المنيّة غاية الاجيال^(٤) •

وتقول عاذلتي وليس لها بغد ولا ما بعده علم
إن الثراء هو الخلود وان المرء يكرب يومه العدم
إني وجدك ما تخلدني مائة يطير عفاؤها آدم^(٥)

وهذا شاعر آخر وهو عمرو بن الاهتم يبين لنا كيف انه ينكر
البخل ، لانه مزر باخلاق الرجال الكريمة ، وواضع من عوالي رتبها •
ويدعو زوجته الى ان تترك الحديث عن بذل المال ، وتتبع هواه ، فهو
يشفق على الحسب الذي رفع بناءه ، ثم يقول ان الكرام يتقون الدم ببذل
القرى ، ولقضاء حقوق الكرم ، والمروءة طريقة مسلوكة ومعروفة • ثم
يتطرق الى ضيف طرفه ليلا ، وكيف رحب به وكيف كان اللقاء^(٦) :

ذريني فإن البخل يا أم هيثم
ذريني وحطّي في هواي فاني
واني كريم ذو عيال تهمني
لصالح أخلاق الرجال سرّوق
على الحسب الزاكي الرفيع شفيق^(٧)
نواب يعشّي رزؤها وحقوق

(٣) الفضل الضبي : المفضليات ١٥١/٢ والبيت لسنان بن ابي
حارثة المري •

(٤) نفس المصدر : ١١٦/١ • والايات للمخبل السعدي •

(٥) يطير عفاؤها : يذهب وبرها من السمن • الادم : الابل الخالصة

البياض ••

(٦) الفضل الضبي : المفضليات ١٢٣/١

(٧) يقال حط في هواه : اذا تابعه ولم يعصه في كل ما امره به •

ومستنبح بعد الهدوء دعوته^(٨) وقد حان من نجم الشتاء خفق^(٨)
فقلت له : أهلا وسهلا ومرحبا^(٩) فهذا صبوح^(٩) راهن وصديق^(٩)
وكل كريم يتقي الدم بالقري^(٩) وللخير بين الصالحين طريق^(٩)
لعمرك ما ضاقت بلاد^(٩) بأهلها^(٩) ولكن اخلاق الرجال تضيق^(٩)

فالبذل بما لا غنى عنه عن نفس مطمئنة راضية اعتقاد^(٩) اكيد في
نفس البدوي على اداء واجب لا بد منه ، وهو سجية تنبثق من المروءة ،
وتنطلق من الايمان العميق بفضيلة هذا العمل .

وما لنا نذهب بعيدا وصورة حاتم تمثل لنا بكل شموخ واباء ،
وترتسم واضحة بكل جلاء ، لتصور لنا الكرم الاصيل ، والخلق الرفيع .
فمما يروى عن كرمه ما حدث به ابن الكلبي حيث قال : اخبرنا ابو
مسكين مولى ابي هريرة عن ابيه عن جده قال : مر ابو الخيبري في قعر
من قومه بقبر حاتم ، وحواله أنصاب نوائح من حجارة
كأنهن نساء ، فنزلوا به ، فبات ابو الخيبري ليلته كلها ينادي أقسر
اضيافك يا أبا جعد ، فيقال له مهلا ، ما تكلم من رمة بالية ، فيقول : ان
طيناً تزعم انه لم ينزل به احد الا قراه ، فلما كان في آخر الليل نسام
ابو الخيبري ، حتى اذا كان في السحر ، وثب فجعل يصيح ويقول :
واراحلتاه فقال له اصحابه ، ما لك قال : بلى والله ، فنظروا الى راحلتها ،
فاذا هي مختزاة ، لا تنبعث قالوا : والله قد قراكم ، فظلوا يأكلون لحمها
ثم اردفوه وانطلقوا ، فساروا ثم نظروا الى راكب فاذا هو عدي بن
حاتم راكب جملا اسود ، حتى لحقهم فقال : أيكم هو الخيبري ، قالوا :
هذا . قال : ان حاتماً جاءني في النوم فذكرني شتمك اياه ، وانه قرى
راحلتك اصحابك ، وقال لي في ذلك ابياتا ردها علي حتى حفظتها هي :

(٨) المستنبح : الرجل يضل الطريق ليلا فينبح لتجيبه الكلاب
ان كانت قريبا منه ، فاذا اجابته تبع اصواتها ، فأتى الحي فاستضافهم .
(٩) الراهن : الدائم ، الثابت .

أبا الخيبري وأنت امرؤ حسود العشيبة شتامها
فماذا اردت الى رمّة بداوية صخب هامها
تبغى اذاها واعسارها وحولك غوث وانعامها
وانا لنطعم اضيافنا من اللوم بالسيف نعامها

وقد امرني ان احملك على بعير فدونكه ، فأخذه فركبه وذهب (١٠) .
فعلى الرغم مما يشوب هذه الحكاية من جو اسطوري ، وما تحمله
من مبالغات ، فانها تدلنا بوضوح على مكانة حاتم ، وعن مدى احاديث
كرمه التي أصبحت مضرب المثل ، على ان هذه الحادثة قد وردت في
روايات كثيرة ، وباشكال مختلفة . فقد وردت في القصيدة التي مدح
فيها ابن دارة عدي بن حاتم (١١) .

ابوك ابو سقانة الخير لم يزل^{١٠} لدن شبّ حتى مات في الخير اغبا
به تضرب الامثال في الجود ميتاً وكان له اذ كان حياً مصاحباً
قرى قبره الاضياف اذ نزلوا به ولم يقر قبره قبله قط راكبا
على ان هذا الخلق الرفيع ، والكرم الاصيل ، كان لا يزيد حاتم
الاتواضعاً ، فقد سئل حاتم هل من العرب اجود منك ، فتبسّم وقال :
كل العرب اجود مني (١٢) . وقصة الاسير الذي ناداه مروية كثيرا .
فقد روي انه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة ، فلما كان بارض عنزة
ناداه أسير لهم ، يا أبا سقانة ، اكلني الاسار والقمل . فقال : ويحك
ما أنا في بلاد قومي ، وما معي شي ، وقد اسأت بي اذ نوهت بأسمي ،
وما لك متترك . ثم ساوم به العنزيين واشتراه منهم ، فخلاه وأقام
مكانه في قيده ، حتى أتى بفدائه فاداه اليهم .

وكعب بن مامه الذي يضرب به المثل في الجود ، كانت بطولته

(١٠) الاصفهاني : الاغاني ٩٧/١٦ ساسي

(١١) ديوان حاتم الطائي ص ٣٠ / طبع لندن .

(١٢) اوصاف الاشراف : مخطوط في دار الكتب .

نادرة ، وتضحيتها غالية ، وايثاره مضرب المثل ، فمن حديثه انه خرج في ركب ، فيهم رجل من النمر بن قاسط ، في شهر صفر ، فضلوا ، فتصافنوا ماءهم ، وهو أن يطرح في القعب^(١٣) حصاة . ثم يصب فيه من الماء بقدر ما يغير الحصاة ، وتلك الحصاة هي المقلة^(١٤) . فيشرب كل انسان بقدر واحد ، فقعدهوا للشرب ، فلما دار القعب وانتهى الى كعب ، ابصر النمري يحدد النظر اليه ، فأثره كعب بمائه ، وقال للساقي : اسق اخاك النمري ، فشرب النمري نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ، ثم نزلوا من غدهم المنزل الآخر ، فتصافنوا بقية مائهم ، فنظر اليه النمري كمنظرة امس ، فقال كعب كقولاه امس ، وارتحل القوم وقالوا يا كعب ارتحل ، فلم تكن به قوة للنهوض ، وكانوا قد قربوا من الماء ، فقبل له رد كعب انك وراذ ، فعجز عن الجواب ، فلما يسوا منه ، خيموا عليه بثوب يسنعه من الوحوش أن تأكله ، وتركوه مكانه ففاض^(١٥) .

وهذا قيس بن عاصم المنقري ، يخاطب زوجته ويوصيها اذا صنعت له الطعام أن تطبخ ضيفا يشاركه فيه ، لانه لا يريد أن يأكل وحده ، مخافة ان يتحدث عنه بالبخل بعد موته .

وهو يحرص على سمعته فيقول^(١٦) :

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد^(١٧)
اذا ما أصبت الزاد فالتمس له اكيلا فاني غير آكله وحدي

(١٣) القعب : اناء ضخم كالقصة .

(١٤) المقلة بفتح الميم ويقال مقلها : اذا القاها في الإناء وصب عليها الماء . .

(١٥) الالوسي : بلوغ الارب ٨١/١

(١٦) المبرد : الكامل في اللغة ٢ / ٥٢٥ .

(١٧) ذو البردين : عامر بن احيمر ، وهو جد امراته ، والبردان ثوبان لبسهما عامر حين قال النعمان في وفود العرب : ليقم اعز العرب فليلبسهما .

قصياً كريماً أو قريباً فإنتي أخاف مذمات الاحاديث من بعدي (١٨)
واني لعبد الضيف ما دام ثاوياً وما من خلالي غيرها شيمة العبد

ففي هذه المثل الخالدة ، تتمثل عظمة الجود والايثار والكرم
ومكارم الاخلاق التي يقف الانسان امامها معجباً بهذه البطولة ، معتزاً
بهذه المفخر النادرة في سجل السنين ، ليستمد منها كل المثل الخيرة ،
والقيم الانسانية الحققة ، وليجعلها روائع في صفحات التاريخ العربي
والانساني ، وصورا لبطولات خارقة ••

ان المشاركة في الزاد لم تكن وقفاً على نفر معين من الناس ، أو
جماعة مخصوصة بهذه الميزة ، وانما كانت عادة اعتادها العرب في
حياتهم ، فكانت طابعا عاما لهم ، شاركت فيها الفئات القبلية ، فالصعاليك
الذين اتسمت حياتهم في ظاهرها بالفردية والخروج على تقاليد المجتمع ،
كان من المنطق ان يخرجوا على هذه التقاليد ، ويتعدوا عن هذه
المعاني ، ولكن الذي نراه فيهم هو العكس ، فقد تمثلت المعاني في
أخلاق هذه الجماعة تمثلاً جلياً ، وحسبنا أن نقرأ قصائد الشنفرى
وتأبط شرا وعروة بن الورد ، لنستبين أن تمدحهم وتمجدهم لم يكن
بمظاهر بطولاتهم في القتال ، وانما كان بما تحققه هذه البطولة من معان
نفسية وخلقية واجتماعية . وكأنا تحولت حركة الصعاليك في مضمونها
وشكلها الى نظام يشبه الى حد قريب نظام الفروسية ، بما حققته من
صفات ومثل •

وقد ظلت احاديث عروة بن الورد تذكر بكل اجلال وتعظيم ••
فقد قال عمر بن الخطاب (رض) للحطيئة : كيف كنتم في حربكم ؟
قال : كنا الف حازم قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيس بن زهير ، وكان
حازماً ولا نعصيه فكأنا الف حازم ، وكنا نثقدم اقدام عنترة ، ونأتم
بشعر عروة بن الورد (١٩) •

(١٨) المذمة بفتح الدال : الذم واللوم وكذلك بكسرهما .

(١٩) ابو عبيد : سمط اللالي ٢ / ٨٢٤

وقيل ان عبد الملك قال : من زعم أن حاتمًا اسبحُ الناس ، فقد
ظلم عروة بن الورد (٢٠) .

إن حاتمًا الطائي ، وكعب بن مامة الايادي ، وقيس بن عاصم
وعروة بن الورد ، لم يكونوا الا أمثلة من عشرات الاجواد الذين حفل
بهم تاريخ العرب ، فرسموا في صفحاته أروع آيات البطولة الانسانية .
وأما الشجاعة ، فهي من الصفات التي يكتسبها الانسان بالمران
والممارسة ، وهي لا تدرك الا باستمرارها ، ولا تعلم الا بمقتضاها .
ومن مظاهرها عدم المبالاة بالحياة ولا بالمات ، وكلما كانت هذه
الآثار اعظم كان مبدؤها أقوى واتم .

وقد كان العرب يتماحون بالموت على اطراف الرماح ، وتحت
ظلال السيوف ، وقعقة السلاح ، وبين صيحات الفرسان ، ويتهاجون
بالموت على الفراش . ويقولون فيمن مات مثل هذه الميتة ، مات حتف
انفه . قال السموال (٢١) :

وما مات منا سيّد حتف انفه ولا طلّ منا حيثُ كان قتيل
تسيل على حد الطّبات نفوسنا وليست على غير السيوف تسيلُ

وقال الحصين بن الحمام (٢٢) :

تأخرتُ استبقي الحياة فلم اجد نفسي حياة مثل ان اتقدما

وقال عروة بن الورد (٢٣) :

اذ قيل يا ابن الورد اقدم الى الوغى أجبتُ فلا قاني كميُّ مقارعُ
فلا انا ما جرتُ الحربُ مشتكٍ ولا انا مما احدث الدهر جازع

(٢٠) الاصفهاني : الاغاني ٧٤/٣ دار الكتب .

(٢١) ابن عبد ربه : العقد الفرید ١١٨/١ .

(٢٢) نفس المصدر : ١٢٢/١ .

(٢٣) ديوان عروة : صادر ص ٧٤ .

لقد كان احساس هؤلاء الابطال ببطولاتهم يتضخم في نفوسهم ،
وكثيراً ما يحلو لهؤلاء الابطال أن يستذكروا الوقائع التي عُرِفَتْ فيها
بطولاتهم ، وثبتت بها فروسياتهم ، فيعيدوها لتكون فخراً لهم ، وتذكيراً
لاعدائهم ، وليثبتوا في قلوب الخصم ، الرعب والفرع . قال عامر بن
الطفيل (٢٤) :

ألسنا نقودُ الخيلَ قَباً عواسباً ونخضبُ يومَ الروعِ اسيافاً (٢٥)
ونحميَ الدمارَ حينَ يشتجرُ القنا ونثني عن السَّربِ الرعيلِ المُسوما
ونستلبُ الحوَّ العواسبِ كالقنا سواهمِ يحملنِ الوشيحَ المقوما (٢٦)
ونحنُ صبحنا حي اسماء غارةً أبالت حبالِي الحي من وقعها (٢٧)
أو نراهم يُشهدون الخيلَ على شجاعتهم ، لأنها اصمدق ،
ومظاهرها ادل ، وفي ذلك يقول عامر بن الطفيل (٢٧) :

لقد تعلمُ الخيلُ المغيرةَ أُننا إذا ابتدرَ الناسَ الفعَالِ اسودُّها
على رِبدٍ يزدادُ جوداً إذا جرى وقد قلقت تحت السروج لبودها (٢٨)
وقد خُضِبَت بالماءِ حتى كأنما تشبه كمت الخيلِ منهن سودُّها (٢٩)
ان احاديث الشجاعة ظلت تدور على السنة الاجيال عقب الاجيال ،
وظلت معانيها السامية تعيش مع وجود العربي ، لأنها عنوان بقائه .
فقد روي أن عمر بن الخطاب (رض) قال لعمرو بن معد يكرب من
اشجع من رأيت ؟ قال : خرجت في بعض غزواتي فأصبحت بين دكادك
(هرشى) فنظرت الى ابيات ، فعدلت اليها ، فاذا بجوار ثلاث كأنهن
نجوم ، فبكين حين رأيتني فقلت ما يبكيكن ؟ قلن لما ابتلينا به منك .

- (٢٤) ديوان عامر بن الطفيل : ص ١٢٨ .
(٢٥) القب من الخيل : الضوامر البطون . والواحد أقب .
(٢٦) الوشيح : الرماح .
(٢٧) ديوان عامر بن الطفيل : ص ٤٥ .
(٢٨) ربد : سريع .
(٢٩) خضب بالماء : اراد عرقت ، وجف عرقها ، فظهر كأنه أسود .

واخت لنا من وراء هذا القوز هي أجمل منا تموت هناك ضياعا ،
فأشرفت من فدغد فاذا بفتى لم أرَ قط أحسن من وجهه ، له ذؤابة
يسحبها ، وهو يخصف نعله ، فلما فطر الي وثب على فرسه فبادر
وسبقني الى الايات ، فوجدهن قد ارتعن فسمعته يقول :

مهلا نسياتي فلا ترتعن ° ان تمنع اليوم نساء تمنعن

فلما دنوت منه ، قلت : اطرُدني ام اطرُدك ؟ قال بل اطرُدني ،
فركض وركضت في اثره حتى اذا مكنت السنان من لفتته (٣٠) ، اعتمدت
عليه طعنا ، فاذا هو والله مع لب فرسه ، ثم استوى من سرجه ، فقلت
اقلني ، فقال اطرُد ° ، فطرده ، حتى اذا امكنت السنان من متنه ،
شددت عليه وانا اظن أني قد فرغت منه ، فمال عن سرجه حتى خالط
الارض ، وقص السنان زالجا ، ثم استوى على فرسه ، فقلت : اقلني
فقال : اطرُد • ففعلت ، وفعل مثل ذلك فلما استوى على فرسه ، قال :
أبعد تريد ماذا ؟ اطرُد ثكلتك أمك ، فوليت وانا منه فرق ، فاما
غشيني ووجدت مس السنان ، التفت فاذا هو يطردني بالرمح منصلا
دون سنان ، فكف عني واستناني فنزلت ، وجز ناصيتي وقال : انطلق
فاني انفس بك عن القتل ، فكان ذلك عندي يا امير المؤمنين اشد من
القتل والموت ، وسألت عنه ف قيل هو ربيعة بن مكدم الفراسي فذلك
والله اشجع من رأيت (٣١) •

وقال ابو عمرو بن العلاء لا نعلم قتيلا ، ولا ميتا حمى الاظعان
غيره وكان يعقر على قبره في الجاهلية ، ولم يعقر على قبر أحد
غيره (٣٢) •

وروي عن عمرو بن معد يكرب قال : لو طفتُ بظعينة احياء

(٣٠) اللقطة : اسفل من الكتف .

(٣١) ابو عبيد : سمط اللالي ٢ / ٩١١ .

(٣٢) ابن عبد ربه العقد الفريد ١ / ١٣٦ .

العرب ، ما خفت عليها ما لم ألق عبديها وحرّيتها - يعني بالعبدین
عنتر بن شداد والسئليک بن السلکة * والحرين دريد بن الصمّة
وربيعة بن مکدم (٣٣) *

وفي اخبار عامر بن الطفيل ، ان الاعشى أتى الاسود العنسي وقد
امتدحه ، فاستبظاً جائزته فقال الاسود : ليس عندنا عين ، ولكن نعطيک
عَرَضاً * فأعطاه خمسمائة مثقال دُهناً وبخمسائة حللاً وعنبراً *

فلما مر ببلاد بني عامر خافهم على ما معه ، فأتى علقمة بن علاثة
فقال له : أجرني فقال : قد أجرتك قال : من الجن والانس ؟ قال نعم *
قال : ومن الموت ؟ قال : لا *

فأتى عامر بن الطفيل فقال : أجرني ، قال : أجرتك * قال : من
الجن والانس ؟ قال نعم * قال : ومن الموت ؟ قال نعم * قال وكيف
تجبرني من الموت ؟ قال : ان مت وانت في جوارى بعثت الى أهلك
الدية : فقال الان علمت انك قد اجرتني من الموت فمدح عامراً وهجاً
علقمة فقال علقمة لو علمت الذي أراد كنت اعطيته اياه (٣٤) *

وكثيراً ما كانت تعقد في عكاظ المبايعة على اشهر الفرسان ، اعتزازاً
ببطولاتهم ، وتمجيذاً لمواقفهم * فتعقد لهم الوية الفروسية ، فقد اجتمع
العكاظيون على أن فرسان العرب ثلاثة ، ففارس تميم عتبة بن الحارث
ابن شهاب أحد بني ثعلبة بن يربوع بن حنظلة صياد الفوارس ، وفارس
قيس ، عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وفارس ربيعة
بسظام بن قيس بن مسعود (٣٥) *

لقد كانت فروسية هؤلاء الابطال - كما نراها بعيدة عن التهور
المضحك ، الخاص بالحمقى من رجال الحرب ، الذي يدفع الابطال الى

(٣٣) الاصفهاني : الاغاني ٢٧/١٤ ساسي .

(٣٤) الاصفهاني : الاغاني ١٢٠/٩ دار الكتب

(٣٥) المبرد : الكامل في اللغة والادب ١٣٤/١ .

نجدة المستغيث في أي ظرف، فيرتمون في المخاطر دون حساب للعواقب •
فعتبرة كان شجاعاً ، ولكنه مقتصد في شجاعته ، مفكر في طريقة
استعمالها • قيل لعنتره : انت اشجع العرب واشدها • قال : لا ، قيل :
فيماذا شاع نك هذا في الناس ؟ قال : أقدم اذا رأيت الأقدام عزما ،
وأحجم اذا رأيت الأحجام حزما ، ولا ادخل موضعا لا اري لي منه
مخرجا • وكنت اعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير
لها قلب الشجاع ، فأثني عليه واقتله (٣٦) •

لقد كانت لعنتره فراسة تصيب ولا تخطيء ، وكأنه ادرك نفسيات
الرجال • وعرف كيف يتوغل في اعماقها ، فاحتفظت ذاكرة العرب على
مدى الاجيال بهذه الشخصية ، وبهذا الفارس ، فكان المثال الاعلى في
البسالة والبطولة الحربية ، وكانت احاديثه نواة الملحمة الكبرى في
تاريخ الادب العربي •

الفصل الثالث

عناصر الفروسية

الخيول .

لقد استأثرت الخيل بحب العرب منذ أقدم العهود ، لما تؤديه من خدمات يعجز عن ادائها سواها ، لذلك كانت عنايتهم بها ، واهتمامهم بتربيتها ، عناية تفوق كل شيء ، واهتماما لا يكون مثله اهتمام ، ففيها من خصال الشرف والمنافع ، والغناء في السفر والحضر ، وفي الحرب والسلم ، وفي الزينة والبهاء ، وفي العدة والعتاد ، ما ليس في غيرها من الحيوان (١) .

وقد اشتهر العرب منذ أقدم العصور بالمحافظة على أنسابها ، وعدم الخلط بين سلالاتها ، فكانوا يتناقلونها مشافهة صغيرهم عن كبيرهم ، وخلدوا ذكرها وصفاتها في قصائدهم ومقطعاتهم ، ثم عكف فريق من العلماء ، كالاصمعي وأبي عبيدة وغيرهما على تدوينها تدوينا منظما ، ووضعوا في ذلك رسائلهم التي لم يصل إلينا منها الا النزر اليسير .

ولقد كان اطلاق الاسماء على الخيل عادة مألوفة ومعروفة ، ليتمكنوا من تمييزها ، وليعرفوا الاصيل منها من غيره ، وقد حفلت قصص الفروسية العربية بذكر كثير من اسماء الخيل التي كانت تمثل الاصحاب الحقيقيين لها ، والتي كانت لا تقل بطولاتها عن بطولات فرسانها ، فاستحقت بذلك الاعجاب والتقدير .

(١) الجاحظ : الحيوان تحقيق عبدالسلام هارون ١٢٠/٣

وقد ذكر صاحب انساب الخيل^(٢) اكثر من مائة فرس من أفراس الجاهلية والاسلام ، مع نسبتها الى اصحابها . نذكر قسما منها على سبيل المثال لا الحصر ، فقد حدث الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس : ان « اعوج » كان سيد الخيل المشهورة ، وانه كان لملك من ملوك كنده فعزا بني سليم علاف فهزموه ، واخذوا « اعوج » ، فكان اوله لبني هلال ، تتجوه ، وامه « سبَل » بنت فياض ، كانت لبني جعدة . ثم انتشرت الخيل الجياد في العرب^(٣) .

وكان فيما سَمَّوا لنا من جياد فحولها واناثها المنجبات :

« الغراب » ، و « الوجيه » ، و « لاحق » ، و « المذهب » ، و « مكتوم » .

وكانت هذه جميعا لغنى بن اعصر بن سعد بن قيس بن عيلان . فقال طفيل الغنوي :

بناتُ « الغراب » و « الوجيه » و « لاحق »

و « اعوج » تنسبُ نسبة المتنسبِ

وكان منها « ذو العقال » لبني رياح بن يربوع . ومنها « داحس » وهو ابن « ذي العقال » . وامه « جلوى » الكبرى ، وله حديث طويل في حرب غطفان .

ومنها « الحنفاء » اخت « داحس » من ولد « ذي العقال » لحذيفة بن بدر الفزاري .

ومنها « الغبراء » كانت لقيس بن زهير بن جذيمة^(٤) وهي خالة « داحس » واخته لاييه .

(٢) ابن الكلبي : انساب الخيل ص ١٢٩ .

(٣) اعتمدت في كتابة هذا الفصل على « كتاب انساب الخيل في الجاهلية والاسلام وأخبارها » لابن الكلبي وكتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان لعلي بن عبدالرحمن بن هذيل الاندلسي .

(٤) وفي حلية الفرسان انها كانت لحمل بن بدر الفزاري ص ١٥٣

وكان منها « فياض » و « اسبل » لبني جعدة ايضا • وكان منها
« الحيمالة » و « القرظ » لبني سليم •

وكان منها « اللطيم » فرس ربيعة بن مكدم •
ومنها « الورد » فرس فضالة بن كلدة • ومنها « معروف » فرس
سلمة بن هند الغاضي • ومنها « ناصح » فرس فضالة بن هند وله
يقول :

« أناصحُ » شمر لرهان فانها غداة حفاظ جمعتهما الحلابُ
أتذكر الباسيك في كل شتوة ردائي واطعاميك والبطن ساغبُ
فانك مجلوبٌ عليّ ضحى غد ومالك ان لم يجلب الله جالبُ

وكان منها « الشوهاء » • فرس حاجب بن زرارة ولها يقول بشر
ابن أبي خازم الاسدي :

وافلت حاجبٌ تحت العوالي عليّ « شوهاء » تركع في الظراب
ولو ادركن رأس بني تميم عقرن ألوجه منه بالتراب

وكان منها « الرقيب » • فرس الزبيرقان بن بدر • وكان منها
« أثال » فرس ضمرة بن ضمرة النهشلي •
وكان منها « الشيط » فرس أئيف بن جبلة الضبي وهو جد
« داحس » من قبل أمه ، فيما زعم العبسيون •

ومنها « العرادة » ، فرس كلجبه وهو هبيرة بن عبد مناف
اليربوعي • ومنها « العباب » فرس مالك بن نويرة • ومنها « الجون »
فرس متمم بن نويرة اليربوعي • ومنها « النحام » فرس سئليك بن
السلكه السعدي •

وكان منها في قيس عيلان • وكان من مشهوري فرسان العرب ،
عامر بن الطفيل فرسه : « المزنوق » • ومنها « حذفة » • فرس خالد بن
جعفر • ومنها « جروة » فرس شداد بن معاوية العبسي • ومنها

« الأبجر » فرس عنقزة بن شداد الببسي • ومنها « الأدهم » فرسه أيضا •

ومنها « العرادة » فرس أبي دؤاد الأيادي • ومنها « الجمالة » فرس الطفيل بن مالك ، صارت الى عامر بن الطفيل •
ومنها « قترزل » من ولد داحس ، فرس ابي عامر الطفيل بن مالك
أبن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فارس قترزل •

ومنها « خصاف » ، فرس سفيان بن ربيعة الباهلي ويسمى فارس خصاف • وهي التي يضرب بها الناس مثلاً : « لانت اجراً من فارس خصاف » •

ومنها « السلس » • فرس مهلهل بن ربيعة التغلبي • ومنها « الشموس » • فرس يزيد بن خذاق • ومنها « اليعحوم » • وهو فرس النعمان بن المنذر • ومنها « العطاف » فرس عمرو بن معد يكرب • ومنها « الهطال » فرس زيد الخيل الطائي •

ومن هنا نستطيع ان نقول انه ليس في مملكة الحيوان نوع يتداخل تاريخه مع تاريخ الانسان كالخيل ، ولسنا نخشى الاتهام بالمغالاة اذا قلنا ، ان ظهور الخيل وترويضها لخدمة الانسان كان من العوامل الحاسمة في تسيير التاريخ القديم • لان قيام كثير من الممالك القديمة ، كان رهنا بمدى اقتناء الخيول السريعة الخفيفة ، او بمدى معرفتها لوسائل استخدامها •

ولم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئاً من أموالها أو تكرمه صيانتها الخيل وكرامتها لها ، لما كان لهم فيها من العز والجمال ، والمنعة والقوة ، فكانوا بها يدافعون عما يملكون ، ويحمون ذمارهم ، ويعادون اعداءهم ، ويطلبون ثاراتهم ، وينالون بها الغنائم • فأجبوها وعلق حبها بقلوبهم وظل ذكرها يتردد على شفاههم • قال ابو دؤاد (٥) :

(٥) ابن هذيل : حلية الفرسان ص ١٨٢ •

عَلِقَ الخيل حب قلبي مقلا واذا ثاب عندي الاكثار
علقت همتي بهن فما ينسع مني الاغنة الا قثار
وانجرادي بهن نحو عدوي وارتحال البلاد والتسيار
وكان لهم فيها من التباهي والتفاخر والتنافس ما يدعو الى التأمل •
ففي اكرامها اكرام للمرء نفسه ، لانها وقاية للنفوس • وفي ذلك يحث
أحد بني عامر بن صعصعة قومه فيقول (٦) :

بني عامر ما لي أرى الخيل اصبحت بطانا وبعض الضمر للخيل أفضل
بني عامر ان الخيول وقاية لانفسكم والموت وقت مؤجل
أهيبوا لها ما تكرمون وباشروا صياتتها والصون للخيل أجمل
متى تكرموها يكرم المرء نفسه وكل امرئ من قومه حيث ينزل
حتى كان الرجل من العرب يبيت طاويا ويشبع فرسه ويؤثره على
نفسه وأهله وولده ، فيسقيه المحض ويشرب الماء القراح • ويُعيّر
بعضهم بعضا باذالة الخيل وهزالتها وسوء صياتتها (٧) •

ولم تزل العرب على ذلك من تسمير الخيل ، والرغبة في اتخاذها
وصياتتها ، والصبر على مقاساة مؤوتتها مع جدوبة بلادهم ، وشدة
حالهم في معيشتهم (٨) ، الى حد انهم سموها الخير ، وفي الحديث
الشريف : الخيل معقود في نواصيها الخير •

وقال الطفيل الغنوي (٩) :

وللخيل أيام فمن يصطبر لها ويعرف لها أيامها الخير تعقب
وليس أدل على اعزاز الخيل من قول امرئ القيس في معلقته (١٠) :

(٦) ابو عبيدة : الخيل ص ١٢ •

(٧) نفس المصدر ص ٢ •

(٨) نفس المصدر ص ٣ •

(٩) ديوان الطفيل ص ١٦

(١٠) ديوان امرئ القيس ص ٢١ •

كأن على الكتفين منه اذا اتحنى مداك عروس أو صراية حنظل (١١)
وبات عليه سرجه ولجامه وبات بعيني قائما غير مرسل (١٢)

وقد اضيف لفظ الخيل الى بعض الاسماء فقول زيد الخيل ،
لشغفه بها ، وكثرة ما اجتمع لديه منها ، مع انها كانت غالية الاثمان ،
لا يقتنيها الا فارس شجاع ، يغمها في غاراته ، أو كريم موسر يوجد
في شرائها بأمواله . وقد عرفت لزيد الخيل ستة افراس بأسمائها وهي :
الهطال وانكमित والورد وكامل ودوول ولاحق (١٣) .

والفرس عدة للفارس في الحروب ، لحميتها وغيرها على صاحبها ،
لذا فقد كانوا يربونها قريبا منهم ، اكراما لها ، وتعظيما لقدرها ،
واعترافا بوصلها واعتزازا بها ، واستعدادا للقتال على ظهرها ، حتى
سميت المقربة . قال الحارث بن عباد (١٤) :

قربا مربط النعامة مني لقتحت حرب وائل عن حيال (١٥)
وقال عامر بن الطفيل (١٦) :

وجياد لنا نعودها الاقدام ان غارت بدت وازبأرت (١٧)

(١١) مداك عروس : أي هو يبرق كما يبرق الحجر الذي يسحق
عليه الطيب . وخض العروس لانها قريبة العهد بسحق الطيب ،
فمداكها براق . والصراية : الحنظلة الصفراء البراقة .

(١٢) يعني انه كان مرتقبا للصباح ليصيد ، فلم يحط عنه سرجه
ولجامه . وقوله « وبات بعيني قائما » أي حيث أراه لكرامته علي . وقوله
« غير مرسل » أي لم أهمله لاني مستعد .

(١٣) الاصفهاني : لاغاني ٤٦/١٦ سلسي

(١٤) الاصمعي : الاصمعيات ص ٦٧

(١٥) النعامة اسم فرسه . لقتحت : حمات . عن حيال : بعد
حيال ، والحيال بكسر الحاء من قولهم حالت الناقة أي لم تحمل ، وهذا
مثل ضربه لشدة الحرب .

(١٦) ديوان عامر ص ٣٢ .

(١٧) ازبأرت : انتفش وتكبر وتعظم .

مقربات كالهيم شعث النواصي قد رفعنا من حضرها فاستدرت (١٨)

وقال أيضا (١٩) :

للمقربات غدو حين نحضرها وغادة تستثير النقع في رهج

وقال أيضا (٢٠) :

تري رائدات الخيل حول بيوتنا اباييل تردى بالعشي وبالبكر (٢١)

وقال المزرد بن ضرار (٢٢) :

مقربة لم تقتعد غير غادة ولم تتمر الطيبين منها السلائل (٢٣)

وقد بلغ من تعظيمهم الخيل ، انهم كانوا لا يهنئون الا بغلام يولد
او شاعر ينبغ أو فرس تنتج (٢٤) :

وكما كان لفظ الخيل يضاف الى بعض الاسماء ، كان يضاف لقب

الفارس الى فرسه ، تعظيما واکراما . فيقال : فارس الجون (٢٥) ، كما

(١٨) المقربة من الخيل التي تشد عند بيوتهم ، لا تترك تسرح .
كانها كريمة عليهم ، فهم يدنونها منهم ، والهيم : اراد العطاش ، اراد ان
هذه الخيل تنازع أنفسها أصحابها كما تنازع هذه الظماء من الابل أنفسها
أصحابها في شرب الماء . والحضر والاحضار : الامراع . فاستدرت : جادت
بدرتها في السير .

(١٩) ديوان عامر بن الطفيل ص ٣٥ .

(٢٠) ديوان عامر بن الطفيل ص ٧٣ .

(٢١) الرائدات : التي ترود . تجيء وتذهب . و اباييل : جماعات .

ونردى : من الرديات . وهو ضرب من العدو .

(٢٢) ديوان المزرد ص ٤١ .

(٢٣) المقربة : المؤثرة ، المكرمة . لم تقتعد : لم تتركب . غير غارة :

الا في غارة . لم تتمر : لم ترضع . واصل المارى مسح الضرع ليدر .
الطيبين : مفردها طبي وهو من الفرس بمنزلة الثدي من المرأة . والسلائل :
الاولاد .

(٢٤) ابن رشيقي : العمدة ٤٩/١ .

(٢٥) الحارث بن النعمان . والجون : الحصان الاسود . انظر

شعر علقمة في مختار الشعر الجاهلي للاعلام .

يقال فارس الضحايا •

وكان اشراف العرب يخدمون الخيل بأنفسهم ، ولا يتكلمون على سواهم في خدمتها ، وكانوا يفتخرون بكثرة العناية بها ، حتى عد ذلك مأثرة من المآثر التي يعتزون بها ، فكانوا يمرنونها على أكل قديد اللحم • فاذا اجذبوا وقل الحليب اطخموها منه ، كما كانوا يسقونها الماء الدافئ أيام الشتاء (٢٦) • وكان السهر على العناية بها مثار اعجاب الشعراء الذين كانوا يتخذون من ذلك موضوعا للمدح • ومما مدح الاعشى به هوذة بن علي الحنفي قوله (٢٧) :

جياذك في الصيف في نعمة تصان الجلال وتعطى الشعيرا (٢٨)

وكانوا لا يثقون بأحد في خيلهم الا بأولادهم ونسائهم ، وهذا دليل حرصهم عليها ، لان الاعتناء بها ، والمحافظة عليها ، محافظة على المرء نفسه • يقول الكلجة العرني (٢٩) :

وقلت لكأس : أجميها فانما نزلنا الكتيب من زرود لنزعاً (٣٠)

وهذا بشر بن أبي خازم يروي لنا اهتمام العرب بالخيل منذ قديم الزمان ، وكيف انه وجد في كتاب بني تميم تلك التقاليد ، ليصل من ذلك الى مدح خيل قبيلته ، وثباتها في الحرب ، فقال (٣١) :

-
- (٢٦) الجزائري : نخبة عقد الاجياد ص ٢٢٣ .
(٢٧) ديوان الاعشى : تحقيق محمد محمد حسين ص ٩٩
(٢٨) الجلال : جمع جل (بضم الجيم) وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .
(٢٩) المفضل الضبي : المفضليات ٣٠ / ١ .
(٣٠) كأس : اسم ابنته . الكتيب : القطعة من الرمل مستطيلة محدودة . زرود : موضع . الفرع هنا : الإغاثة وهو من الاضداد .
(٣١) ديوان بشر بن ابي خازم ص ٧٨ .

وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المكار (٣٢)

ومن مظاهر اهتمام العربي بفرسه ، انه كان يلازمها ليل نهار ،
وصيف شتاء ، وكان لا يسقيها الا الحليب ، ولا يطعمها الا من طعامه ،
وفي ذلك يقول مالك بن نويرة (٣٣) :

اذا ضيع الانزال في المحل خيلهم فلم يركبوا حتى تهيج المصايف
كفاني دوائي ذا الخمار وصنعتي على حين لا يقوى على الخيل عالف
اعل أهلي عن قليل متاعهم وأسقيه محض الشول والحي هاتف (٣٤)
ويقول طفيل الغنوي (٣٥) :

« (٣٢) لقد وجد هذا البيت في شعر بشر وفي شعر الطرماح .
ولذلك اختلفوا في قائله منذ القديم . وفي معنى قوله المكار خلاف .
فقالوا : المكار . العارية ، والمعنى : لا شفقة لك على العارية . لانها
ليست لك واحتجوا بالبيت الذي قبله ، وقال من رد هذا القول : المكار
المسمن . يقال أعرت الفرس اعارة اذا سمنته . وقال الجوهري في صحاحه
ج ٢ ص ٧٦٣ : والناس يرونه المكار من العارية وهو خطأ . قال ابو
عكرمه : قال ابو عبيدة : هذا البيت للطرماح ولم يروه الطوسي لبشر ،
قال الانباري وقراته على احمد بن عبيد لبشر . فلم ينكره ونسبه
صاحب اللسان ، تبعاً للجوهري ، للطرماح . ونقل صاحب اللسان بيتانحوه
شاهدا لقولهم أعرت الفرس اسمنته وهو :

أعروا خيلكم ثم إركضوها أحق الخيل بالركض المكار

والظاهر ان هذا البيت قديم جدا ، وانه هو الذي حكى بشر انه
وجده في كتاب بني تميم ، فروى شطره الاخير .
ينظر الصحاح للجوهري ج ٢ ص ٧٦٣ والمخصص ص ١٨٥
وشرح المرفعي للكامل ج ٤ ص ١٨٠ - ١٨٢ وديوان بشر بن أبي
خازم ص ٧٨ .

(٣٣) ابن هذيل : حلية الفرسان ص ١٨٢ .
(٣٤) الشول : جمع سائلة وهي من الابل ما أتى عليها من حملها
او وضعها سبعة أشهر ، فجف لبنها ، والمحض : اللبن الخالص .
(٣٥) ديوان الطفيل الغنوي ص ٣٠ .

انى وان قل مالي لا يفارقني مثل النعامة في اوصالها طول (٣٦)
ويقول جعفر بن أبى كلاب فارس (حَذْفَه) الذي كان يقوتها
بقوته اذا حل الشتاء ، ويلحفها بردائه عند اشتداد البرد في الليالي
الباردة ، ويأمر الرعاة ليؤثرونها باللبن الخالص (٣٧) :

اريفوني اراغتكم فاني وحذفة كالشجا تحت الوريد
أسويها بنفسى أو بجزء فألحفها ردائي في الجليد
أمرت الراغبين ليؤثراها لها لبن الخلية والصعود (٣٨)
ويقول عنتره في فرس أبيه شداد (٧٩) :

فمن يك سائلا عني فاني وجروه لا ترود ولا تعار (٤٠)
مقربة الشتاء ولا تراها وراء الحي يتبعها المهيار (٤١)

وقد تصل العناية بالخيال الى درجة رفيعة ، فتبلغ قيمتها في نفس
صاحبها مبلغا كبيرا ، فيفضلها على ابنائه ، ويشرب ما تبقى من اللبن ،
ويلبسها غطاء الرأس لعزتها ، قال متمم بن نويرة (٤٢) :

فله ضرب الشول الا سؤره والجل فهو مربب لا يخلع (٤٣)

(٣٦) . شبه الفرس في طول الساق بالنعامة .

(٣٧) ابن هذيل : حلية الفرسان ص ١٨٢ .

(٣٨) الخلية : التي تعطف على ولد غيرها لتدر . والصعود : التي

تلقى ولدها لغير تمام .

(٣٩) ديوان عنتره : تحقيق عبدالمنعم عبدالرؤف شلبي ص ٧٨ .

(٤٠) جروه بالكسر : اسم فرس شداد العبسي . ترود : تجول ،

والخيال اذا أكرمت لا تترك تجول .

(٤١) خص الشتاء لانه زمن المحل والجذب ، فالكرم فيه أمدح .

أي انها للركوب دون النسل .

(٤٢) المفضل الضبي : المفضليات ١ / ٥٠ .

(٤٣) الضريب : اللبن الخالص . الشول : التي شولت البانها اي

ارتفعت . يريد انه يسقى اللبن الخالص وما بقى سؤره لا يردده عليه

بل يشربه هو واهله .

وقد بلغ من اعتزاز العربي بفرسه ، انه كان يفضلها على زوجته ،
 فالاعرج المعنى يتحدث عن امرأته التي تتفجع تارة ، وتتوجع اخرى ،
 تعيب عليه وتلومه ، ولكنه لا يعلم الشكوى ومبعضها ، ثم يعرف بعد
 ذلك أن زوجته تعيب عليه ايثار فرسه (الورد) عليها باللبن ، ويقول ان
 فرسه أفضل من زوجته ساعة الفرع ، ووقت الغارة ، فهو عدة دفاعه ،
 وفي المعركة يجزيه بما كان يعامله به من ايثاره باللبن فيقول (٤٤) :

ارى أم سهل ما تزال تفجع تلوم وما ادري علام توجع
 تلوم على أن اعطي الورد لقحة وماتستوي والورد ساعة تفرع

وكما لام الاعرج المعنى زوجته ، لام عنتره امرأته ، لذكرها فرسه ،
 واعتراضها على سقائه اللبن ، واطعامه الطعام فقال :

لا تذكرني مهري وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الاجرب (٤٦)
 ان الغبوق له وأنت مسوءة فتأوهي ما شئت ثم تحوبي (٤٧)

وكان الفارس يطلق عليها لفظ « صاحبي » لمصاحبته له في غزواته
 وصيده ، قال متمم بن النويرة (٤٨) :

ولقد غدوت على القنيص وصاحبي نهد مراكله مسح جرشع (٤٩)

ووصلت منزلتها في نفسه الى درجة التقديس ، فكان يخشى عليها

(٤٤) ابو تمام : الحماسة : شرح المرزوقي ٣٤٩/١

(٤٥) ديوان عنتره ص ٢٠

(٤٦) ينذرها بالبعد عنها ، وهجران فراشها ان هي ذكرت هذا
 المهر وما يطعمه .

(٤٧) الغبوق : شراب العشي . ومسوءة محزونة . والتحوب :

التوجع .

(٤٨) الفضل الضبي : المفضليات ٤٩/١ .

(٤٩) النهد : التام . المراكل : جمع مركل بفتح الميم والكاف وهو

وهو موضع رجل الفارس من حيث الفرس . المسح : السريع العدو .

الجرشع : الفليظ .

كل امر ، فيعلق لها التمايم والادعية خوف الحاسدين • كقول خفاف بن نديه :

يعقد في الجيد عليه الرقى من خيفة الانفس والحاسد^(٥٠)
وقد تغنى العربي بامتلاكه الفرس ، وقد كان من تقاليده ألا يبيع فرسه مهما تعاضمت الاحوال • وضاعت به المسالك ، لان في ذلك مثلبة لا تدانيها مثلبة ، وهذا ما يوحي بالثقة الاكيدة التي تعمّر قلب العربي ، والاعتقاد الراسخ بحبه لهذا الحيوان الاصيل العريق ، وقد تخصص فريق من الشعراء في اوصافها •

وقد ذكر الاصمعي ، ان ثلاثة من العرب لا يقاربههم احد في وصف الخيل : ابو دؤاد الايادي والطفيل الغنوي والنابعة الجعدي • فاما ابو دؤاد فكان على خيل النعمان بن المنذر ، والطفيل كان يركبها وهو اعزل الى أن كبر ، والجعدي سمع اوصافها من اشعار اهلها فاخذها عنهم^(٥١) • وقال ابو عبيدة : ان ابا دؤاد اوصف الناس للفرس في الجاهلية والاسلام ، وبعده طفيل الغنوي ، والنابعة الجعدي ، وكان ابو عبيدة عالما باوصاف الخيل وكان يقول : ما التقى فرسان في جاهلية ولا اسلام، الا عرفتهما وعرفت فارسيهما^(٥٢) • وقال ابن الاعرابي : لم يصف أحد قط الخيل الا احتاج الى ابي دؤاد ، وقد لقب بنعات الخيل لانه احسن نعتها^(٥٣) •

والخيل العتاق ، تعتبر من اسرة الفارس ، فهو يحبها اشد الحب ، ويرعاها احسن الرعاية ، ويديم النظر اليها من كل ناحية ، وفي كل حركة ، وهو يسميها كما يسمي اولاده بما يملأ نفسه حبا اذا دعاها •

(٥٠) الاصمعي : الاصمعيات ص ٢٠

(٥١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٦٩

(٥٢) الجزائرري : نخبة عقد الاجياد في الصافيات الجياد ص ١٠

(٥٣) نفس المصدر •

وقد لا يكتفي العربي باوصافه هذه ، وإنما يحاول ان يستدق في الوصف ، ويطيل من مناحيه ، فيتناول اعضاءها وقوتها • وقد دارت اوصافها في شعرهم ، فلم يكادوا يتركون عضوا من اعضاءها الا وصفوه ، كما اهتموا بتريبتها في السن ، وتسمية اعضائها ، والوانها ، وشياتها ، وغررها ، وحجولها ، ودوائرها ، وما قيل في طبائعها وعاداتها ، والمحمود من صفاتها ، ومحاسنها ، والعلامات الدالة على جودتها ، ونجابتها ، وعد عيوبها التي تكون في خلقها ، وجريها ، والعيوب التي تطرأ عليها ، وقد زخرت كتب الادب بذلك وافرد لها المصنفات (٥٤) •

ومما جاء في معلقة امرئ القيس قوله (٥٥) :

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكلا (٥٦)
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل (٥٧)
كميت يزل اللبد عن حال متنه كما ذلت الصفواء بالمتنزل (٥٨)
مسح اذا ما السابحات على الونى اثرن غبارا بالكديد المركل (٥٩)

(٥٤) ابن سيدة : المخصص ١٣٥/٦ والثعالبي : فقه اللغة ، الابواب السابع عشر والعشرون .

(٥٥) ديوان امرئ القيس ص ١٩

(٥٦) الوكنات : جمع وكنة وهو الموضع الذي يأوى اليه الطائر . المنجرد : الفرس القصير الشعر ، وهو من وصف عتاق الخيل . الاوابد : جمع آبد : وهي الوحوش النافرة . اي انه لسرعته يقيد الوحوش في الغلوات فلا تفوقه لسرعته . الهيكل : العظيم الخلقة .

(٥٧) مكر : يحسن الكر . مفر : يحسن القر . الجلمد : الجلمود وهو الحجر الصلب . من عل : من مكان عال .

(٥٨) كميت : احمر اللون . والحال : موضع اللبد من ظهره . والصفواء : الصخرة المساء . والمتنزل : الموضع المنحدر .

(٥٩) المسح : الكثير الجري . والسابحات : الخيل تبسط ايديها اذا عدت . والونى : الفتور . والكديد : الارض الصلبة او الفليظة المرتفعة . والمراكل : الذي اثرت فيه الحوافر ، واثارت غباره ، وقيل الذي يركل بالرجل .

على العقب جياش كأن اهتزاه اذا جاش فيه حميئه على مُرجل (٦٠)
 يطير الغلام الخف عن سهواته ويلوى باثواب العنيف المثقل (٦١)
 درير كخذروف الوليد امره تقلب كفيه بخيط موصل (٦٢)
 له ايطاليا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تنفل (٦٣)
 كما جاءت قصيدة الاسعر الجعفي مصداقا لما ذكرناه • فهو من
 خلال آياته يصف فرسه ، معتزاً بها ، بل معتزاً بالخيل كلها (٦٤) •
 ولقد علمت على تجشمي الردي ان الحصون الخيل لامدر القرى (٦٥)
 راحوا بصائرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتدواي (٦٦)

(٦٠) العقب : هو عقب الانسان : اي اذا غمزته بالعقب جاش
 وقيل : العقب جرى يجيء بعد جرى •
 (٦١) ، (٦٢) الخف : الخفيف . والسهوات : جمع سهوة وهي موضع
 اللبد من ظهر الفرس • ويلوى باثواب العنيف : يذهب بها من شدة عدوه .
 والمثقل : الثقل الذي لا يحسن الركوب • يقول يسقط الغلام الخف عن
 ظهره من سرعة عدوه وشدة دفعه ، ويخاف الثقل ان يصرعه لدورانه
 فيثبت على ظهره ، ولا يثبت عليه ثوبه • الدرير من الخيل ومن كل
 الدواب : السريع الخفيف • والخذروف : الدوارة يلعب بها الصبي ،
 يشدها بخيط في يديه • وهي سريعة المر • والموصل : الذي اخلق
 وتقطع من كثرة اللعب به ، فوصل •
 (٦٣) ايطاليا الظبي : خاصرتاه • وارخاء السرحان : جرى الذئب .
 والتنفل : ولد الثعاب • والتقريب : وضع الرجلين موضع اليدين •
 (٦٤) الاصمعي : الاصمعيات ١٥٧ •

(٦٥) تجشم الردي : ركوبه على كره ومشقة • وفي كثير من
 روايات البيت على تجنبي الردي ، يريد انه يتحاشى الهلاك • المدر :
 الطين اليابس •

(٦٦) البصيرة : ما استدار من الدم مقدار الدرهم • العتد :
 بفتح التاء وكسرهما : الفرس الشديد التام الخلق ، السريع الوثبة ، المعد
 للجري ، ليس فيه اضطراب ولا رخاوة • الواي : الطويل من الخيل وقيل :
 الصلب • يعني لانهم حملوا دم ابيهم على اكتافهم وتركوا طلب الثأر فجعلوه
 خلفهم ، واخذوا الدية ، فصارت عارا • وبصيرتي : اي ثاري قد حملته
 على فرس لاطالب به •

نهـد المراكـل مدمـج ارسـاغه عـبل المـعاقـم ما يـبـالى ما أتى (٦٧)
 اما اذا استقبلته فكأنه باز يكفكف ان يطير وقدرأى (٦٨)
 واذا هو استدبرته فتسوقه رجل قموص الوقع عارية النساء (٦٩)
 واذا هو استعرضته متمطرا فتقول هذا مثل سرحان الغضا (٧٠)
 اني رأيت الخيل عزا ظاهرا تنجى من الغمى ويكشفن الدجى (٧١)
 ويبتن بالشعر المخوف طلائعا ويثبن للصعلوك جمّة ذي الغنى (٧٢)

وكانت للعرب معرفة حسنة في شؤون الخيل واحوالها ، لم
 يسبقهم اليها سواهم ، لعنايتهم بافراسهم • وقد اكثر الشعراء من ذكرها ،
 فوصفوها في اشعارهم ، وما ذلك الا لانهم امة جلال وكفاح ، الخيل
 أول عدتهم في القتال ، والذود عن حقيقتهم • فهي حصون منيعة ،
 يتحصنون بها ، ومعاقل امينة يلتجأون اليها •

وقد وضعت العرب لعناق الخيل اسماء تدل على عتقها وكرمها في
 اوصاف مخصوصة فمن ذلك « الطّرف » وهو الحسن الطويل ، المقابل
 في الجياد من أبويه الذي حسن في المرأة • و « اللثوم » وهو
 الجيد الحسن الخلق ، الصّبور على العدو ، الذي لا يسبقه شيء طلكبه ،
 ولا يدركه من تبعه ، و « العنجوج » الجيد الخلق ، الحسن الصورة
 في طول • و « الهذلول » الطويل القوي الجسم • و « الذيّال »
 الطويل الذنب • و « الهيكل » العظيم الخلق ، الحسن المنظر •

(٦٧) المراكـل جمع مركل : بفتح الميم والكاف وهو حيث يركل
 الراكب الدابة برجله ، يحركها للركض • والنهد : التام الجسم • المعاقم :
 المفصل • والعبيل : المتلى •

(٦٨) الباز : ضرب من الصقور يصاد به •
 (٦٩) قموص الوقع : من قماص الفرس • يقال قمص الفرس وهو
 أن يرفع يديه ويطرهما معا ويعجن برجليه •
 (٧٠) متمطرا : قسرعا • السرحان : الذئب •
 (٧١) الغضا : شجر •
 (٧٢) يثبن : يعطين من الاثابة • الجمّة اصلها معظم الماء •

و « النهد » الجواد العظيم ، الشديد الاعضاء • و « الجرثشسع »
العظيم الخلق ، الواسع البطن ، الواسع الضلوع • و « السلهب »
الطويل المقاصص الطويل القوائم و « الخنذيد » الجسيم من الخيل وهو
من الاضداد • و « الخارجي » هو الجواد العتيق بين ابوين هجينين •
و « المقرَّب » الكريم على اهله المخالط بالعيال ، المرتبط قريبا لعزته •
« البحر » الكثير الجري الذي لا يفتقر • واول من تكلم في ذلك رسول
الله (ص) ، ركب فرساً لابي طلحة ، فقال : انا وجدناه بحرا •

و « المسوِّم » الذي خُصَّ بعلامة يتميز بها عن غيره • و « الاجرد »
القصير الشعر ، والاثني جرداء ، والجميع منها : الجرد • و « الشطَّب »
الحسن القَد • « الاقود » الطويل العنق • و « الضَّبور » الذي
يصفئ يديه اذا جرى ، وهو من احسن جري الخيل ، واسم ذلك
الجري ، الضَّبْر • و « الضَّرم » هو من الخيل الذي لا يبالي أفي
حَزْنٍ جرى أم في سهل ، وكأنه لهيب النار •

و « السابح » الذي يسطو بيديه قَدُماً اذا جرى • و « المناقل »
السريع نقل القوائم في جريه ، و « المطهَّم » التام الحسن الخلق •
و « الطموح » السامي الطَّرْف الحديد النظر • و « الشَيْظَم »
الحسن الطويل • و « الاقبش » المنطوي الكشَّح الضامر • و « المخب »
البعيد ما بين الرِّجَّلين من غير فَحَج •

وهناك صفات اخرى يمكن الرجوع اليها في كتاب حلية الفرسان •

وكما اسلفنا فقد تخصص قسم من الشعراء في اوصافها ، واشتعارهم
بذكر اعضائها ، ومميزاتها ، فكان ابو دؤاد الايادي الذي قال اكثر
اشعاره فيها • وظفيل الغنوي الذي اعتبر من اوصف العرب للخيل حتى
سموه ظفيل الخيل لكثرة وصفه اياها ، كما انه كان يُدخل وصفها في

(★) اعتمدت في هذا الفصل على ابن هذيل الاندلسي في كتابه حلية
الفرسان وشعار الشجعان ، وعلى كتاب انساب الخيل لابن الكلبي •

كل باب من ابواب شعره •

وقد حفلت كتب اللغة بالاضافة الى كتب الادب والتاريخ باسماء الخيل ، وخلقها ، ودوائرها ، وما يستحب منها ، وما يكره فيها ، والوانها الى غير ذلك مما يتعلق باحوالها ، واشكالها ، واوصافها • وفي هذا ما يدل على ان امة العرب كانت امة حرب وضرب • وجدت في مفازات الصحراء مجالا لبطولاتها ، فكان هذا الديوان الكبير من الشعر ، وهذا الكتاب الضخم من الخطب ، والامثال والحكايات يحفل بهذه الاسماء ، ويمتليء بهذه المرادفات والنوعت ، ليثدل على قوتهم وجبروتهم •

الخيال في الحرب :

ليست دراستنا للخيال في هذا المجال دراسة مفصلة تجمع كل ما قاله العرب فيها ، وما يتصل باحوالها ، واوضاعها ، واصنافها ، والوانها ، وامراضها ، لان ذلك يستلزم منا وقتا طويلا ، واسفارا كبيرة ، ولكننا سنتطرق في حديثنا لما قاله الشعراء عنها ، وتحدثوا به في مجال الحرب ، وما تقوم به من ادوار في حياة الفارس ، فوزا او هزيمة ، ولخطورة هذه الادوار ، نجدها اخذت نصيبا وافرا في شعر الحرب ، وشغلت حيزا واسعا من حياة الصراع في العصر الجاهلي •

والخيال من اولى معدات الحرب ، واشدها حاجة وقت الشدة ، وعلى مدى قوتها وخبرتها بالحرب تكون درجة القتال ، وعلى ثباتها في المعركة تتوقف نتائج المعارك • فطبيعة الحياة القاسية برمالمها المحرقة ، وآفاقها الممتدة عبر مضارب الخيام الشامخة ، وسط الصحارى المحملة بكل شمم ، جعلت العربي في باديته يرتبط ارتباطا وثيقا بها ، لانها عنوان بارز من حياته الصعبة المضطربة بالاحداث ، الزاخرة بالحروب ، المفعمة بالغارات ، خفت منه انسانا يحسن الفروسية ، لانه بفضلها يدرك غايته ، وبسرعة خيله يتعقب اثار خصمه ، وبمهارتها وذكائها يتمكن من تسديد الضربة الصائبة الى قلب عدوه •

وقد امن الفارس صداقة فرسه ، واطمأن الى وفائه ، فهو انيسه
في المغامرة ، وصاحبه في السرى ، ورفيقه في الحل والترحال ، وقد
لمس العربي تلك الصداقة في اشد محنه ، وتذوقها في اخرج ساعاته ،
وعرفها في التماع الاسنة ، وتحت ظلال السيوف ، ييئه شكواه ،
ويقاسمه احزانه ، وقد كان يجيش في نفوس الفرسان احساس عميق
نحو خيولهم التي تعيش معهم حين تنال منها سيوف الاعداء ورماحهم ،
وكثيرا ما كانوا يصورون آلامها وجروحها الجسدية والنفسية
كقول عنتره (٧٣) :

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا اليّ بعبرة وتحمحم (٧٤)

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى وكان لو علم الكلام مكلّمي (٧٥)

لقد رفع عنتره جواده في هذا الموقف الى درجة الشعور الانساني ،
والادراك الحقيقي ، لان الشكاية لا تصدر الا من عاقل ، وشكاية فرس
عنتره عبرة تتحدر من عين هذا الفرس الاصيل ، وحممة تنبعث من
صدره وهو يمر بمرحلة الازورار ، فاراد الاعتذار فتمكن من التعبير ،
واجاد عنتره التصوير بادق صورته ، لان فرسه عمده في الحرب ،
وحصنه الذي يتحصن به .

وقد يمنح الفارس فرسه صفة اخرى من صفات الانسانية ، وهي
نداؤها للفرسان باظهار شجاعتهم ، ودعوتهم الى الثبات والصمود في
القتال ، اذا وجدتهم يولون الادبار . ويصور لنا الحارث بن وعله
الجرمي هذه الصورة فيقول (٧٦) :

ولما سمعت الخيل تدعومقاعسا تطالعني من ثغرة النحر جائر (٧٧)

(٧٣) ديوان عنتره ص ١٥٣ .

(٧٤) المحاورة : المراجعة .

(٧٥) ازورر : مال . والتحمحم : صوت مقطّع ليس بالصهيل .

(٧٦) الفضل الضبي : الفضليات ١٦٤/١

(٧٧) مقاعس : اراد بني مقاعس . تطالعني : طلع مني وارفع يعني

فرعا . ثغرة النحر : النقرة في أعلى الصدر . الجائر حر يؤذي الجوف

عند الجوع .

وهي الى جانب كل ما تقدم ، ثبت في الحرب ، ولا تتألم حتى
اذا جرحت ، لانها عريقة النسب اصيلة .

قال ربيعة بن مقروم (٧٨) :

وجُرِّدا يُقْرَبْنَ دون العيال خلال البيوت يلكن الشكيما (٧٩)
تعوَّد في الحرب أن لا بَرَّاحَ اذا كَلَّمْت لا تشكِّي الكلوما (٨٠)

والخيل تخوض الحرب كما يخوضها الفارس ، وتخرج منها
محجلة الايدي دما بعد وطئها القتلى ، وهي بعد هذا تأتي بالغنم فمن
يعرف ايامها تعقبه الخير . قال الطفيل الغنوي (٨١) :

طوامح بالطرف الظراب اذا بدت مُحجَلَةٌ الايدي دما بالمُخَضَّبِ (٨٢)
وللخيل ايامٌ فمن يصطبر لها ويعرف لها ايامها الخير تعقب (٨٣)

وقد يدعو الفارس فرسه الى التأسي والصبر اذا شعر بوقع
الرماح عليه ، لينال شرف النصر معا كقول عامر بن الطفيل (٨٤) :

الست ترى ارامحهم في شرعاً وانت حصان ماجد العرق فأصبر (٨٥)

(٧٨) المفضل الضبي : المفضليات ١/ ١٨٣ .

(٧٩) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . يقربن دون العيال : يؤثرن
ويفضلن بالاكرام . يلكن : يمضفن . الشكيم : لسان اللجام .
(٨٠) كلمت : جرحت . الكلوم : الجروح . يقول اذا جرحت
صبرت ولم تبرح .

(٨١) ديوان الطفيل الغنوي : ص ١٥ - ١٦ .

(٨٢) واحد الظراب : ظرب . اي يطمحن الى الجبال ينظرن
اليهن . محجلة الايدي دما : يريد انها خاضت الدماء ووطئت القتلى فبلغ
الدم منها المخضب اي موضع الحَضَاب .

(٨٣) قال الاصمعي : يقول الخيل تأتي بالغنم . فمن يعرف لها
ايامها الخير اعقبته . قال والخير صفة للايام كأنك قلت وللخيل الخير
فمن يعرف لها ايامها تعقبه الخير .

(٨٤) ديوان عامر بن الطفيل ص ٦٢ .

(٨٥) يخاطب فرسه يقول : انا صابر على ما يرد علي من الرماح
المشرعة نحوي . وانت فرس كريم شريف العرق ما ضرب منه هجين
ناصر معي .

وكثيرا ما كان الفارس يستشهد بالخيـل على بلائه في المعركة ،
 وبطولته ويضفي عليها صفة العلم والدراية فيقول زيد الخيل^(٨٦) .
 والخيـل تعلم أني كنت فارسها يوم الاكسـر به من نجدة روق
 وقد يطلقون لفظ الخيل احيانا وهم يقصدون الفارس لتلازم
 المعنى واتفاقه . قال دريد بن الصمة يرثي اخاه^(٨٧) :
 تنادوا فقالوا : اردت الخيل فارسا فقلت أعبدا لله ذلكم الردي^(٨٨)
 فظاعنت عنه الخيل حتى تبددت وحتى علاني حالك اللون اسود^(٨٩)
 وقال ودك بن ثميل المازني يتوعد شيبان ويتهددهم^(٩٠) :
 رويد بني شيبان بعض وعيدكم تلاقوا غدا خيلي على سفوان^(٩١)
 تلاقوا جيادا لا تحيد عن الوغى اذا ما غدت في المأزق المتداني^(٩٢)
 وللخيـل كر في الحرب يباهى به، وكسبها في الحرب غنيمة يفخر بها،
 وفي ذلك يقول الحصين بن الحمام المري^(٩٣) :
 فليت ابا شبل رأى كر خيلنا وخيلهم بين الستار فأظلما^(٩٤)
 نظاردهم نستقذ الجرد كالقنا ويستقذون السمهري المقوما^(٩٥)

- (٨٦) ديوان المعاني : ج ٢ ص ٤٩ .
 (٨٧) حماسة ابي تمام المرزوقي : ص ٨١٦ والاصمعيات ص ١١٣
 (٨٨) الردي : الهالك من الردي وهو الهالك .
 (٨٩) اسود : بالرفع وهو اقواء . وكلمة الخيل في البيت الاول
 الفرسان وكذلك في البيت الثاني .
 (٩٠) ابو تمام : الحماسة شرح المرزوقي ١٢٧/١
 (٩١) سفوان : اسم ماء قالوا هو من البصرة على اميال .
 (٩٢) المراد بالخيـل : الفرسان والمعنى : تلاقوا فرسانا كراما لا تمل
 الحروب ، ولا تعدل عنها اذا ابتكرت في مضيق منها ، تتلاحم فيه
 الفرسان وتتداني فيه الابطال والشجعان .
 (٩٣) المفضل الضبي : المفضليات ٦٣/١ .
 (٩٤) الستار واظلم : موضعان .
 (٩٥) الجرد : الخيل قصيرة الشعر . السمهري : الرمح يقول
 نغنم منهم خيلهم وترك في اجسادهم رماحنا اذا طعناهم فهم يحاولون
 اخراجها .

ويقول الافوه الاودي يصف صولة فرسه في الحرب وكرها على العدو (٩٦) :

ان يجل مهري فيكم جولة فعليه الكر فيكم والغوار
كشهاب القذف يرميكم به فارس في كفه للحرب نار

ومن عادة الخيل الاصيلة ان تبقى من عدوها بقية لوقت الحاجة .
كما انها اذا علمت بانه سيغار عليها - وكانت عطاشا - شربت من الماء
بعض الشرب . والبعض الآخر لا تشرب الماء البتة ، لما تلاقيه من الشدة
اذا حورب عليها .

والى ذلك يشير الكلجبة اليربوعي صاحب العرادة عندما جاءه ،
نذير الحرب . وكانت فرسه قد سقيت ملء الحوض ماء . فلما
الجمها وركب ظلمت فقال (٩٧) :

فان تنج منها يا حريم بن طارق فقد تركت ما خلف ظهرك بقلعا (٩٨)
ونادي منادي الحي ان قد اتيتم وقد شربت ماء المزاذة اجمعا (٩٩)
وقلت لكأس : الجميها فانما نزلنا الكشيب من زرود لنفزعاً (١٠٠)
كان بليتها وبلدة نحرها من النبل كراث الصريم المنزعا (١٠١)

(٩٦) ديوان الافوه الاودي في الطرائف الايبية ص ١٢ .

(٩٧) المفضل الضبي : المفضليات ٢٩/١ .

(٩٨) حريم : ترخيم حزيمة . البلقع : الاجرد الذي لا شيء فيه .
يقول ان نجوت منها فقد ذهبت بحالك ، والعرب كثيراً ما تسند عملها
الى الخيل ، لانهم عليها فعلوا وادركوا .

(٩٩) المزاذة : اناء كبير من جلد يتزود فيه الماء . يقول اتاهم
الصريخ وقد شربت فرسه فعاقها من الجري ، فهو يعتذر عن انفلات
حزيمة منه .

(١٠٠) كأس : اسم ابنته . زرود : موضع . الفزع : الاغاثة وهو
من الاضداد .

(١٠١) الليت : بكسر اللام صفحة العنق . بلدة النحر : ثفرته وما
حولها . الكراث : نبت . الصريم : قطع من الرمل . المنزعا : المنزوع : لان

فادرك ابقاء العرادة ضلعها وقد جعلتني من حزيمة اصبعاً (١٠٢)

وقد تفنن الشعراء الفرسان في اوصاف خيلهم ، وتصوير جريها ،
وما تفعله بالارض ، وما تثيره من غبار ، وما تسحقه من حصى ، فيتطير
الغبار كالدواخن ، ويتفتت الحصى كذرى البرد الساقط ، وعليها
الفرسان تنحدر بهم من مرتفع الى ثنية ، وتجنح بهم من واد الى سهل .
قال الطفيل الغنوي (١٠٣) :

كأن سداً قطن النوادف خلفها اذا استودعته كل قاع ومذنب (١٠٤)
اذا هبطت سهلاً كأن غباره بجانبه الاقصى دواخن تنضب (١٠٥)
كأن رجال الخيل لما تبددت بوادي جراد الهبوة المتصوب (١٠٦)
وهصن الحصى حتى كأن رضاضه ذرى برد من وابل متحلب (١٠٧)
يبادرن بالفرسان كل ثنية جنوحا كقراط القطا المتسرب (١٠٨)

ان اهتمام العرب بتنشئة ابنائهم على الخيل ، وتعويدهم على

ساق الكراثة تكون في الرمل فاذا انزعت اشبهت السهم . يصف كثرة ما
اصاب فرسه من السهام .

(١٠٢) المبقية من الخيل : التي تبقى بعض جريها تدخره . الظلع ،
الرج والغمز في المشي . يقول إن شرب العرادة اضعف جريها ، فغلب
ظلعها لبقاءها ففاتها حزيمة وهو قيد اصبع منها .

(١٠٣) شعر الطفيل ص ٩/٨ .

(١٠٤) يقول كأنها تنشر ملاءة من الفبار . والمذانب مجاري الماء
الى الروضة والواحد مذنب .

(١٠٥) تنضب : شجر له دخان ابيض .

(١٠٦) الرعلة : القطعة . بواديه : وائله . والهبوة : الغبرة .
يقال ما هاج جراد الا هبت أو هاجت هبوة .

(١٠٧) الوهص : شدة الوطىء . رضاضه : ما ترضض منه وتكسر .

ذرى برد : يريد اعاليه . يعني المطر .

(١٠٨) جنوحا : جنوحا : جنحن الى الارض قليلا . والفارط ما

سبق . والمتسرب التي تمضي سربة سربة أي قطعة قطعة . والثنية :

المطلع في الجبل والطريق المنحرف في الربوة .

ركوبها ، كانت ضرورة تحتمها الظروف القاسية ، وكانت هذه التنشئة
وقفا على ابناء العرب من ذوي النسب فقط ، اما العبيد فعملهم يقتصر
على الرعي والخدمة ، وكانت رياضة ركوب الخيل من الخصال التي
ينشأ عليها الشباب في البادية ، ويطلقون محتفظين بها ، معتزين باصولها ،
لأنها دليل على الحيوية والنشاط • والى ذلك يشير امرؤ القيس في
قوله (١٠٩) :

واصبحت ودعت الصبا غير اني اراقب خلات من العيش اربعا
فمنهن قولي للندامي ترفعوا يداجون نشاجا من الخمر مترعا (١١٠)
ومنهن ركض الخيل ترجم بالقنا يبادرن سربا آمنا ان يفزعا (١١١)

كما ان التدريب على القتال ، كان يستوجب الخيل ، ولم تكن
الخيل - لارتفاع ثمنها - ميسرة لكل من يطلبها ، ولذلك نجد انها
اقتصرت على ابناء العرب وحدهم ، والذين يستطيعون الحصول عليها ،
وكما كان الاهتمام باصالة الفارس ، كان الاهتمام باصالة الفرس وكما
كان العربي يتغنى ببطولته في المعركة ، وبلائته في الحرب ، كان يتغنى
ببلاء فرسه ، لأنها تهزم القوم ، وترفع احساب من صبر في الحرب ،
وهي بعد ذلك تلاقي الغنيمة ، وتنجي مَنْ تضيق به السبل • قال
الحصين بن الحمام المري (١١٢) :

فالحقن اقواما لئاما باصلهم وشيدين احسابا وفاجأنا مغنما (١١٣)

-
- (١٠٩) ديوان امرؤ القيس ص ٢٤٠ .
(١١٠) يداجون : يدأزون ويعالجون . النشاج : الذي يجيد
الشرب . ومترع : مملوء .
(١١١) ترجم بالقنا : اي تعدو عدوا شديدا . والسرب : الحي .
(١١٢) الفضل الضبي : الفضليات ٦٧/١ .
(١١٣) قوله الحقن : يعني الخيل : هزمت قوما وصفهم بالخور ،
للؤم اصولهم . وشيدين احسابا : أي رفعنها واعظمن ذكرها يريد بذلك
من صبر في الحرب . وقوله فاجأنا مغنما : لقينته .

وانجين من ابقين منا بخطبة من العذر لم يدنس وان كان مؤلماً (١١٤)
وقد بلغ من اعتزاز الفرسان بخيلهم ، ان فريقاً من الشعراء كانوا
يفتحون قصائدهم بذكرها .
قال يزيد بن الحذاق (١١٥) :

اعددت سبحة بعدما قرحت ولبست شكة حازم جلد (١١٦)
وقال قصيدة اخرى يتهدد بها النعمان وقد افتحها بذكر
فرسه (١١٧) :

الاهل اتاها ان شكة حازم لدي وأني قد صنعت الشموسا (١١٨)
كما افتح الحارث بن عباد قصيدته المشهورة بقوله (١١٩) :

قرباً مربوط النعمامة مني لقحت حرب وائل عن حيال (١٢٠)
وقال عامر بن الطفيل (١٢١) :

افراسنا بالسهل بدلن مذحجا ذرى سعف شئاً وبناءاً وعرعرا (١٢٢)

وقد اكثر الشعراء من وصف الخيل ، وتقنوا في تصوير ذلك .
وقد استحسّن العرب تشبيه الفرس بالطيبي والسرحان والنعمامة .
ويعتبر امرؤ القيس اول من فعل ذلك بين الشعراء الذين وصلت

(١١٤) من العذر : أي من ابقته هذه الحرب فقد اتى بعذر لانه
قد أبلى . وقوله لم يدنس اي لم يفر فيكون ذلك عاراً عليه وان كان قد الم .

(١١٥) المفضل الضبي : ٩٦/٢ .

(١١٦) الشكة : السلاح .

(١١٧) المفضل الضبي : المفضليات ٩٧/٢ .

(١١٨) الشموس : اسم فرسة .

(١١٩) الاصمعي : الاصمعيات ص ٦٧ .

(١٢٠) النعمامة : اسم فرسة ، لقحت : حملت .

(١٢١) ديوان عامر بن الطفيل ص ٧٠ .

(١٢٢) السعف : رؤوس الجبال . الواحدة سعفة ، يريد لحقتهم

بالجبال . الشث : نبات طيب الريح . البان : شجر معتدل القوام ،
يؤخذ من حبه دهن طيب . العرعر : شجر يشبه السرو لا ساق له
وينبت في الجبال .

اشعارهم الينا ، وعده العلماء مثلا يقاس عليه ، ويحتكم في السبق والتخلف اليه (١٢٣) .

له ايلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تنفل (١٢٤)

واعقبه الشعراء فقال طفيل الغنوي (١٢٥) :

كأنه بعد ما صدرن من عرق سيد تمطر جناح الليل مبلول (١٢٦)

وقال أيضا (١٢٧) :

وفينا رباط الخيل كل مطهم رجيل كسرحان الغضا المتأوب (١٢٨)

وقال طرفة بن العبد (١٢٩) :

وكري اذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضا نهته المتورد (١٣٠)

وقال الاسعر الجعفي يصف فرسه (١٣١) :

واذا هو استعرضته متمطرا فتقول هذا مثل سرحان الغضا (١٣٢)

(١٢٣) ديوان امرئ القيس ص ٢١ .

(١٢٤) شبه خاصرتي الفرس بخاصرتي الظبي ، لانه ضامر .
وشبه ساقيه بساقي النعامة ، لانها قصيرة الساقين صلبتهما ، طويلة
الفخذين . وشبه ارخاءه - وهو سير ليس بالشديد - بارخاء الذئب .
التنفل : ولد الثعلب .

(١٢٥) ديوان الطفيل الغنوي ص ٣٣ .

(١٢٦) صدرن اي سبقا بصدرة ، ويقال تمطر عني أي غلبنى
ذهابا . والمتمطر في العدو أن يذهب في الارض . والسيد : الذئب .

(١٢٧) ديوان الطفيل الغنوي ص ٥ .

(١٢٨) رباط الخيل : يريد أنهم يتخذون الخيل . والمطهم من كل
شيء : المحسن التام . والرجيل : الشديد الحافر . والسرحان : الذئب
وذئب الغضا . اخبث الذئب .

(١٢٩) ديوان طرفه ص ٥١ .

(١٣٠) الكر : العطف والرجوع . المضاف : الخائف والمدعور .
محنبا : فرسا في يده انحناء . سيد : ذئب . المتورد : الذي يرد الماء .

(١٣١) لإصمعيات ص ١٥٨ .

(١٣٢) متمطرا : مسرعا ، تمطرت الخيل ، ذهبت مسرعة .

اما صورتها ، فقد جمع بعض العرب محاسنها في بيت واحد وهو قوله (١٣٣) :

وقد اغتدى قبل ضوء الصباح وورد القطا في الفلاة كثاث
بصافي الثلاث رجب الثلاث قصير الثلاث طويل الثلاث
والمقصود بصافي الثلاث اللون والعين والغرة ، ورجب الثلاث أي
واسعها وهي البطن والمراد بها منحنى الضلوع الا الخاصرتين والانف
والشدة . وقصير الثلاث وهي الظهر ، وعسيب الذنب ، والرسغ .
وطويل الثلاث العنق والشعر والرأس (١٣٤) .

• وكانوا يشبهونها بالطير في سرعتها • قال زيد الخيل (١٣٥) .
إذا دفعت في يوم هيجا تابعت
خروج القواري الخضرم خلل السيل (١٣٦)
وقال النابغة الذبياني (١٣٧) :

والخيل تمزع غربا في أعنتها
كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد (١٣٨)

كما انهم اطلقوا على عشرين عضوا من اعضائها تقريبا اسماء طيور ،
فقالوا الهامة وهو العظم الذي في أعلى الرأس وفيه الدماغ • والقرخ ،
الدماغ • والنعام ، الجلد التي تغطي الدماغ • والعصفور ، العظم

(١٣٣) البخشي : رشحات المداد فيما يتعلق بالصفانات
الحياد ص ١٢ .

(١٣٤) . نفس المصدر .

(١٣٥) ابن قتيبة : المعاني الكبير ٤٢/١ .

(١٣٦) القواري : واحدتها قارية وهي طير اذا رآه استبشروا
بالمطر ، كأنه رسول الغيب او مقدمة السحاب .

(١٣٧) ديوان النابغة ص ٣٤ .

(١٣٨) تمزع : تمر مرا سريعا . غربا : حدة ونشاط . الشؤبوب :
الدفعة من المطر ، ويريد الخيل الحياد التي هي في سرعتها كالطير
التي تخاف أذى البرد فهي شديدة الطيران .

الذي تبت عليه الناصية • والذباية ، النكيته الصغيرة التي في انسان العين فيها البصر • والقطة ، مقعد الردف • والغرابان ، رأسا الوركين فوق الذنب • والحمامة، القص • والصقر ، دائرة في الرأس ، والدجاجة ، اللحم الذي على زوره بين يديه • والديك ، العظم النائي خلف الاذن • والنسر وهو ما ارتفع من بطن الحافر من اعلاه كأنه النوى والحصى •

ومن شدة تعلق العرب بالخيال حيكت حولها اساطير غريبة وامور عجيبة^(١٣٩) • وكما عرفوا صفاتها والوانها فقد وضعوا لاعمارها اسماء • فقالوا عن الفرس اذا وضعته امه (مهر) ثم (فلو) فاذا استكمل سنة فهو (حولي) ثم في الثانية (جذع) ثم في الثالثة (ثنى) ثم في الرابعة (رباع) وفي الخامسة (قارح) ثم بعد ذلك الى ان يتناسى عمره (مذك) •

وكذلك فعلوا في الاصوات، (فالصهيل)صوته في اكثر الاحوال • وقسموا الصهيل الى ثلاثة اقسام (اجش) و (صلصل) و (مجلجل) فالاجش ما جهر صوته ، والصلصل ما حدودق جدا • والمجلجل ما صفا ولم يدق ، وكانت فيه غنة • ثم قالوا في الاصوات (الضبح) وهو صوت نفسه اذا عدا و (القبع) صوت يردده من منخرينه الى حلقة اذا نقر من شيء ، او كرهه • و (الحمحة) صوته اذا طلب العلف • او

(١٣٩) كتاب الخيل لابي عبيدة معمر بن المثنى ، وكتاب الخيل للاصمعي ، وكتاب انساب الخيل في الجاهلية والاسلام لابن الكلبي ، وكتاب الخيل في المخصص لابن سيدة ، وفصل الخيل في فقه اللغاة للثعالبي ، وكتاب الخيل في العقد الفريد ، وادب الكاتب ، وكتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ، وصبح الاعشى للقلقشندي ، ونهاية الارب للنويري ، وبلوغ الارب للالوسي ، وكتاب فضل الخيل للديمياطي ، المصري • ورشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد للبخشي ، وكتاب عقد الاجياد في الصافنات الجياد للجزائري ، وكتاب الخيل وفرسانها للطبيب نجيب الخوري ، وحيلة الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الاندلسي • وغير ذلك من الكتب التي ضمنت ابوابها فصولا للخيل او متعلقاتها •

رأى صاحبه ، فاستأنس اليه • واسماء أخرى كثيرة يمكن الرجوع اليها
في الكتب التي تحدثت عن الخيل (١٣٩) •

وكما وضعوا للعتاق اسماء تدل على عنقها وكرمها فقد عرفوا
عيوبها ومحاسنها •

فقالوا عيوب الخيل ضربان : منها يكون خلقة ، وضرب يكون
عادة • فالعيوب الخلقية كلها بذرية ، والعيوب العادية كلها فعلية •

فمن عيوب الخيل « الخذا » وهو استرخاء في الاذنين من اصولهما ،
والفرس لذلك « اخذى » • فان كانتا مائلتين على خديه كهيئة آذان
الحمير ، فذلك « البَدَدُ » والفرس منه أبدش •

فان كان الفرس قليل شعر الناصية قصيره فهو « أسفى » • فاذا
كان مَبْيَضَّ اعالي الناصية فهو « اسعف » • فاذا كان كثير شعر
الناصية حتى تغطى عينيه فهو « اغم » • فاذا كان قصير العنق فهو
« اهنع » • فاذا كان متظامن العنق حتى يكاد صدره يدنو من الارض
فهو « ادن » • فاذا كان منفرج ما بين الكتفين فهو « اكتف » • فاذا
كان هضيم اعالي الضلوع فهو « اهضم » • وهو عيب ضار مع قلة
قبحه في المنظر •

قال الاصمعي : ما يسبق الحلبة فرس أهضم قط ، فاذا اطمأن
سلبه وارتفعت قَطَاتِه فهو « أقعس » • فاذا اطمأناً معا فهو « أبزخ » •
فاذا اشرفت احدى وركيه على الاخرى فهو « افرق » • فاذا دخلت
احدى فهدتي صدره وخرجت الاخرى فهو « ازور » • فاذا خرجت
خاصرتاه فهو « أثجل » • فاذا التوى عسيب ذنبه حتى يبرز بعض
باطنه الذي لا شعر عليه فهو « اعصل » • فاذا زاد فهو « اكشف » •
فاذا عزل ذنبه في احد الجانبين فهو « اعزل » • فاذا افراط تباعد ما بين
رجليه فهو « افحج » • فاذا اصطكت ركبته وكعباه فهو « اصك » •

وعيوب اخرى يمكن الرجوع اليها في كتب الخيل او كتب اللغة •

ان هذا الاهتمام بالخييل دليل على تداخلها في حياة العربي ، ولذا فقد اهتموا بكل ما يتعلق بها ، ويتصل بحياتها ، فوضعوا الاسماء لاعمارها، وأصواتها، ووضعوا الاسماء لالوانها ، ودوائرها ، وتحجيلها وعيوبها ، وضروب جريها • فقالوا عن الفرس الذي يعرض من يدنو منه (عضوضا) • واذا كان لا يثبت لمن اراد القرب منه (نقورا) • واذا كان يجر الرسن ولا يطاوع قائده (جرورا) • واذا لم يرده اللجام عن جريه (جموحا) • واذا امتنع عن المشي ووقف بموضع واحد (حرونا) • وان كان كثير العثار فهو (عورا) (١٤٠) •

كما كانوا يستعملون لكل حال نوعا من الخيل ، فكانوا يستحبون اناث الخيل في الغارات ، ولما خفي من امور الحرب ، وكانوا يستحبون فحول الخيل في الصفوف والحصون والسير والعسكر ولما ظهر في امور الحرب • وكانوا يستحبون خصيان الخيل في الكمين والطلائع ، لانها اصبر وابقى في الجهد (١٤١) •

السلاح :

لقد عمل العرب على تحسين اسلحتهم سعيا الى المنفعة ، ومحافظة على انفسهم ، ومقارعة لاعدائهم ، وقد جاء اهتمامهم بها للاسباب التي دفعتهم الى الاهتمام بالخييل نفسها • فالسلاح عند العربي موضع تقدير واجلال ، ومثار احترام وتقديس •

ومن الطبيعي ان يتحدث الشعراء الفرسان عن اسلحتهم ، لانها القوة التي يستندون اليها في حياتهم ، والعنصر الاساس الذي تعتمد عليه بطولاتهم ، والاسلحة التي يتحدث عنها الفرسان لا تخرج عن

(١٤٠) ابن سيده : المخصص القسم السادس •

(١٤١) ابن هذيل : حلية الفرسان ص ١٢٩ والنويري في نهاية

الارب ٦٦٣/٩ •

نطاق الاسلحة التي عرفها العصر الجاهلي ، سواء آكانت اسلحة هجوم ، كالسيف والرمح والقوس والسهم ، أم اسلحة دفاع كالدرع والترس والمغفر والبيضة •

ولم يكن الحديث الذي يتحدث به الشعراء عن هذه الاسلحة حديثا عابرا ، وانما هو حديث المناجاة والاعجاب ، حديث الاهتمام بكل جزء من اجزائها ، وبكل ميزة من ميزاتها • الحديث الذي يصف مضاعفها وقوتها ، ويصف عنصرها وجوهرها ، ويتحدث عن حبه لها • وقيمتها بالنسبة لحياته • • هذا الحديث الذي كان يخرج من قلبه خالصا دقيقا فيصبح اغنية عذبة تمثلها في مواضع الشدة ، ويتغنى بها في سوح القتال •

والسلاح عند العربي رمز تنطوي تحته كثير من المعاني ، فرفعه فوق الرأس من أسمى آيات الاحترام ، وتحطيمه يعني الضعة والذلة ، وتسليمه يعني الخضوع والمسكنة • وما كان العربي يتمنى شيئا سوى رمح مدبب وسيف صقيل ، وفرس جرداء ، ودرع سابعة ، فهي عدته في الحياة ، وعماده الذي يعتمد عليه ، وسببه الى العزة والسيادة • قال عامر بن الطفيل (١٤٢) :

انني والذي يحجج له الناس قليل في عامر أمثالي (١٤٣)
يوم لا مال للمحارب في الحر ب سوى نصل اسمر عسّال
ولجام في رأس اجرد كالجد ع طوال واييض قصّال (١٤٤)
ودلاص كالنهي ذات فضول ذاك في حلبة الحوادث مالي (١٤٥)

(١٤٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٠٢ •

(١٤٣) الذي يحجج اليه الناس : اراد به البيت الحرام •

(١٤٤) الجدع : ساق النخلة • شبه به فرسه في ضموره •

القصّال : القطّاع •

(١٤٥) الدلاص : الدرع الملساء اللينة • النهي : الغدير • شبه بريق الدرع بريقه • ذات فضول : اي زائدة في طولها • الحلبة : الدفعة من الخيل في الرهان خاصة : يقال هو يركض في كل حلبة من حلبات المجد ، ويريد هنا بحلبة الحوادث : اجتماعها عليه •

وقد وصفوا في شعرهم كل ما كانوا يستخدمونه منه ، وتحدثوا
عن قيمته لهم في غزواتهم ، بل في حياتهم كلها ، فقد كانوا يرون فيه
أهم شيء وأعلى ما يملكون فيها ، وما يخلفونه بعدها فعبديس بن خفاف
البرجمي يعده للنائبات فيقول (١٤٦) :

فاصبحت اعددت للنائبات عرضا بريئا وعضبا صقيلا (١٤٧)
ووقع لسان كحد السنان ورمحا طويل القناة عسولا (١٤٨)
وسابقة من جواد الدروع تسمع للسيف فيها صليلا
كماء الغدير زفته الدبور يجر المدجج منها فضولا (١٤٩)
وعروة يذكر انه لن يخلف بعد موته سوى سيف ورمح ودرع
ومغفر وجواد فيقول (١٥٠) :

وذي أمل يرجو تراثي وان ما يصير له منه غدا لقليل
ومالي مال غير درع ومغفر واييض من ماء الحديد صقيل
واسر خطي القناة مثقف واجود عريان السراة طويل
وقد بلغ اهتمام العرب بالسلاح ، انهم كانوا يدفعون بسلاحهم
وخيلهم الى ورثتهم الذين يتقون بهم • فعندما علم حجر ملك كنده
انه ميت بعد أن طعن طعنة مميتة ، اوصى بان يدفع كتابه الى رجل وقال
له : انطلق الى ابني نافع - وكان اكبر اولاده - فان بكى وجزع فأله
عنه • واستقرهم واحدا واحدا ، حتى تأتي امرأ القيس - وكان

(١٤٦) المفضل الضبي : المفضليات ١٨٦/٢ .

(١٤٧) العضب : السيف القاطع .

(١٤٨) الرمح العسول : المضطرب للينه .

(١٤٩) اراد أن هذه الدروع في صفائها مثل ماء الغدير الذي
تصفقه الرياح . الدبور : ريح تهب من المغرب تقابل الصبا ، وخصها لانها
شديدة المر تكدر الماء . وزفيها الماء : ان تطرده وتدفعه • المدجج : بفتح
الجيم وكسرها : اللابس السلاح التام ، يريد انها سابقة تفضل عن
اطرافه .

(١٥٠) الاصفهاني : الاغاني ٨٧/٩ دار الكتب .

اصغرهم - فايهم لم يجزع ، فادفع اليه سلاحه وخيلي (١٥١) .
وكان امرؤ القيس يتنقل بين القبائل ، وهو يحتفظ بادراعه
الخمسة التي كانوا يتوارثونها ملكا عن ملك .

لقد قدس العربي معداته الحربية ، وعظمها اجل تعظيم ، وعسد
نفسه غنيا لو ملكها وحدها ، وهي في نظره لا يعدلها مال ولا تدانيها
ثروة . لانهم بها كانوا يحافظون على حياتهم ، ويصونون شرفهم ،
ويدافعون عن عزتهم ، ويرضون رغبتهم ، ويحققون امانهم . وكثيرا ما
يضطرون لرهن اقواسهم اذا اصابهم امر عظيم ، على ان القيمة لا تكمن
في القوس نفسها ، ولكنها تمثل شرف الرجل وهو قائم بما رهنها له
مهما كلفه الامر . وقد حفل الادب العربي في العصر الجاهلي بصور
شنتى لما كان عليه السلاح في ذلك العصر ، وما كان يتمتع به من المكانة .
وما تلك المصطلحات العديدة التي تؤلف معجما نادرا عن هذه المعدات ، الا
دليل اكد على المكانة المرموقة التي نانتها تلك المعدات . وقد بلغ من
اهتمامهم بها انهم وضعوا لكل نوع منها اسماء كثيرة ، تربو في بعضها
على المائة . فقد صنفوا في السلاح وانواعه ، واسماء السيوف وصفاتها ،
والرماح والنبال وترتيبها ، وتفصيل مختلف اوصاف السهام
والنصال ، وترتيب اجزاء القوس ، والدروع ونوعاتها ، وسائر الاسلحة
الاخري (١٥٢) .

لقد كان السلاح في خيمة العربي الى جانب المتاع البسيط الملائم
للحياة البدوية ، وهو يضم على اقل تقدير رمحا وسيفا ، لان السلاح
عماد حياته ، والمحور الذي يدور حوله كل سلوكه ، فهو مغير أو
معرض للغارة ، غاز او متأهب لصد غزو يقع عليه .

(١٥١) نفس المصدر ٩٣/٩

(١٥٢) ينظر كتاب السلاح في المخصص ج ٦ ص ١٦ وأدب

الكاتب ص ١٥٦ ونهاية الأرب ج ٦ ص ٢٠ والعقد الفريد ج ١ ص ١٧٩

وفقه اللغة للشعالبي ص ٢٤٨ .

والحياة المصبوغة بالدم ، لا مكان فيها الا للقوي ، ولا مجال في ثناها الا للفارس الذي يعرف كيف يدافع عن نفسه ، وكيف يرد الغارة عن عشيرته ، وكيف يهجم اذا اضطر الى الهجوم ، واجبر على القتال • ان ظروف الحياة القاسية تفرض على البدوي أن يجيد الحرب ، ويتقن اساليب القتال ، وان تكون الفروسية هي المثل الاعلى ، والهدف الرفيع الذي يسعى اليه كل مدرك لواقعه ، متحسس بظروف حياته ، وان تكون الشجاعة بكل ضروبها وسيلته الناجعة للوصول الى هذا الهدف • ولا غرابة بعد هذا في أن يكون التدريب على القتال ، ومعرفة طرق الحرب ، وما يتعلق في ذلك من ممارسة ركوب الخيل ، وتحمل المشاق منذ الصغر ، الاساس الاول في التربية البدوية الذي يحرص عليه الرجال ، ليتمكنوا من احلال الابناء محل الآباء في الحرب • وليكونوا الطبقة الثانية من الفرسان التي تتمكن ان تأخذ مكانها في مجتمع القبيلة اذا لزم الامر •

ان الاحاسيس العميقة ، والمشاعر الحية التي كانت تتجاوب في نفس العربي تجاه سلاحه وفرسه ، لم تكن من المشاعر العابرة والاحاسيس الساذجة التي يحسها الفرد تجاه مطايا لا تعقل ، وحيوانات لا تدرك ، وآلات جامدة لا حياة فيها •• وانما على العكس من ذلك • كانت مطايا وآلاته نفوسا تحس ، وارواحا تشعر • بعاشها بكل حياته ، ويناجيها بأعذب الحانه ، ويتسمع لكل همسة تختلج فيها ، ويتلمس كل حركة تحاول التعبير بها ، فتفهم اشاراته ، فيستجيب لها وتستجيب له • كانت قطعاً من وجوده ، واعضاء عاملة من اعضائه ، لها اسماؤها المشوقة في حياته ، والقابها المحببة الى نفسه • يدعوها عندما يجد نفسه بحاجة اليها ، ويناجيها حينما يجد الضرورة واجبة في ذلك ، فتستجيب له ، وتلبي الدعوة بكل جوارحها ، فكانت الصلة وثيقة بينهما ، وكان الاعتراز السامي بها على اشده • وكان مثار فخر الفارس واعتزازه حينما يعرف بصاحب الصمصامة او ملاعب الاسنة •

وقد اضىفى العربي على سيفه معاني الشرف، ومنحه صفة الانسانية،
كما فعل مع الخيل • فهو يخاطبه - وبقية اسلحته - بلسانه ، ويتحرى
نسبه وسيرته ومضاه في الحرب ، وشدته في احتدام المعارك ، ويتعقب
ايامه ، باحثا عن انتصاراته ، وكان من عادة العرب انهم اذا اصابوا سيفا
قاطعا ، تناقلوا خبره واطروه •

وكما اشتهر وصاف الخيل في الجاهلية فقد عرف ايضا للسلاح
وصافون ، فقييل عن اوس بن حجر اوصف الشعراء للسلاح ، ولا سيما
القوس (١٥٣) • وكذلك الشنفرى ، كان من اكثر الشعراء وصفا
للقوس (١٥٤) • كما كان الشماخ ، من اوصف الشعراء للقوس (١٥٥) •
وكما عرفوا وصاف السلاح ، فقد اهتموا بمعرفة القيون الذين
كانوا يصنعونه • فوردت اسمائهم في حديث الشعراء ، فابن مجدع ،
قين مشهور بصنع السيوف • كما جاء في بيت اوس بن حجر (١٥٦) :

وذا شطبات قده ابن مجدع له رونق ذريشه يتاكل (١٥٧)

وردينه امرأة كانت تقوم الرماح ، وكذلك سمهور وقعضب • ونسبت
اليهم الرماح ، فقييل رماح سمهرية ، وردينية (١٥٨) •

كان السيف اقرب الاسلحة الى نفس العربي ، لانه لا يستطيع
الاستغناء عنه ، ولانه يستعمله في معظم الاغراض • ومن السيوف التي
اشتهرت في الجاهلية ، صمصامة عمرو بن معد يكرب ، حتى ضرب به

(١٥٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢٥ •

(١٥٤) ديوان الشنفرى ص ٣٨ •

(١٥٥) ابن قتيبة الشعر والشعراء ص ١٠٩ •

(١٥٦) ديوان اوس بن حجر ص ٩٥ •

(١٥٧) الشطبات: جمع شطبة: وهي الطريقة من طرائق السيف •

قده • قطعه وصنعه • وابن مجدع قين مشهور بصنع السيوف •

الرونق • ماء السيف وصفائه وحسنه • الذري : التلاؤ واللمعان •

يتاكل : يبرق ويلمع •

(١٥٨) الجوهري : الصحاح ٢/٢٨٩ ، ٥/٢١٢٢ •

المثل في كرم الجوهر ، وحسن المنظر ، وشدة المضاء .

والسيف من انبل الاسلحة كما ذكرنا ، وقد قدره العرب حق قدره ، فكانوا يستجلبونه من الخارج ، فالسيف الذي يطبع بأرض الهند يقال عنه الهندي ، والمهند ، والهندواني ، وقد وردت هذه الالفاظ في الشعر بكثرة . قال المزرد بن ضرار العطفاني يصف سلاحه (١٥٩) :

من الملس هندي متى يعمل حده

ذرى البيض لا تسلم عليه الكواهل (١٦٠)

اذا ما عدا العادي به نحو قرنه وقدسامه قولاً فدتك المناصل (١٦١)

ألست نقياً لا تليق بك الذرى ولا انت ان طالت بك الكف ناكل (١٦٢)

حسام خفي الجرس حين تسله صفيحته مما تنقى الصياقل (١٦٣)

وقال سلامة بن جندل يفخر بما كان من ايام قومه ، وغلبتهم اعداءهم ، ويصف سلاحهم ومطاعتهم الابطال ومطاولتهم الكر والفر (١٦٤) .

ومجدد معد كان فوق علوية سبقنا به اذ يرتقون وترتقي (١٦٥)

(١٥٩) ديوان المزرد ص ٤٥ .

(١٦٠) في المفضليات : واملس هندي . من الملس : اي ليس بصدىء ولا كشاش اذا مسسته اي يقد البيض حتى يبري الكواهل ايضا .

(١٦١) سامه : كلفه . فدتك : اي انك من امثلها وفضلها .

(١٦٢) في المفضليات : الست نقياً ما تليق . الذرى : جمع ذروة وهي اعلى الشيء ، يقال سيف لا يليق شيئاً : اي لا يمر بشيء الا قطعه . الناكل : المقصر .

(١٦٣) في المفضليات : عند استلاله . الجرس : الحركة والصوت الخفي ، وانما يخفي جرسه لجودته وسهولته ، وانما سهل لصفاء حديده وخلوصه .

(١٦٤) الاصمعي : الاصمعيات ص ١٥١

(١٦٥) العلوية : الموضع المرتفع .

إذا الهندوانيات كن عُصينا بها تتأيا كل ساق ومفرق (١٦٦)
تجلى مصاعا بالسيوف وجوهنا إذا اعتقرت أقدامنا عند مأزق (١٦٧)
وقال حَجَل بن نضلة يفخر بسيفه (١٦٨) :

ومهند في متنه حرجية غضب إذا أمس الضريبة مفصل (١٦٩)
أما المشرفية ، فنسبة إلى المشارف • وهي قرى معروفة تجلب منها
السيوف ، وتطبع فيها ، ويقال هي قرى من أرض العرب تقرب من
الريف • أو قرى بالشام ، أو قرى من أرض اليمن • وقيل هي منسوبة
إلى مشرف وهو رجل من ثقيف •
قال امرؤ القيس (١٧٠) :

أقتلني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كانيات أغوال (١٧١)
وقال راشد بن شهاب اليشكري مهددا قيس بن مسعود ومتوعدا
إياه (١٧٢) :

(١٦٦) الهندوانيات : بكسر الهاء وضمها السيوف المنسوبة
إلى الهند . الواحد هندواني . العصي : بضم العين وكسرها : جمع
عصا . أي إذا كانت سيوفهم بمثابة العصي في التزامها . نتأيا : تقصد .
يقال « تأيا الشيء » تعمد آيته أي شخصه وآية الرجل : شخصه .
(١٦٧) المصاع : بكسر الميم : المقاتلة والمجادلة بالسيوف . اعتقر :
كتعفر بالتراب وانعفر : يريد أنهم في المجادلة تشرق وجوههم وتتعفر
أقدامهم .

(١٦٨) الأصمعي : الأصمعيات ص ١٥٥ .
(١٦٩) حرجية : آثار دقاق جدا . والمفصل : صيغة مبالغة من
(١٧٠) الديوان ص ٣٣ .
(١٧١) المشرقي : سيف نسب إلى قرى بالشام يقال لها المشارف ،
واراد بالمنسونة الزرق : سهامها محددة الأزجة صافية ، وشبهها بانياب
الأغوال تشنيعا ومبالغة في وصفها . والأغوال : الشياطين . وإنما خص
الشياطين لما شاع من عظيم أمرهم وكثرة نكرهم .
(١٧٢) الفضل الضبي : الفضليات ١٠٨/٢ . قضم : يكسر من
كثرة ما اضرب به . وقد اسقط الفاء من قوله « معي » في جواب الشرط .

فمهلا أبا الخنساء لا تشتمنني فتقرع بعد اليوم سنك من ندم
ولا توعدني اني ان تلاقني معي مشرفي في مضاربه قضم
وقال بشامة بن الغدير (١٧٣) :

قومي بنو الحرب العوان بجمعهم والمشرقية والقنا اشعالها (١٧٤)
وقال عوف بن الاحوص معترفا بهزيمة قومه ، معللا ذلك بكثرة
رجال العدو وهي من المنصفات (١٧٥) :

حبت دونهم بكر فلم تستطعهم كأنهم بالمشرقية سامر (١٧٦)
اما السيوف السريجية ، فهي نسبة الى سريج ، وهو قين كان
يعملها . وقيل سمي السيف بالسريجي لكثرة مائه وروقه ، حتى كان
فيه سراجا (١٧٧) . ومنه قيل : سرج الله امرئ أي حسنه ونوره .

قال خراشة بن عمرو العسبي يمدح قومه ويفخر بانتصارهم : (١٧٨) :
بكل سريجي جلا القين متنه رقيق الحواشي يترك الجرح انجلا (١٧٩)
وهناك انواع اخرى من السيوف تنسب الى اماكن صنعها ، او

(١٧٣) ابو تمام : الحماسة : شرح المرزوق ١/٣٩٥ .
(١٧٤) والمعنى . قومي بنو الحرب التي عونت ، اي صارت
عوانا بهم ، وباجتماع جيشهم . والمراد ، واشتعال نارها بالرمح
والسيوف المشرقية .

(١٧٥) الفضل الضبي : المفضليات ٢/١٦٥ .
(١٧٦) حبت : دنت . المشرقية : سيوف منسوبة الى المشارف .
السامر : القوم يسمرون في الليل ، وهو اسم جامع ويقال للواحد ايضا
سامر . يقول : كأن سيوفهم مخاريق سامر يلعبون بها بالليل ويتلهون
ويتحدثون غا مكترئين .

(١٧٧) ابو تمام : الحماسة . شرح المرزوقي ٢/٦٦٧ .
(١٧٨) الفضل الضبي : المفضليات ٢/٣٠٦ .
(١٧٩) سريجي : سيف نسب الى سريج اسم رجل كان صانعا
للسيوف . لانجل : الواسع .

الى صناعتها ، او الى معادنها ، فاليماني نسبة الى اليمن ، والقلعي
بالتحريك نسبة الى مرج القلعة وهو موضع بالبادية تنسب اليه السيوف
القلعية والقساسي نسبة الى معدن القساس بارمينية (١٨٠) .

كما نسبت جياذ السيوف الى بصرى ايضا، قال الحصين بن الحمام
المري (١٨١) :

صفائح بصرى اخلصتها قيونها ومطردا من نسج داوومبهما (١٨٢)

والى جانب السيف كان الرمح ، وهو أيضا يضارع السيف رفعة
وتعظيما ، ولم تكن اهميته اقل من اهمية السيف بالنسبة للفراس
في المعركة ، فهو كثيرا ما يذكر مع السيف . قال عمرو بن كلثوم (١٨٣) :
نطاعن ما تراخي الناس عنا ونضرب بالسيوف اذا غشينا (١٨٤)
بسمر من قنا الخطيّ لدن ذوابل او بيض يختلينا (١٨٥)

وقال عنتره (١٨٦) :

فطعنته بالرمح ثم علوته بمهند صافي الحديدة مخدم (١٨٧)

(١٨٠) الجوهري : الصحاح . تحقيق أحمد عبد الففور
عطار ٣/١٢٧٠ .

(١٨١) الفضل الضبي : المفضليات ١/٦٤ .

(١٨٢) صفائح : سيوف عريضة . بصرى : بلد تنسب اليه جياذ
السيوف . القين : الحداد . اخلصتها : جاءت بها خالصة من العيوب .
والمطرده : المتتابع الذي ليس فيه اختلاف . يريد انها لا فتق فيها ، ويريد
بها الدروع وهو مما يذكر ويؤثت . المبهم : الذي لا ثلم فيه ولا خرق ،
او الذي لا يخالط لونه لون آخر .

(١٨٣) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩٤ .

(١٨٤) غشينا : دنا بعضنا من بعض .

(١٨٥) السمر من الرماح : اجودها . لدن : لينة . ذوابل : فيها
بعض اليبس . يقول لم تجف كل الجفاف فتشقق اذا طعن بها وتندق ،
ويروى البيت أو بيض يعتلينا : أي ان هذه الرماح تعلقو رؤوس الاعداء .

(١٨٦) الديوان ص ١٥١ .

(١٨٧) مخدم : سريع القطع . يقول طعنته فصرعته ، ثم اجهزت

عليه بسيفي المهند .

وقال عمرو بن معد يكرب (١٨٨) :

اعددت للحرب ففضاضة دِلاصا تشنى على الراهش (١٨٩)
واجرد مطردا كالرشاء وسيف سلامة ذي فائش (١٩٠)

وكما اهتم العرب بانساب السيوف ، اهتموا بانساب الرماح ،
وفتشوا عن اصلها فقالوا : رماحا يزنية ، وهي الرماح التي تنسب الى
ذي يزن (١٩١) . وخطيه ، وهي الرماح التي تنسب الى الخط . وهو
موضع باليمامة (١٩٢) او مرفأ السفن بالبحرين .

قال حاتم الطائي (١٩٣) :

واسمر خطيا ، كأن كعوبه

نوى القسب قد ارمى ذراعا على العشر (١٩٤)

وقال الاعشى (١٩٥) :

ولدن من الخطي فيه أسنة ذخائر مماسن ابزى وشرعب (١٩٦)

(١٨٨) لاصمعي : الاصمعيات ص ٢٠٣ .

(١٨٩) فضفاضة : واسعة يريد الدرع . الدلاص : اللينة البراقة ،

المساء . الرواهش : عصب وعروق في باطن الذراع . وقيل في ظاهره ،
واحدتها : راهشة وراهش .

(١٩٠) الاجرد . عني به الرمح ، قد سويت كعوبه فاملس .

مطرد مستقيم . الرشاء : الجبل ، شبه الرمح في طول به . وسلامة :

اسم رجل . وفائش واد في اليمن كان يحميه .

(١٩١) ابن سيدة : المخصص ٦/٣٣ .

(١٩٢) الجوهري : الصحاح ٣/١١٢٣ .

(١٩٣) ديوان حاتم ص ٦٦ .

(١٩٤) الاسمر : الرمح . الخطي : المنسوب الى الخط . مرفأ

للسفن في البحرين تباع فيه الرماح . كعوبه : عقده . القسب : ضرب

من التمر غليظ النوى . شبه كعوب الرمح بتوى هذا التمر في صلابتها .

وقوله ارمى ذراعا على العشر ، اي انه لا طويل ولا قصير . فلا يكون

مضطربا ولا قاصرا .

(١٩٥) ديوان الاعشى الكبير ص ٢٠٥

(١٩٦) لدن : مرن . الخطي : الرمح ينسب الى الخط وهو مرفأ

وقالوا رماحا ردينية ، وهي الرماح التي تنسب الى امرأة تسمى ردينة ، كانت تقوم القنا بخط هجر . وكان زوجها سمهر يقوم الرماح أيضا ونسب اليه نوع منها (١٩٧) . قال أوس بن حجر (١٩٨) :

اصم ردينيا كأن كعوبه نوى القسب عراصا مزجا منصلا (١٩٩)
وقال عميرة بن جعل (٢٠٠) :

جمعت ردينيا كأن سنانه سنا لهب لم يستعن بدخان (٢٠١)
وقال الحصين بن الحمام (٢٠٢) :

يهزون سمرا من رماح ردينة اذا حركت بضت عواملهادما (٢٠٣)
وكان الفارس يضيفي على رمحه صفة التشخيص كما اضفاها على فرسه وسيفه . قال عنتر (٢٠٤) :

للسفن بالبحرين كانت تباع فيه ، وئيس هو منبتها كما يتوهم . الاسنة : جمع سنان ، وهو حديدة الرمح المحددة . ذخائر . مدخرة للحرب . سن الرمح : ركب فيه السنان . ابزى وشرعب . رجلان من صناع الرماح . (١٩٧) الصحاح ج ٢ ص ٦٨٩ وج ٥ ص ٢١٢٢ .

(١٩٨) ديوان أوس بن حجر ص ٨٣ .

(١٩٩) الرمح الاصم : الرمح المصمت الذي لا جوف له . والرمح الرديني : منسوب الى ردينة بالتصغير ، وهي امرأة كانت تقوم الرماح . وكان زوجها سمهر ايضا يقوم الرماح . يقال لرماحه سمهرية . الكعب : الانبوب ويسمون العقدة كعبا وهو المراد هنا . والقسب : تمر يابس نواه صلب . والعراص : الشديد الاضطراب . المزجي : الذي جعل له زج (بضم الزاي وتشديد الجيم) وهي الحديدة التي في اسفل الرمح تفرس في الارض . والمنصل الذي جعل له نصل وهو السنان .

(٢٠٠) الفضل الضبي : المفضليات ٥٩/٢

(٢٠١) الرديني : الرمح . بدخان : اذا لم يستعن بدخان كان اصفى له . شبه السنان في صفائه بصفاء اسنان النار .

(٢٠٢) الفضل الضبي : المفضليات ٦٤/١ .

(٢٠٣) السمر من الرماح : اصلب من غيرها لانها تنضج فسي منبتها . بضت : سالت . عامل الرمح : سنانه وقيل ما يلي السنان .

(٢٠٤) ديوان عنتر ص ١٩ .

تصيح الردينيات في حجاتهم صياح العوالي في الثقاف المثقب (٢٠٥)

وقد كانت العرب تذكر القناة الصلبة التي لا تلين ، ولا تقبل
التقويم والتثقيف . لتضرب بها المثل في الخلاف والاباء والامتاع ،
والتعسر على من يريد اكرامهم ، والتعصب على من يريد تليينهم ، أو
الغض منهم . وفي ذلك يقول المساور بن هند (٢٠٦) :

ولنا قناة من ردينة صدقة زوراء حاملها كذلك ازور (٢٠٧)

ويخاطب عمرو بن كلثوم عمرو بن هند في معلقته فيقول (٢٠٨) :

فان قناتنا يا عمرو أعيت على الاعداء قبلك ان تليينا (٢٠٩)

أما حديثهم عن صفات الرماح ، فهو يدلنا على تفضيلهم الرمح الاصم
اللين على الرمح الاجوف .

قال عنتر (٢١٠) :

فظلنا نكر المشرفية فيهم وخرصان لدن السمهي المثقف (٢١١)

وقال عبيد بن الابرص (٢١٢) :

(٢٠٥) انحجبات : جمع حجة . وهي حرف الورك وللورك
حجبتان يشرفان على الخاضرة . والعواني : رؤوس القنا أو انصافها التي
تلي الاسنة . والثقاف : ما تسوى به الرماح . والمثقب : المثقوب ، جعل
أصوات الرماح وهي تنفذ في حجاتهم كأصواتها وهي تنفذ من ثقب
الثقاف حين تثقف .

(٢٠٦) ابو تمام : الحماسة : شرح المرزوقي ٤٦٢/١ .

(٢٠٧) الصدقة : الصلبة والمعنى قناتنا لا تستقيم لمقوم وحاملها

لا ينقاد لمجتذب .

(٢٠٨) التبريزي شرح القصائد العشر ص ٢٣٨ .

(٢٠٩) اراد بالقناة الاصل اي نحن لا نلين لاحد .

(٢١٠) ديوان عنتر ص ١٠٧ .

(٢١١) المشرفية : السيوف نسبة الى مشارف . والخرصان :

الرمح ، الواحد خرص . ولدن : لينة . والسمهي : نسبة الى سمهي

زوج ردينة وكانا مثقفين للرمح . والمثقف : المقوم .

(٢١٢) ديوان عبيد ص ٣٢ .

طعنوا بمران الوشيح فما ترى خلف الاسنة غير عرق يشخب (٢١٣)
وقال عنتره (٢١٤) :

واطعن في الهيجا اذا الخيل صدها غداة الصياح السمهي المقصد (٢١٥)

وكان الفرسان يميلون الى الرماح المتوسطة الطول ، حتى يتمكنوا
من السيطرة عليه • وقد كان بعضهم يميل الى استعمال الرماح الطويلة
كما جاء في قول الاعشى (٢١٦) :

واعدت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا (٢١٧)

وكما وضعوا للخيل أسماء ، ونلسيوف أسماء فقد وضعوا للرماح
اسماء كثيرة • فاذا كان الرمح مضطربا ، فهو (عاسل) • وان كان شديد
الاضطراب فهو (عسال) و (عراص) •

وإذا كان ليناً فهو (لذن) ، وان كان شديداً فهو (سمهي) (٢١٨)
وان كان صلبا لا ينثني فهو (صدق) •

أما القسي فهي من الاسلحة المستخدمة في الحرب • وهي اعواد
من الخشب اللين المتين ، تقوس كالهلال ، ويثبت فيها وتر من جلد الابل
ترمى به السهام ، واجود انواعها العصفورية •

وقد نسبت القسي الى ماسخ او ماسخة ، وهو قواس ازدي ،
ويقال انه اول من عمل القسي عند التحام المعركة (٢١٩) :

(٢١٣) المران : الرماح اللدنة • الوشيح : الشجر الذي تصنع
منه الرماح • يشخب : يسيل دما •

(٢١٤) ديوان عنتره ص ٤٧ •

(٢١٥) الهيجا : الحرب • والسمهي : الرمح صلب العود •
المقصد : المكسر بنصفين حتى يبين ، يريد حين يشتد البأس ، فتنكسر
الرماح في صدور الافراس •

(٢١٦) ديوان الاعشى ص ١٢ •

(٢١٧) اوزار الحرب : عدتها •

(٢١٨) وهذا تخريج آخر للسمهي •

(٢١٩) شعر الطفيل الغنوي ص ١٣ •

فما برحوا حتى رأوا في ديارهم لواء كظل الطائر المتقلب (٢٢٠)
رمت عن قسي الماسخي رجالنا بأجودما يبتاع من نبل يثرب (٢٢١)

كما نسبت الى رضوى وهي امرأة مشهورة بصنعها •
وكانت القوس رمز الرجولة ودليل الشرف ، لانها رفيق البدوي
ووسيلة عيشه ، وقد بلغت منزلة القوس عند العربي انه اذا اراد ان
يلتزم بتنفيذ امر ولم يستطعه رهن قوسه (٢٢٢) ، وحتى في قضايا الديات
فهم يرهنونها حتى يتم دفعها ، والى ذلك يشير قراد بن حنش (٢٢٣) :

ونحن رهنا القوس ثمت فوديت بالف على ظهر الفزاري اقرعا
وكان للعرب مهارة عظمت في استخدامها ، لما كانوا عليه من حدة
البصر ، فقد جاء في العقد الفريد (٢٢٤) ان العربي كان يستطيع ان يرمي
بالنبال فيصيب احدى عيني غزال دون العين الاخرى ، وكان احدهم
يعلق ظيبا بشجرة ويرميه بالنبال فيصيب أي عضو شاء من اعضائه ،
حتى يرمي فقراته فقرة فقرة فلا يخطيء واحدة منها •

وقد ترددت أسماء القوس على ألسنة الشعراء في جميع مجالات
حياتهم ، وكان الحديث يدور عن صنعها وصناعتها ، والخشب الذي
تتخذ منه ، وان غلب شجر النبع على جميع الانواع الاخرى التي كانت
تصنع منها •

قال ثعلبة بن عمرو العبدي :

وصفراء من نبع سلاح اعداها وايض قصال الضريبة جائف (٢٢٥)

-
- (٢٢٠) اللواء : العلم : يقول رأى اعداؤنا في ديارهم لواءنا .
(٢٢١) الماسخي : رجل نسبت اليه القسي . يبتاع : يشتري .
(٢٢٢) الاصفهاني . الاغانى ١١/١١١ .
(٢٢٣) ابو عبيدة : النقائض ٢/١٦٥ .
(٢٢٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ص ٦٨ (الطبعة القديمة) .
(٢٢٥) الصفراء : القوس . النبع : شجر تتخذ منه القسي
والسهام . القصال : القطاع ، يعني سيفا . الضريبة : المضروبة . الجائف :
الذي يبلغ الجوف .

وكما اهتم العرب بالقوس اهتموا بصوتها ، واهتموا بلونها •
فهي في ضوء ما وصل الينا من الشعر صفراء دائما ، ولكن الشنفرى
يصورها لنا حمراء تارة اخرى فيقول (٢٢٦) :

وباضعة حمر القسي بعثتها ومن يغزُ يغنم مرة ويشمت (٢٢٧)

والظاهر ان القوس تكون صفراء في اول بريها فاذا كثر استعمالها
وطال بها العهد احمر عودها •

اما اصواتها التي كانت تحدثها عند الرمي ، فقد كانت تفتنهم
فتنة شديدة ، تبدو في تلك الصور الشعرية التي رسموها ، وتتجسم في
الاصوات الحزينة المعولة التي شبهوها بها • قال الشنفرى في
لاميته (٢٢٨) :

واني كفاني فقد من ليس جازياً بحسنى ولا في قربه متعل (٢٢٩)

ثلاثة اصحاب فؤاد مشيع وايض اصليت وصفراء عيطل (٢٣٠)

هتوف من الملس المتون يزينا رصائع قد نيظت اليها ومحمل (٢٣١)

(٢٢٦) الفضل الضبي : المفضيات ١٠٨/١ . وانظر الديوان
ص ٣٨ (الطرائف الادبية) .

(٢٢٧) الباضعة : القاطعة . يعني قوما غزاة . حمر القسي
غزوا مرة بعد مرة . فاحمرت قسيهم للشمس والمطر . بعثتها : بعث
هؤلاء وغزوت بهم . يشمت : من قولهم : شتمه الله اي خيبه ، والشيمات
بكسر الشين وتخفيف الميم : الخيبة .

(٢٢٨) عجب العجب في شرح لامية العرب ص ١٤ .

(٢٢٩) التعلل : التلهي بالشيء ، يقال فلان يتعلل بكذا اي يتلهى .
(٢٣٠) المشيع : الشجاع المقدم . الاصليت : الصقيل ويجوز
ان يكون في معنى مصلت ولهذا يقال سيف مصلت اي مجرد من غمده .
الصفراء : اسم للقوس . العيطل : الطويلة العنق .

(٢٣١) الهتف : الصوت . يقال هتفت الحمامة اي صوتت
وصاحت ، وقوس هتافه وهتفى اي ذات صوت ، والملاسة ضد الخشونة .
اي هذه القوس ملساء لا عقد فيها ولا خشونة ، وتمتين القوس صلابتها
ومتن الشيء : صلبه والمتون : الصلبة . نيظت : علق . والمحمل مثال

إذا زل عنها السهم حنت كأنها مرزأة عجلي ترن وتعول (٢٣٢).

وقال راشد بن شهاب الإشكري (٢٣٣) :

ونبل قران كالسيور سلاجم وفرع هتوف لاسقي ولا نشم (٢٣٤)

وقال عمرو بن معد يكرب (٢٣٥) :

وذات عداد لها ازمل برتها رماة بني وابش (٢٣٦)

وقال أوس بن حجر (٢٣٧) :

فجردها صفراء لا الطول عابها ولا قصر اذرى بها فتعطلا (٢٣٨)
كتوم طلاع الكف لا دون ملئها ولا عجسها عن موضع الكف افضل (٢٣٩)

المرجل : علاقة السيف وهو السير الذي يقلده المتقلد وقد سمي عرق الشجر بذلك . والرصائع : ما يرصع به من جوهر وغيره : أي محلى بالرصائع ، وهي حلق يحلى بها ، والمراد بها السيور التي تزين بها القوس . (٢٣٢) زل السهم : خرج منها . حنت : صوت وكذلك حنت الناقة الى ولدها أي صوتت في نزاعها اليه ، والمرزأة التي تعتادها الرزايا ، والمعنى ان هذه القوس كثيرة التصويت لكثرة الرمي عنها . عجلي : مسرعة . وترن : تصوت مأخوذ من الرنة وهي الصوت . وتعول : ترفع صوتها بالبكاء .

(٢٣٣) المفضل الضبي : المفضليات ١٠٨/٢ .

(٢٣٤) القران : المتشابهة . السلاجم : الطوال ، الواحد سلجم . الفرع : القوس اخذت من أعلى الفصن . الهتوف : المصوتة . السقي : ما شرب الماء على الإنهار من الشجر . النشم : شجر خوار ضعيف .

(٢٣٥) الاصمعي : الاصمعيات ص ٢٠٣ .

(٢٣٦) ذات عداد : يريد القوس ، وعدادها : صوتها ورنينها . وهو صوت الأوتر . الازمل : الصوت . وبنو وابش : قبيلة اشتهرت بكونها ارمى الناس .

(٢٣٧) الديوان ص ٨٨ - ٨٩

(٢٣٨) يقول لو كانت قصيرة لتعطلت ، وكانت اصغر من أن يرمى عنها ولم تعب من طول . فتعطل : تترك لا تتخذ قوسا .

(٢٣٩) كتوم : يصف القوس يريد مرتفعة الصوت فسمها كتوما من الاضداد . وقوس طلاع الكف أي ملء الكف ، والعجس : موضع كف الرامي من كبد القوس .

إذا ما تعطوها سمعت لصوتها إذا انبضوا عنها نثيما وازملا (٢٤٠)

وكما اهتم العرب باصوات القسي والنواها ، اهتموا ايضا بصنعها وكيف كانت تعمل ، والشجر الذي تؤخذ منه ، وكيف يتعهدون عوده وهو صغير فيختلفون اليه حتى يصبح صالحا لاتخاذ القسي ، ثم يبدؤن بسقيها ماء لحائها ، وتتم هذه العملية بتقطيع هذا العود وهو رطب ، ثم يترك في الظل حتى يجف ، ليكون أكثر صلابة . ويصور لنا اوس ابن حجر هذه العملية فيقول (٢٤١) :

وصفراء من نبع كأن نذيرها اذالم تخفضه عن الوحش افكل (٢٤٢)
تعلمها في غيلها وهي حظوة بواد به نبع طوال وحشيل (٢٤٣)
وبان وظيان ورنق وشوحط ألف ائث ناعم متغيل (٢٤٤)
فمظعها حولين ماء لحائها تعالي على ظهر العريش وتنزل (٢٤٥)
فملك بالليظ الذي تحت قشرها كغرقى عبيض كنه القيص من عل (٢٤٦)

(٢٤٠) تعاطوها : تناولوها . انبض القوس : جذب وترها لتصوت . النثيم : الصوت الضعيف وصوت القوس وكذلك الازمل . الازمل .

(٢٤١) ديوان اوس بن حجر ص ٩٦ .
(٢٤٢) يصف قوسه . النبع : شجر من تؤخذ منه القسي . نذيرها : صوتها ، الافكل : الرعدة .

(٢٤٣) يعني انه ابصر عود هذه القوس وهو صغير مثل السهم ، فلم يزل يتعهده ويختلف اليه ، حتى صلح ان يتخذ منه قوسه .
الحظوة : القضيبي الصغير ينبت في أصل الشجرة . والفيل : الشجر الملتف . والنبع والحشيل : من اشجار الجبال .

(٢٤٤) البان والظيان والرنق والشوحط : من اشجار الجبال .
الالف : الملتف : الاثيث : الكثيف المتشابك ، وكذلك المتغيل .

(٢٤٥) مظعت القوس : اذا سقيتها ماء لحائها . العريش : البيت يقول ترفع عليه بالليل وتنزل بالنهار لئلا تصيبها الشمس فتتفطر .

(٢٤٦) ملك : ترك من القشر شيئا يتمالك به ، يكنه لئلا يبدو قلب القوس . والقيص : قشر البيض الغليظ . والغرقى : القشر الرقيق

وازعجه ان قيل شتان ما ترى اليك وعود من سراءٍ معطل^(٢٤٧)
وللشماخ قصيدة طويلة ومشهورة يصف فيها قوسه منذ أن
كانت قناة من نبع الى أن تمت تسويتها وأعدت للرمي^(٢٤٨) . وهي
قصيدة طويلة نختار منها ما يلي :

قليل التلاد غيرَ قوس واسمهم كأن الذي يرمي من الوحش تارز^(٢٤٩)
مطلا بزرق ما يداوي رميها وصفراء من نبع عليها الجلائز^(٢٥٠)
تخيرها القواس من فرع ضالة لها شذب من دونها وحواجز^(٢٥١)
نمت في مكان كنتها فاستوت به فما دونها من غيلها متلاخز^(٢٥٢)
فما زال ينجو كل رطب ويابس وينغل حتى نالها وهو بارز^(٢٥٣)
فانحى عليها ذات حد غرابها عدو لاوساط العضاة مشارز^(٢٥٤)

- (٢٤٧) السراء : النبع . معطل : غير صالح .
(٢٤٨) ديوان الشماخ بن ضرار ص ٤٦ وقد اعتبرها ابو زيد
القرشي في جمهرته من المشوبات .
(٢٤٩) قليل التلاد : إي لا تلاد له وتارز : اي ميت يابس لا حراك
به ، ولا روح له . والمعنى : كان الذي يرمي من الوحش الميت .
(٢٥٠) مطلا : مشرفا بطلله اي شخصه . بزرق : اي برماخ زرق .
ويداوي : يعالج . ورميها : الذي يرمي بها . وصفراء : أي قوس صفراء .
والنبع : شجر اجود ما تتخذ منه القسي . والجلائز : عقبات تلوى على
كل موضع من القوس واحدها جلاز وجلازة .
(٢٥١) تخيرها : اختارها . والقواس : الذي يبني القسي .
وفرع ضالة : اعلاها والضالة واحدة الضال : وهو السدر البري .
الشذب : قطع الشجر وقيل قشره . وحواجز : جمع حاجز وهو ما
يحجز بين الشيتين اي هي ممتنعة بما دونها من الاغصان والشذب .
(٢٥٢) كنتها : سترها واستوت به : اعتدلت . والغيل بالكسر :
الشجر الكثير الملتف الذي ليس بذي شوك . ومتلاخز : متضايق داخل
بعضه في بعض .
(٢٥٣) ينجو : يقطع . والرطب : ضد اليابس . وينغل : يدخل
تحت الشجر ليأخذها . وبارز : ظاهر .
(٢٥٤) نحى : امال . واوساط : جمع وسط . وعضاة : جمع
عضاة وهي اعظم الشجر . المشارز : المعادي ، أي امال على النبعة
فأسا ذات حد . عدو لاوساط العضاة لانه يعتاد قطعها .

فلما اطمأنت في يديه رأى غنى احاط به وازور عنن يحاوز (٢٥٥)
فمظعها عامين ماء لحائها وينظر منها ايها هو غامز (٢٥٦)
اقام الثقافة والطريدة درأها كما قومت ضغن الشموس المهامز (٢٥٧)
فوافى بها أهل المواسم فانبرى لها يبع يغلى بها السوم رائز (٢٥٨)
فقال له هل نشترها فانها تباع بما بيع التلاد الحرائز (٢٥٩)
فقال ازار شرعي واربع من السيراء او اوق نواجز (٢٦٠)
شان من الكوري حمر كأنها من الجمر ما اذكى على النار خابز (٢٦١)
وبردان من خال وتسعون درهما على ذلك مقروظ من الجلد ما عز (٢٦٢)
فظل ينجي نفسه واميرها أيأتي الذي يعطى بها أم يجاوز (٢٦٣)

(٢٥٥) اطمأنت : سكنت. واحاط به : من الاحاطة . وازور : مال .
المعنى انه لما ظفر بهذه القوس رأى انه استغنى عن الناس فازور عن احبابه
ومن كان يحتاج اليه .

(٢٥٦) مظعها : قطعها رطبة ثم وضعها بلحائها في الشمس حتى
تشرب ماءها لئلا تتصدع ، وتشقق ، وقيل مظعها : الانها . وغامز : اسم
فاعل . غمز القناة سوى المعوج منها .

(٢٥٧) اقام : اصلح ، والثقاف : ما تسوى به الرماح والقسي .
والطريدة : القصبه التي فيها حزة ، توضع على المغازل . ودرؤها : ميلها .
والشموس من الخيل : الصعب . والمهامز : جمع مهماز وهي حديدة في
مؤخر خف الرائض . المعنى : ان الثقافة اصلح هذه القوس .

(٢٥٨) وافى بها : اتى بها . انبرى لها . اعترض . والبيع من
الاضداد للمشتري والبائع . والمراد : الاول . وينغلى بها السوم : يسومها
سوما غالبا . ورائز : مجرب لصاحبها أيبيعها أم لا .

(٢٥٩) التلاد : من المال ما ولد عندك وقيل كل مال قديم موروث
عن الاباء ، والحرائز من الابل : التي لا تباع نفاسة بها .

(٢٦٠) الازر : الملحفة . والشرعي : ضرب من البرود . والسيراء :
ضرب من البرود ايضا . والنواجز : الحاضرة التي لا مطل فيها .

(٢٦١) الكوري : الذهب المصنوع بالكور بالضم ، وهو مجمرة
الحداد . المعنى : انه سامها بهذه الاشياء لنفاستها .

(٢٦٢) الخال : ثياب تصنع باليمن ، وقيل هو موضع باليمن
تصنع به الثياب . والمقروظ : الجلد المدبوغ بالقرظ .

(٢٦٣) اميرها : قلبها .

فقالوا له بايع اخاك ولا يكن لك اليوم عن ربح من البيع لاهز (٢٦٤)
 فلما شراها فاضت العين عبرةً وفي الصدر حزا من الوجد حامز (٢٦٥)
 وذاق فاعطته من اللين جانبا كفى ولها ان يغرق السهم حاجز (٢٦٦)
 اذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى اوجعتها الحناز (٢٦٧)
 هتوف اذا ما خالط الطبي سهمها وان ريع منها اسلمته النواقر (٢٦٨)
 كأن عليها زعفرانا ثميره خوازن عطار يمان كوانز (٢٦٩)
 اذا سقط الانداء صينت واشعرت حبير اولم تدرج عليها المعاوز (٢٧٠)

وهكذا تتبع الشماخ قوسه منذ ان كانت قناة من نبع ، ممتعة
 بما دونها من الاغصان والشذب ، فأمال عليها القواس بفأس ذات حد
 فظفر بها ، واستغنى عن الناس ، وازور عن احبابه ، وما كان يحتاج
 اليه ، فقطعها رطبة ، ثم وضعها بلحائها في الشمس حتى تشرب ماءها

- (٢٦٤) لاهز : دافع اي بع ولا تتأخر .
 (٢٦٥) شراها : باعها . وفاضت : سالت . والعبرة : الدمعة .
 وحزاز : يحز القلب وحامز : شديد . وقيل ممض محرق .
 (٢٦٦) ذاق القوس : جذب وترها اختبارا لينظر ما شدتها ،
 واللين : ضد الصعوبة . والجانب : الناحية . والوله : الحزن . والحاجز :
 من يجعل السهم حاجزا بينه وبين من يريده . يعني ان من سدد اليه
 سهم بهذه القوس يتحقق هلاكه .
 (٢٦٧) انبضها : جذب وترها لترن . والرامون : جمع رام المعنى
 اذا جذب الرامون وتر هذه القوس ، صوتت مثل بكاء فاقدة اولادها .
 (٢٦٨) النواقر جمع ناقرة وهي قوائمه والمعنى ان هذه القوس
 تصوت اذا خالط السهم المرمي بها الطبي ، فاذا ريع منها واراد الفرار
 اسلمته قوائمه ، لانها اصيبت ، فلا يقدر على الجري .
 (٢٦٩) كوانز : جمع كانزة يقال كنز المال حفظه . والمعنى ان هذه
 القوس صفراء اللون .
 (٢٧٠) الانداء : جمع ندى وهو المطر والبلل . وصينت : حفظت .
 وشعرت : البست . وحبيرا : ثوبا ناعما جديدا ، وقيل هو ثوب موشى .
 ولم تدرج : لم تطو . والمعاوز : جمع معوز والمعنى ان هذه القوس
 تغطي بالثياب النفيسة اذا سقطت الانداء ، خوفا عليها ان تفسد أوتارها
 لعزتها على صاحبها .

لثلا تتصدع وتتشقق ، ثم اصلح هذه القوس بآلته التي تسوى بها
الرماح والقسي •• واضفى عليها من البرود والسيراء زيادة في تجميلها
وتزيينها • ثم جاء بها الى السوق ليعرضها للبيع ، ففاضت دموعه
حسرة عليها •

وجاء من يختبرها لينظر ما شدتها ، فوجد انها قوية ، وان من
يسدد اليه بهذه القوس يتحقق هلاكه •• وقلبا ثانية ، وجذب وترها
لترن فصوتت مثل بكاء الثكلى •• واخيرا فهذه القوس تغطي بالثياب
النفيسة اذا سقطت الانداء خوفا عليها ان تفسد اوتارها لعزتها
على اصحابها •

وكان الشعراء الجاهليون يكثرون من اوصاف السهام في جميع
مراحلها منذ بريها وتركيب الريش فوقها حتى لحظة استخدامها ، وهم
في كل تلك العمليات انما يسعون الى غرض واحد ، وهدف مقصود هو
اعداد هذه الهدية الى اعدائهم الذين يبغضونهم ليصوبوها الى قلوبهم ،
وفي ذلك يقول الشنفرى (٢٧١) :

وردت بآثور يمان وضالة تخيرتها مما اريش وارصف
اركبها في كل احمر غائر وانسج للولدان ما هو مقرف
وتابعت فيه البري حتى تركته يرن اذا انزفته ويزفرف
بكفي منها للبيض عراضة اذا بعث خلا ماله متعرف (٢٧٢)

وقال ذو الاصبغ العدواني ناعنا سهامه وريشها :
السيف والرمح والكنانة والنبل جيادا محشورة صنعا
قوم افواقها وترصها انبل عدوان كلها صنعا
ثم كساها احمر اسود قينانا وكان الثلاث والتبعنا
هذه هي اشهر اسلحة الهجوم التي اعتمدها العربي في حياته ،

(٢٧١) ديوان الشنفرى ص ٣٨

(٢٧٢) وفي الاغاني ٩٢/٢١ مع اختلاف •

وهناك جانب آخر من الاسلحة كان يتوقى فيها هجمات الاعداء ، وهي
اسلحة الدفاع ، منها الدروع والبيض والمغافر والترس •

والدرع ثوب ينسج من زرد الحديد ، يلبس في الحرب ، وله
اكمام قصيرة تصل الى منتصف الذراع ، ويصنع احيانا من حلقات
معدنية صغيرة • متداخل بعضها في بعض • وجرى لبس الدرع على ثوب
من النسيج المبطن اشبه بوسادة تحت حلقات المعدن او صفائح
الرفيعة •

وقد شغل وصف الدروع جانبا كبيرا من الشعر الجاهلي ، لانه
وقاية انفارس وحاجز الموت عنه ، ووسيلته في الدفاع عن نفسه • قال
عمرو بن كلثوم (٢٧٣) :

علينا البيض واليلب اليماني واسياف يقمن وينحنينا (٢٧٤)
علينا كل سابغة دلاص ترى فوق النجاد لها غضونا (٢٧٥)

وقال عامر بن الطفيل (٢٧٥) :

بالباسلين من الكماة عليهم حلق الحديد يزينا السرد* (٢٧٦)

وقد استحب العربي الدروع المضاعفة النسيج التي نسجت حلقتين

(٢٧٣) التبريزي : شرح القصائد العشر ص ٢٤٣ - ٢٤٤ •

(٢٧٤) البيض : جمع بيضة الحديد ، واليلب : الدرع وقيل
الديباج وقيل ترسة تعمل في اليمن من جلود الابل ، لا يكاد يعمل فيها
شيء • ينحنين : اي ينثنين من كثرة الضراب • وقال الاصمعي اليلب :
جلود يخرز بعضها الى بعض ، تلبس على الرؤوس خاصة وليست على
الاجساد ، وقال ابو عبيدة : هي جلود تعمل منها دروع فتلبس وليست
بترسة • وقيل اليلب جلود تلبس تحت الدروع •

(٢٧٥) السابغة : التامة من الدروع • والدلاص : اللينة التي
تزل عنها السيوف • والنجاد : حمائل السيف • والفضون : التكسر •

(٢٧٥) الديوان ص ٤٢ •

(٢٧٦) الباسلون : الاشداء والشجعان • والكماة : الواحد كمي :

اي يكمي عدوه ، يقمعه • والسرد : تتابع عمل الدرع •

حلقتين ، والتي تغشى القدم والكف والبنان ، قال راشد بن شهاب
اليشكري (٢٧٧) :

ومطرده الكعنين اسمر عاتر* وذات قتير في مواصلها درم (٢٧٨)
مضاعفة جدلاء او حطمية تغشى بنان المرء والكف والقدم (٢٧٩)

وقال الجميح (٢٨٠) :

مدرعا ريطه مضاعفة كالنهي وقى سراره الرهم* (٢٨١)

وقال قيس بن الخطيم (٢٨٢) :

فلما رأيت الحرب حربا تجردت لست مع البردين ثوب المحارب
مضاعفة يغشى الانامل فضلها كأن قتيريا عيون الجنادب (٢٨٣)

وقال بشامة بن عمرو (٢٨٤) :

-
- (٢٧٧) الفضل الضبي : المفضليات ١٠٨/٢ - ١٠٩ .
(٢٧٨) المطرد : يعني رمحا اذا هز اضطرب كله واطرد في اضطرابه
كاطراد الماء في جريه . العاتر : الصلب . ذات قتير : يعني درعا . والقتير .
رؤوس مسامير الدرع . الدم : الاستواء واراد بمواصلها ما يتصل
بالحلقتين .
(٢٧٩) المضاعفة التي نسجت حلقتين حلقتين . الجدلاء : المحكمة .
الحطمية : المنسوبة الى حطمه بن محارب بن عبد القيس وكان صانع
دروع ويقال انها التي تحطم السيوف .
(٢٨٠) الفضل الضبي : المفضليات ٤٠/١ .
(٢٨١) الريطة : الملاءة واراد بالريطة هنا الدرع شبهها بها لصفاء
حديدها . المضاعفة التي نسجت من حلقتين حلقتين . النهي بفتح
النون وكسرها : الفدير وسراره بالفتح : وسطه . الرهم بكسر ففتح :
جمع رهمة بكسر فسكون . المطرة الضعيفة الدائمة . ووفته الرهم :
ملأته ، فاذا امتلأ الفدير وضربته الرياح بدت فيه طرائق وصفاء تشبه
به الدروع .
(٢٨٢) ديوان قيس بن الخطيم ص ٣٣ .
(٢٨٣) القتير : رؤوس المسامير احلق الدروع . ويشبه القتير
بحلق الاسود ويحلق الجراد .
(٢٨٤) الفضل الضبي : المفضليات ٥٧/١ .

ومن نسج داود موضونة ترى للقواضب فيها صليلا (٢٨٥)

وقال ابو قيس بن الاسلت الانصاري (٢٨٦) :

اعددت للاعداء موضونة فضفاضة كالنهي بالقاع (٢٨٧)

وكانوا يميلون الى لبس الدروع الواسعة السابغة ، التي تفضل
عن اطراف الفارس ، والصلبة المتينة التي تتشلم عليها السيوف ، وتتكرس
عندها السهام . قال عبد قيس بن خفاف البرجمي يصف قوة درعه
واتساعها (٢٨٨) :

وسابغة من جواد الدروع تسمع للسيف فيها صليلا
كماء الغدير زفته الدبور يجر المدجج منها فضولا (٢٨٩)

وقال يزيد بن الخذئاق يصف درعه (٢٩٠) :

نعد ليوم الروع زغفاً مقاضاةً دلاصا وذاغرب احدً ضرّوسا (٢٩١)

وقال طريف العنبري (٢٩٢) :

(٢٨٥) نسج داود : يريد الدروع . موضونة : التي نسجت
حلقتين حلقتين مضاعفة . القواضب : السيوف القاطعة . الصليل : الصوت
على الشيء اليابس . عبر عن السماع بالرؤية توكيدا للمعنى .

(٢٨٦) الفضل الضبي : المفضليات ٨٤/٢

(٢٨٧) موضونة : التي نسجت حلقتين حلقتين ، يعني الدرع .
الفضفاضة : الواسعة . النهي : الغدير .

(٢٨٨) الفضل الضبي : المفضليات ١٨٦/٢ .

(٢٨٩) اراد ان هذه الدرع في صفاتها مثل ماء الغدير الذي تصفقه
الرياح . الدبور : ريح تهب من المغرب تقابل الصبا ، وخصها لانها شديدة
المر تكدر الماء . وزفيها الماء : ان تطرده وتدفعه . المدجج بفتح الجيم
وكسرهما : اللابس السلاح التام . يريد انها سابغة تفضل عن اطرافه .

(٢٩٠) الفضل الضبي : المفضليات ٩٨/٢ .

(٢٩١) الزغف : الدرع اللينة . المقاضاة : الواسعة . الدلاص :
السهلة . الغرب : الحد و اراد بذئ الغرب : السيف . الاحذ : الخفيف .
الضرّوس : السوء الخلق في الابل وهو في السيف تشبيهه .

(٢٩٢) الاصمعيات ص ١٤٠ .

تحتى الاغر وفوق جلدي نثرة“ زغف ترد السيف وهو مثلم (٢٩٣)

وقال المزرد اخو الشماخ يفخر بشجاعته ويصف درعه (٢٩٤) :

ومسفوحة فضفاضة تبعيية وأتها القتير تجتويها المعابل (٢٩٥)

دلاص كظهر النون ما يستطيعها سنان ولا تلك الحظاء الدواخل (٢٩٦)

موشحة بيضاء حاب حبيكها لها حلق بعد الأنامل فاضل (٢٩٧)

مشهرة تحنى الاصابع نحوها اذا جمعت يوم الحفاظ القبائل (٢٩٨)

وتسبعة في تركة حميرية دلا مصة ترفض عنها الجنادل (٢٩٩)

وكما نالت الاسلحة المتقدمة احترام العربي وتقديسه، نالت الدروع نفس الاحترام والاعتزاز، فكانوا يتوارثونها، ويحتفظون بها. ولقد روي في أخبار امريء القيس ان عدد الدروع التي ورثها عن ابيه خمسة، وهي الفضفاضة والضافية والمحصنة والخريق وام الذبول. وكان بنو آكل المرار يتوارثونها ملكا عن ملك (٣٠٠). وقد اعتنى بها

(٢٩٣) الاغر: فرسه. النثرة: الدرع السلسلة الملبس. الزغف:

الدرع اللينة.

(٢٩٤) ديوان المزرد ص ٤٣.

(٢٩٥) مسفوحة: درع مصبوبة صبا. فضفاضة: واسعة.

وأتها. شدتها. والواي من الخيل: اشد يد. والقتير: رؤوس المسامير.

تجتويها: تنبو عنها لا تستمرؤها. المعابل: اي تضعف عنها كما يضعف

الرجل عن الارض الوبيئة.

(٢٩٦) الدلاص: الخلقاء اللينة. والحظاء الدواخل: السهام

الصفار يلعب بها الصبيان. كظهر النون: أي كالسمكة في ملاستها.

(٢٩٧) موشحة: فيها طرائق صفر. أي نحاس. الحبيك: الطرائق

من النسيج. فاضل: زائد يريد انها سابقة.

(٢٩٨) تحنى الاصابع نحوها: يشار اليها لجودتها. الحفاظ:

الذب عن المحارم والفضب لها.

(٢٩٩) التسبغة: نسيج يكون من حلق يلبس تحت البيضة

المستديرة. الدلامصة: السهلة اللينة، واذا لان الحديد كان اجود له.

ترفض: تنكسر وتنفرق عنها لصلابتها.

(٣٠٠) الاصفهاني: الاغانى ٩/٩٣.

العربي عناية فائقة ، فكان يجلوها بعد انتهاء المعركة ، ويضعها في أماكن خاصة خشية الصدا والتلف .

أما البيضة فهي غطاء الرأس الذي تحدث عنه الشعراء ، فامتدحوه وأكثروا من ذكره في أشعارهم . قال عمرو بن معد يكرب يذكر بلاء قومه في الحرب (٣٠١) :

صبحتهم بيضاء يبرق بيضها اذا نظرت فيها العيون ازمهت (٣٠٢)
وكان الفرسان يشدون البيض الى الدروع خشية سقوطها . قال المنخل الشكري (٣٠٣) :

وفوارس كأوار حَرَّ النار احلاس الذكور (٣٠٤)
شدوا دوابر يبيضهم في كل محكمة القتير (٣٠٥)

وإذا طالت الحرب وبعدت أيامها ظل الفارس محتفظاً بعديته لا يخلعها ، فتتغير ملامح الفرسان ، وتبديل ألوان أسلحتهم بسبب ما يصيبها من العوارض ، وتبقى البيض على رؤوسهم طوال تلك المدة ، حتى تذهب بشعر رؤوسهم ، قال أبو قيس بن الأسلت (٣٠٦) :

من يذق الحرب يجد طعمها مرا وتجبسه بجعاع (٣٠٧)
قد حصت البيضة رأسي فما اطعم غمضا غير تهجاع (٣٠٨)

-
- (٣٠١) الاصمعي : الاصمعيات ص ١٢٩ .
(٣٠٢) صبحتهم : جثتهم بالكتيبة صباحا . بيضاء يريد كتيبة بيضاء عليها بياض الحديد . قلانس الحديد على رؤوسها واحدا بيضة . ازمهت : احمرت من الغضب .
(٣٠٣) الاصمعي : الاصمعيات ص ٥٤ .
(٣٠٤) الأوار : الوهج . الاحلاس : جمع حلس ، وهو كل شيء ولي ظهر الدابة تحت السرج ونحوه .
(٣٠٥) البيض : قلانس الحديد . ودوابرها : ماخريها . القتير : مسامير الدروع .
(٣٠٦) المفضليات ج ٢ ص ٨٤ .
(٣٠٧) الجعجاع : المحبس في المكان الفليظ او الضيق .
(٣٠٨) حصته : اذهبت شعره ونثرته لطول مكثها على رأسه ، ومعنى البيت انه يطيل لبس السلاح ويقل النوم .

وقد تشبه البيض وهي على رؤوس الفرسان بيض النعام في املاسه
وصفائه • قال سلامة بن جندل (٣٠٩) :

كأن النعام باض فوق رؤوسهم بنهي القذاف او بنهي مخفق (٣١٠)
اما الترس فهو من معدات الحرب التي تستعمل للوقاية ، وكانوا
يتخذونه من جلود الابل ، لذلك قالوا عنه الاسمر • قال ابو قيس بن
الاسلت الانصاري (٣١١) :

صدق حسام وادق حده ومجناء اسمر فرّاح (٣١٢)
ويشبه الترس وسط المعركة بالشمس في القتام • قال المزرد (٣١٣) :
وجوب يبرى كالشمس في طخية الدجي
وابيض رساب الكريهة قاصل (٣١٤)

من هذه النماذج الكثيرة التي لم نطل في سردها ، نستطيع ان
نصور الحالة التي كانت تسود المجتمع الجاهلي ، والتي دفعت العرب
الى الاهتمام بالسلاح • لانه اصبح ضرورة من ضروريات الحياة ، ومن
هنا كانت غاية العربي الحصول على اكبر قدر منه ، ليستطيع مواجهة
الحياة ومواجهة ظروفها القاسية •

(٣٠٩) الاصمعيات ص ١٤٩ •

(٣١٠) شبه البيض على رؤوسهم بيض النعام • النهي : الموضع
الذي له حاجز ينهي الماء ان يفيض منه ، وقيل هو الفدير • القذاف
ومخفق : موضعان •

(٣١١) الفضليات ج ٢ ص ٨٥ •

(٣١٢) الصلوق : الصلب • الحسام : القاطع • الوادق : الماضي
الحاد : المجنأ : المعطوف ، عنى به الترس وجعله اسمر لانهم كانوا
يتخذون الترس من جلود الابل • القراع : الصلب •

(٣١٣) ديوان المزرد ص ٤٤ •

(٣١٤) جوب : ترس • طخية : ظلمة • رساب : أي يرسب عند
الكريهة ، أي حين تضرب به الضرائب الشداد •

الفصل الرابع

تقاليد الفروسية

ليس في امكاننا التحدث عن تقاليد الفروسية كنظم قائمة ، أو مؤسسات لها دساتير وقوانين تفرض على منتسبيها شروطا معينة ، وتحملهم واجبات محددة ، وانما هي اخلاق يرثها الابناء عن الآباء ، وقيم اجتماعية وجدت في الجزيرة العربية متسعا لها فانطلقت في رحابها ، حتى أصبحت رابطة تضم العرب كلهم في مجالسها • يتدربون عليها ليصبحوا فرسانا ، يدفعون عنهم الذل ، وينتصرون ليكتبوا لهم ولقبائلهم صفحات المجد والخلود ، ويسعون ليحفظوا لتلك القيم والمثل قدسيتها •

فالرجل الجاهلي يشب وهو يحس حاجة الى التدريب على ركوب الخيل ، والقيام بأمورها ، والاستعداد لخوض غمار الحرب ، والتأهب لمقابلة الفرسان ، فهو يقدم في مواضع الاقدام ، ويحجم في مواضع الاحجام ، ولا يدخل موضعا لا يرى له فيه مخرجا •

ومن هنا نجد معاني الفروسية ومثلها متلازمة ، لا تذكر منها واحدة الا أردفت بقيتها ، فالفارس كريم جواد وقت الازمة ، يمنع جاره ويأخذ للحرب عدتها بفرس تسقى اللبن ، وتسبق حمار الوحش كما جاء في قول عوف بن عطية^(١) :

(١) المفضل الضبي : المفضليات ٢/٢١٣ •

وقالت كيشة من جهلها : أشيبا قديما وحلما مَعَارَا
فما زادني الشيب الاندى اذا استروح المرضعات القتارا (٢)
أحيي الخليل واعطي الجزيل حياء وافعل فيه اليسارا
وامنع جاري من المجففات والجار متنع حيث صارا
واعدت للحرب ملبونة تَرْد على سائسها الحمارا (٣)

وهذا ربعة بن مقروم ، يفخر بقومه ، ويصف شدة بأسهم في
الحروب ، ويذكر أيامهم ، فيقرن تلك الشجاعة بكرمهم وحمايتهم للمرأة ،
وانفاقهم وقت الشدة فيقول (٤) :

وان تسأليني فإني امرؤ أهين اللئيم واحبو الكريما
وابني المعالي بالمكرمات وأرضي الخليل واروي النديما
ويحمد بذلي له معتف اذا ذم من يعتفيه اللئيم (٥)
وقومي ، فان انت كذبتني بقولي فاسأل بقومي عليمسا
اليسوا الذين اذا أزمنة الحت على الناس تنسي الحلوما (٦)
يُهينون في الحق اموالهم اذا الزبات التحين المُسيما (٧)

والفارس يسعى لكسب الحرب ، ويكتفي بنفوس اعدائه في
ميدان الطعان ، ويترفع عن اخذ الاسلاب والغنائم ، وفي ذلك يقول
عنترة (٨) :

-
- (٢) استروح : تشمم . القتار : ربح الشواء . يريد اشتد الزمان ،
وكان القحط ، ولم يطعم احد صاحبه لضيق العيش .
(٣) الملبونة : التي تسقى اللبن .
(٤) الفضل الضبي : الفضليات ١/ ١٨١ .
(٥) المعتفي : المعرض من غير مسألة .
(٦) الحلوم : العقول .
(٧) الزبات : بفتح الزاي . جمع لزبة بسكونها : وهي القحط .
التحين : قشرن يقال لحوت العود ولحيته : اذا قشرت ما عليه من لحائه .
المسيم : صاحب الابل والفنم ، اشتق اسمه من السائمة .
(٨) ديوان عنترة : تحقيق عبدالمنعم عبدالرؤوف ص ١٠ .

اذا التقيتُ الاعادي يوم معركة تركتُ جمعهم المغرورُ ينتهبُ
 لي النفوس وللطير اللحوم وللوحش العظام وللخيالة السلبُ
 ويكرر هذا المعنى في معلقته فيقول مخاطبا حبيته^(٩) :
 يخبرك من شهد الواقعة انني اغشى الوغى واعفث عند المعنم
 والفارس لا يقبل الحياة مازجها الهوان مهما تكن المغريات ، فهي
 في حلقه غصص وشجى ، قال عنترة^(١٠) :
 لا تسقني ماءَ الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
 ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز اطيب منزل
 وقد اتصف قسم من الشعراء الفرسان بعدم الاندفاع وراء الخيال
 في المبالغة ، لما يصيب اعداءهم في المعركة ، وانما كانوا معتدلين منصفين ،
 يذكرون ما وقع لخصومهم في المعركة وما وقع لقومهم فيها دون تحيز ،
 ويعترفون لخصومهم بالبأس والنجدة والمروعة ، فلا يذمونهم ، ولا
 يجردونهم من صفات الفروسية الحققة ، ومن هنا نشأت « المنصفات » التي
 تحدثنا عنها في غير هذا الموضوع .

وكان من عادة الفرسان ألا يقتلوا عيون الاعداء وجواسيسهم
 الذين يندسون في صفوفهم ليعرفوا اسرارهم ، أو يقفوا على عددهم
 وعدتهم ، ليرجعوا الى مرسلهم بواضح الاحوال والاخبار ، ولينبؤهم
 بمبلغ قوتهم واستعدادهم ، والى ذلك يشير عبد الشارق بن عبد
 العزى^(١١) :

ودسوا فارسا منهم عشاء فلم نغدر بفارسهم لدينا
 ومن تقاليد الفروسية ، معاملة الاسرى بالحسنى ، لانهم
 الفارس أن تكون معاملته قائمة على الحسنى ، ولا تتسم بالاذلال
 والاهانة ، لانهم يعتقدون بأن عز الاسير واحترامه يمثل الهدف النبيل ،

(٩) نفس المصدر : ص ١٥٠

(١٠) نفس المصدر : ص ١٣٥ .

(١١) ابو تمام : الحماسة . شرح المرزوقي ١/٤٤٤ .

ويصور منتهى الشهامة والسمو الانساني في معاملة شخص يقع تحت رحمة شخص آخر أقوى منه ، وتمتكن عليه ، ولكنه يرفق به ، ويحسن اليه ، وفي ذلك يقول علقمة بن عبدة الفحل يمدح الحرث بن جبلة^(١٢) :

وما مثله في الناس الا اسيره^{*} مئدان^{*} ولا دان لذاك قريب^{*}
والفرسان يصرحون باحسانهم الى الاسرى ، لانهم يريدون ان يحسن خصومهم الى اسراهم ، والفارس لا يجوز لنفسه ان ينزع عن الاسيرة حليها أو قلايتها * .

أما جز النواصي^(١٣) - وكان العرب يخبرون الاسير بين الاسر وجز الناصية - فكان من النعم التي ينعم بها الفارس على الرجل الشريف اذا وقع اسيرا بين يديه ، وتكون الناصية عند من جزها ، أو تحفظ في الكنائن ، لتكون وسيلة من الوسائل التي يفاخر بها الفارس ، ويقتل من شأن القبيلة التي كان الاسير منها^(١٤) :

قال بشر بن ابي خازم الاسدي^(١٥) :

فاذ جُزّت نواصي آل بدرٍ فادوها وأسرى في الوثاق
والا فاعلموا إننا واتم بغاة ما حيننا في شقاق
وقالت الخنساء مفتخرة بقومها^(١٦) :

جززنا نواصي فرسانهم وكانوا يظنون الا تُجزا
ومن ظن ممن يلاقي الحروب بان لا يُصاب فقد ظن عجزا
أما الفراسة فقد كانت معروفة بالنسبة للفرسان ، وهذه الفراسة لا تتأتى الا نتيجة التجربة الحربية الطويلة ، والممارسة الفعلية لقيادة

(١٢) الفضل الضبي : المفضليات ١٩٦/٢

(١٣) النواصي : جمع ناصية ، وهي الشعر في مقدم الرأس فوق الجبهة وجزها قصها .

(١٤) ابو عبيدة : النقائض ١٥/٢ ، ١١٥/٢ .

(١٥) ديوان بشر بن ابي خازم ص ١٦٥ .

(١٦) المبرد : الكامل في اللغة والادب ٣/١٢٢٤ .

المعارك • ففي يوم الصلعاء^(١٧) عندما غزا دريد بن الصمة غطفان خرجت اليه غطفان ، فقال دريد لصاحبه : ما ترى ؟ قال : ارى خيلا عليها رجال كأنهم الصبيان ، اسنتها عند اذان خيلها • قال : هذه فزارة ثم قال : انظر ما ترى ؟ قال : ارى قوما كأن عليهم ثيابا غمست في الجادي^(١٨) • قال : هذه اشجع ثم قال : انظر ما ترى ؟ قال : ارى قوما يهزون رماحهم سوداً يخذون الارض باقدامهم • قال : هذه عبس • اتاكم الموت الزؤام فاثبتوا^(١٩) •

وكان منهم من يتخذ له شارات تميزه عن غيره في المعركة ، او علامات يُعرف بها ، كما وقع في يوم تحلاق اللحم ، فقد حلقت بنو بكر يومئذ رؤوسها ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نساءهم ، وقد قلدوا كل امرأة ادواة^(٢٠) من ماء ، واعطوها هراوة • فاذا مرت على صريع من قبيلتها عرفته من حلاقة لمته فسقته الماء وانعشته ، واذا مرت على رجل من غير قبيلتها ضربته بالهراوة فقتلته ، فكان ذلك من اسباب انتصار بكر على تغلب •

وكان المقاتلون من الفرسان يلبسون الدروع ، حماية من الضرب ، وغالبا ما تكون هذه الدروع طويلة واسعة ، يسحبها الفارس سحبا ، وهي احب عندهم لسترها معظم الجسد ، فيبدون وهم يرتدونها كالسيول لكثرتها ولما كسبته من لون الحديد • قال عنتره^(٢١) :
وسارت رجال" نحو اخرى عليهم ال حديد كما تمشي الجمال الدوالح^(٢٢)
اذا ما مشوا في السابغات حسبتهم سيولا وقد جاشت بهن الاباطح^(٢٣)

(١٧) الصلعاء : رابية في ديار غطفان •

(١٨) الجادي : الزعفران •

(١٩) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٧٣/٥ •

(٢٠) الادواة : اناء صغير •

(٢١) ديوان عنتره : تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف ص ٤٧ •

(٢٢) الدوالح : التي تمشي متشاكلة من ثقل ما تحمل •

(٢٣) الدرع السابغة : التي تجرها في الارض او على كعبيك

طولا وسعة •

وتعتبر الدرع حياة ثانية لصاحبها ، لانها جلد حديدي فوق جلده ،
يقيه طعنات الرماح ، وضربات السيوف .

وكان بعض المياسير وكبار القواد يضاعف بين درعين يلبس
احدهما فوق الاخرى ، زيادة في الحيلة والتوقي ، كما فعل الحارث بن
جبله الغساني في يوم حلينة ، وفيه يقول علقمة بن عبدة الفحل (٢٤) :
مظاهرُ سربالي حديدٍ ، عليهما عقيلاسيوف مخذمٌ ورسوبٌ (٢٥)
تخشخش ابدانُ الحديدِ عليهمُ
كما خشخشت يَبسَ الحصادِ جنوبٌ (٢٦)

ويروى ان رسول الله (ص) لبس يوم أحد درعين ظاهر بينهما ،
واشترى يزيد بن حاتم ادراعا ، فقال اني لست اشترى ادراعا ، وانما
اشترى اعماراً (٢٧) .

وهناك فريق من الفرسان كان يلبس الدرع بلا اكمام ، لتسهيل
حركة يديه عند الطعن وخفتها اثناء القتال ، على ان بعض المبرزين من
الابطال كان يعتز بشجاعته ، فيترك الدرع ويحارب حاسراً ، انفةً من
أن يقي نفسه بغير سيفه ورمحه ، فالفارس الحق من يعتمد على سيفه
دون أي سلاح ، وذلك لخفة حمله ، وسرعة قطعه ، واجهازه على القتيل .
يقول قيس بن الخطيم (٢٨) :

-
- (٢٤) المفضل الضبي : المفضليات ٢/ ١٩٤ .
(٢٥) السربال : القميص وعنى به ههنا الدرع . المخذم : القاطع
الذي يبين الضريبة ، وكان الحارث يتقلد بسيفين .
(٢٦) الخشخشة : صوت الثوب الحديد اذا لبس . البدن : الدرع
من الزرد .
(٢٧) الشمشاطي : كتاب الانوار ومحاسن الاشعار . مخطوط في
مكتبة السلطان أحمد الثالث باستانبول تحت رقم (٢٣٩٢) .
(٢٨) ديوان قيس بن الخطيم : تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي
والدكتور احمد مطلوب ص ٣٤ .

أجالدهم يوم الحديقة حاسراً
كأن يدي بالسيف مخراقٌ لاعب (٢٩)
وكان بعضهم يتمنق النطاق في الحرب ليشد به وسطه ، ويعلق به
سلاحه .

قال عبيد بن الأبرص (٣٠) :
وقد اترك القرن الكمي بصدرة
مشلشلة فوق النطاق تفوح
كما كان البعض الآخر يرتدي الخوذات التي تلتصق فيها القوانس .
كما جاء في قول عبيد بن الأبرص (٣١) :
شُمَّ كأن سنا القوانس فوقهم
نارٌ على شرف اليفاع تلهب (٣٢)

ولذكر العمائم مواضع . لأنها كانت تيجانهم وبها عزهم ، وقد
وردت في اشعارهم كثيراً ، قال اوس بن حجر (٣٣) :
ولما دخلنا تحت فيء رماحهم خبطت بكفي اطاب الارض باللمس
فأبت سليماً لم تمزق عمامتي ولكنهم بالظعن قد خرّقوا ثرسي
وكانوا يجعلون العمامة لواءً اذا اضطروا لذلك ، فالاحنف بن
قيس عندما عقد لعبس بن طلق اللواء نزع عمامته من رأسه فعقدتها
له (٣٤) . وربما شدوا بالعمائم اوساطهم عند المجاهدة ، واذا طالت العقبه ،

(٢٩) الحديقة : قرية من اعراض المدينة في طريق مكة كانت بها
وقعة بين الاوس والخزرج قبل الاسلام . والمخراق : خرقه مفتولة يلعب
بها الصبيان .

(٣٠) ديوان عبيد ص ٤٨ .
(٣١) ديوان عبيد ص ٣٣ .
(٣٢) يريد قوانس الخوذات : وهي اوساطها في علاها . اليفاع
كل ما ارتفع من الارض .
(٣٣) ديوان اوس بن حجر ص ٥٢ .
(٣٤) الجاحظ : البيان والتبيين ٩٦/٣ .

ولذلك قال شاعرهم (٣٥) :

دَفَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ كَالذَّيْخِ خَاطِبًا نَشْدُو عَلَى أَكْبَادِنَا بِالْعِمَائِمِ (٣٦)

وقال آخر (٣٧) :

خَلِيلِي شَدَّاءَ لِي بِفَضْلِ عِمَامَتِي عَلَى كِبَدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمُهَا

وكان من عادة فرسان العرب في المواسم والجموع ، وفي اسواق العرب ، كأيام عكاظ وذو المجاز وما اشبه ذلك ، التفتح الا ما كان من ابي سليلط طريف بن تميم احد بني عمرو بن جندب ، فانه كان لا يتفتح ولا يبالي أن يثبت عينه جميع فرسان العرب ، متحدياً أعداءه ومن يريد اخذ الثأر منه نتيجة اعتداده بنفسه ووثوقه بشجاعته والى ذلك يشير في قوله (٣٨) :

أَوْ كَلِمَا وَرَدَتْ عَكَاظُ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيْقَهُمْ يَتَوَسَّمُ
فَتَوَسَّمُونِي إِنِّي أَنَا ذَاكُمْ شَاكٌ سِلَاحِي فِي الْحَوَادِثِ مَعْلَمٌ
تَحْتِي الْاَغْرُ وَفَوْقَ جِلْدِي نَثْرَةٌ زَغْفٌ تَرْدُ السِّيفِ وَهُوَ مِثْلَهُمْ (٣٩)

وربما يعلم الفارس عن نفسه بعلامة ، كما فعل حمزة بن عبدالمطلب يوم بدر فاعلم عن نفسه بريشة نعامة حمراء ، وكان الزبير بن العوام معلماً بعمامة صفراء (٤٠) . ولكن الغالب على الفرسان انهم كانوا يكرهون ان يُعرفوا فلا يكون لفرسان عدوهم هم غيرهم (٤١) .

وكان قسم منهم يرفع علماً في الحرب ليدل على نفسه ومكانه ، وفي ذلك يقول اوس بن حجر (٤٢) :

(٣٥) نفس المصدر ٩٦/٣ .

(٣٦) الذبخ : ذكر الضياع .

(٣٧) الجاحظ : البيان والتبيين ٩٦/٣ .

(٣٨) نفس المصدر ٩٣/٣ .

(٣٩) النثرة : الدرع المتينة .

(٤٠) الجاحظ : البيان والتبيين ٩٣/٣ .

(٤١) نفس المصدر : ٩٣/٣ .

(٤٢) ديوان اوس بن حجر ص ١٢٢ .

رَأْتِي مَعَدَّةً مُعَلِّمًا فَتَنَازَرْتُ مُبَادِهْتِي أَمْشِي بِرَايَةِ مُعَلِّمٍ (٤٣)
وقد امتدحوا البطل الذي يصل سيفه بخطواته ، لان ذلك دليل
على فضل جرأته • قال الاخس النعبي (٤٤) :

وَانْقَصَرَتْ اَسِيافُنَا كَانِ وَصَلَتْهَا خَطَانَا اِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ نَضَارِبُ
وفي طريقته قال بشامة النهشلي (٤٥) :

اِذَا الْكِمَاةُ تَنَحَّوْا اَنْ يَنَالَهُمْ حَدَثُ الظُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِاَيْدِينَا
وربما زاد الفارس في طول رمحه ليخبر عن فضل قوته ، لانه
لا يحمل الرمح الخطل منهم الا الشديد الأيّد ، والمدل بفضل قوته ،
الذي اذا رآه الفارس في تلك الهيئة هابه وحاد عنه (٤٦) :

والى هذا يشير ربيعة بن مقروم عندما يمدح قومه (٤٧) :
طَوَالَ الرِّمَاحِ غَدَاةُ الصَّبَاحِ ذُوو نَجْدَةٍ يَمْنَعُونَ الْحَرِيصَا
وكانوا يتخذون الفاظا يسمونها الشعار ، يتنادون بها اثناء المعركة ،
على أن هذه الالفاظ لم تكن معينة ، وانما هي مصطلحات يتفقون عليها
حسب مقتضى الحال •

فكان شعار الاحزاب في غزوة أحد « يا للعزى يا لهبل » ، وكان
شعار تنوخ في الحيرة « يا آل عباد الله » • وجعل النبي (ص) لكل من
المهاجرين والانصار شعارا • فكان شعار المهاجرين « يا بني عبد الرحمن »
وشعار الاوس « يا بني عبيد الله » وشعار الخزرج « يا بني عبد الله »

(٤٣) فتناذرت مبادهتي : جعلت مفاجأتي ومقارعتي في الحرب
ندرا بينها .

(٤٤) الفضل الضبي : المفضليات ٧/٢ وفي حماسة ابي تمام
شرح المرزوقي : خطانا الى اعدائنا فنضارب .

(٤٥) ابو تمام : الحماسة شرح المرزوقي ١٠٨/١ .

(٤٦) الجاحظ : البيان والتبيين ٢٢/٣ . والخطل : الذي يضطرب
في يد صاحبه لافراط طوله . والايّد : القوي .

(٤٧) الفضل الضبي : المفضليات ١٨١/١ .

وكان شعار أصحاب رسول الله (ص) يوم أحد « أمت أمت » وكان شعار اصحاب رسول الله (ص) يوم خيبر « يا منصور أمت أمت » (٤٨) •

وكان بعض الفرسان يتخلى عن السلاح ، لان التخلي عنه يُعتبر منتهى الشجاعة وقمة الفروسية •

أما السكوت في الحرب فكان من تقاليدهم التي تعارفوا عليها ، لان ذلك دليل رباطة الجأش ، وأما كثرة الصوت والجلبة فهي اماراة الفرع ، ولان ذلك يثير الاضطراب في الصفوف ، ويوهم العدو بارتباكهم ، فيفتح المنافذ في صفوفهم ، وقد اوصى اكنم بن صيفي قومه في يوم الصفقة والكلاب الثاني فقال : اقلّوا الخلاف على امرائكم ، ودعوا كثرة انصياح في الحرب فانه من الفشل (٤٩) •

كما جوزوا للفارس الهروب والفرار من المعركة اذا قدر ان الهروب في محله ، وانه اتفع من الثبات • لان النجاة في مثل هذه المواقف ، وبالنسبة لفارس مشهور ، تكون انتصارا للقبيلة كلها • وان كان هذا الفرار يترك أثرا في نفوس الفرسان الآخرين الذين يخزيهم الفرار ، فيظنون في حومة المعركة ينتظرون المصير كما وقع لعبد يغوث ابن وقاص عندما وقع أسيرا في يوم الكلاب الثاني ، ولما لم يجد من القتل بدأ طلب اليهم أن يطلقوا عن لسانه - وكانوا قد شدوا لسانه لئلا يهجوهم - ليذم أصحابه ، وينوح على نفسه • فقال (٥٠) :

جزى الله قومي بالكلاب ملامةً صريحهم والآخريين المواليا (٥١)

(٤٨) ابن هشام : السيرة ١٣/٣ ، ٣٨٣/٣ وجرجي زيدان تاريخ التمدن الاسلامي ٢١٠/١ •

(٤٩) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢٦١/١ •

(٥٠) الفضل الضبي : المفضليات ١٥٥/١ •

(٥١) الكلاب : بضم الكاف : يوم الكلاب الثاني وفيه أسر عبد

يفوث • صريحهم : خالصهم •

ولوشئت^{٥٢} نجتني من الخيل نهدة^{٥٢} ترى خلفها الحو^{٥٢} الجياد تواليا (٥٢)
ولكنني احمي ذمار^{٥٢} اييكم وكان^{٥٢} الرماح^{٥٢} يختطفن^{٥٢} المثاميا
واذا اراد الفارس ان يعتزل الحرب ويتخلى عن قومه اذا وجدهم
على غير حق ، حل وتر قوسه ، ونزع سنان رمحه ، واعتزل بأهله
وأقاربه • كما فعل الحارث بن عباد عندما علم بمقتل كليب (٥٣) •

وهكذا يصور لنا الادب الجاهلي تقاليد الفروسية التي عاشها
الانسان الجاهلي واضحة جلية ، ويرسم لنا مجموعة القيم الخيرة التي
سادت ذلك المجتمع ، وانتشرت بين ابناءه ، فكانت طريقا يسلكه الافراد ،
ودستورا يهتدون به دون قانون مكتوب •

(٥٢) النهدة : المرتفعة الخلق . الحوة : الخضرة ، والاخوى من
الخيال ما ضرب لونه الى الخضرة .
(٥٣) ابن الاثير : تاريخ الكامل ١ / ٢٢٠ .

الفصل الأول

أولية الشعر الجاهلي وقضية الانتحال

الباب الثاني

شعر الفروسيّة

لم يعد خافيا على مؤرخي الأدب أن الشعر الجاهلي يرجع بداية
إلى خمسين ومئة عام أو مائتي عام قبل الإسلام ، ولم تعد هذه النظرية
تجد معالما في الأوساط العلمية التي تستند على البحث العلمي القديم ،
وأما الذي تركه الأوساط العلمية التي تستند على البحث العلمي القديم ،
الشعر الجاهلي لم يتركه الأوساط العلمية التي تستند على البحث العلمي القديم ،
لرأجل سابقة من تطور الفن الشعري عند قبائل شبه الجزيرة العربية
خلال أجيال طويلة ، وأن الانتحارات الإبداعية الرائجة التي شجرت في
الشعر الجاهلي دليل ساطع على رقي هذا الشعر ومستواه الفني
الرفيع .

كما أن النمو الطبيعي للصيد العربية ، بأوزانها وبرسوخها
ومضامينها ، تستدعي أن تكون هذه القصيدة قد مرت بأحوال كثيرة
تطورت خلالها تغيرات مهمة ، ووقفت أمام عوامل جديدة على كنفها
هذا الأكمال الشامل . لانا لو رجعا إلى العهد القويح في الأدب
الجاهلي ، لاحظنا أنها أخذت تخطو معنا في العبر والأداء ، وكان الشعراء
كانوا يحرصون على أساليب موروثة فيها ، وهذا ما يعطينا إلى الاعتقاد
بأن القصيدة الجاهلية مرت بمراسم معينة ، كانت تنعكس فيها انماطها

وكانت "بني من أجل كنهة" ترى حقا العوا المبردة الى (١٥١)
ويشعر احسن شعرا ايسكم وكان الرماح يختلن المحاميا
وإذا أراد الفارس ان يترنل الحرب ويتخطى عن قومه اذا وجدهم
على حرجى ، حل وتر قومه ، وروع منان رمحه ، واعتزل بأهله
وكاربه ، كما فعل الحارث بن عباد عندما علم بمقتل كليب (١٥٢) .

وعكفا يهوى لنا الأدم الجاهلي تقاليد العروبة التي عاشها
الإنسان الجاهلي وانحة طيبة وتوسم لنا مجموعة القيم الحرة التي
سادت ذلك المجتمع ، وانتشرت بين أممنا ، فكانت طريقا يسلكه الأفراد
ومستورا يتداول به دون قانون مكتوب .

رؤيا

تيسرنا العيش

(١٥١) النبتة : الرفعة الخلق . العروة : الضميمة والإحوى من
الخلق ما فرجه لونه الى الضميمة .
(١٥٢) ابن الأثير : تاريخ الكامل ١/٢٢٠ .

الفصل الأول

اولية الشعر الجاهلي وقضية الانتحال

لم يعد خافيا على مؤرخي الادب أن الشعر الجاهلي ترجع بدايته الى خمسين ومئة عام أو مائتي عام قبل الاسلام . ولم تعد هذه النظرية تجد مجالها في الاوساط العلمية التي تستند على البحث العلمي الدقيق ، وانما الذي تؤكد هذه الاوساط ، وتستطيع أن تطمئن اليه ، هو ان الشعر الجاهلي لم يكن بدائيا الى هذه الدرجة ، بل هو شرة ناضجة لمراحل سابقة من تطور الفن الشعري عند قبائل شبه الجزيرة العربية خلال اجيال طويلة ، وان الالتماعات الابداعية الرائعة التي نلمسها في الشعر الجاهلي لدليل ساطع على رقي هذا الشعر ومستواه الفني الرفيع .

كما ان النمو الطبيعي للقصيدة العربية ، بأوزانها وموضوعاتها ومضامينها ، تستدعي أن تكون هذه القصيدة قد مرت بأطوار كثيرة ، تعثرت خلالها تعثرات صعبة ، ووقفت أمام عوائق صلبة حتى كتب لها هذا الاكتمال الشامل . لاننا لو رجعنا الى القوائد الطويلة في الادب الجاهلي، للاحظنا انها تأخذ نمطا معيناً في التعبير والاداء . وكان الشعراء كانوا يحرصون على أسلوب موروث فيها ، وهذا ما يدفعنا الى الاعتقاد بأن القصيدة الجاهلية مرت بمراحل معينة ، كانت تقتفي فيها انماطاً

تقليديه سائدة ، فهي بذلك تكون أبعد غورا في اعماق التاريخ ، وأكثر
ايغالا في ثناياه ، مما صوره لنا البعض ، ورسمته لنا اخيلة النقاد
القدامى •

فبلاد العرب لبثت مدة طويلة قوة من القوى العظمى على الارض،
لها أعمالها الفكرية الهائلة ، وان الحيوية الدفاعة التي كانت تهدر في
الجزيرة العربية ، كانت مهيدا حاسما للمشعل الحضاري الانساني الذي
حملته سواعد العرب ، فكانوا بحق من أكبر رواد الحضارة الانسانية ،
ومن أمجد صانعيها •

ان هذه الحيوية الخلافة ، انطلقت من العصر الجاهلي الذي طبع
الحضارة العربية بطابع خاص متميز ، وان دراسة هذا العصر تستوجب
الوقوف طويلا عند دقائقه ، واستقصاء جوانبه ، لانها كونت فيما بعد
الاعمدة الضخمة في بناء الحضارة العربية ، ولانها تحمل ذخرا وافرا من
القيم الانسانية الاصيلية ، وما الشعر الجاهلي الا صورة تلك القيم ،
والتعبير الصادق عن الحنين الاصيل نحو الحياة الفضلى ، فنظرة الانسان
الجاهلي الى واقع الحياة والموت ، كانت نظرة قوية عنيفة بالنظر لما كانت
تعطيه اياه حواسه وقواه الواعية من المعطيات المادية الحية ، فكان
يعيشها بكل حياته ، وقد تمثلت هذه النزعة في الشعر الجاهلي ، وكانت
آثار هذه النزعة عميقة وحاسمة في تاريخه • وان قصائد القرن السادس
الميلادي الجديرة بالاعجاب ، تنبئ بأنها ثمرة صناعة طويلة ، لان
الشعر ديوان العرب ، تعرض لايامهم وحروبهم ، وانسابهم ، ومفاخر
القبائل ، وعقائدهم وكل ما له صلة بهم قبل الاسلام •

ولكن الاحداث الخطيرة ، والاضطرابات الجسيمة التي مرت بها
جزيرة العرب ، جعلت الحياة السابقة التي مر بها الشعر العربي في اطواره
الاولى ، غير واضحة المعالم ، لانصراف الناس الى الحديث عن حاضرهم
الذي يعيشونه ، وايامهم التي يحيونها ، والتي شغلتهم بحروبها الكثيرة ،
وأيامها الدامية ، فكان الشعر صورة للمسائل الكبيرة التي علق

بأذهانهم ، وكانت القصائد التي وصلت إلينا قصائد نقر معين من الناس يحملون لقب الزعامة والبطولة •

أما الجوانب الأخرى للشعر العربي ، والقصائد التي لم تتحدث عن هذه المسائل ، فلم نعر عليها ، ولم تنتقل إلينا ، وبذلك انقطع حاضر القصيدة عن ماضيها ، فحسبها النقاد حديثة الميلاد ، لا يرجع مولدها إلى أكثر من قرن ونصف قرن ، أو قرنين قبل الإسلام •

إن شعر المهمل والشنفرى وتابطشرا لا يدل على الحدائث الأولية ، وإنما نجد التوافق والتكامل والانسجام قد توفر في شعر هذه الطائفة ، وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذا النوع من الشعر يمتد إلى فترة طويلة ، وإنها تدل على تاريخ عريض في هذا الفن •

والشعر الجاهلي يعتبر أصل الشعر الذي انبثق منه الشعر العربي في سائر عصوره ، لأنه أرسى عمود الشعر ، وثبت نظام القصيدة ، إلى جانب ذلك فهو يمثل وفرة من القيم الفنية الأصيلة ، ويشكل مصدرا من مصادر الدراسة ، ويصور لنا النفس العربية في فترة من أصعب فترات التاريخ ، يرسمها وهي تجتاز مراحل عسيرة من مراحل نموها وتطورها • ونحن نستطيع أن ندرك هذا التمثيل وتلك الصورة من ثنايا الآيات التي يجمع الثقات على صحتها ، ونستدل على حقائق الحياة في ذلك العصر من الأخبار القصيرة التي احاطت بهذه الفترة ، والأحاديث التي دارت حولها •

والشعر بكل تلك المراحل والأحوال صورة للحياة ، وتعبير صادق عنها ، لتوافر العناصر الحية فيه ، المرتبطة ارتباطا وثيقا بالأصالة والعراقة ، والمتطلعة إلى استكمال المقومات الأدبية الناضجة •

فصفة الجمال في الشعر الجاهلي تميزه عن غيره من الآداب ، والركة تتمثل بأظهر وجوهها في الوصف الحي لجمال المرأة ، وتبيين مزاياها ، وأصالة الإحساس بجمالها ، وما تتركه في النفس ، وما يعثه

خيالها ، تتجلى في استجلاء الجمال الطبيعي بكل اشكاله والوانه •
والقصيدة العربية ظلت محافظة على افتتاحيتها الغزلية بصورها
المختلفة ، واحاسيسها المتباينة • فوصف الرحيل والنزول ، والبكاء على
الطلل ، أصبحت سنة يتبعها الشعراء ، وسابقة يسلكونها في قصائدهم ،
وظلت حتى العصور المتأخرة ملازمة للشعر العربي ، متمكنة في نفوس
الشعراء •

وقد حفل الشعر الجاهلي بدراسات سليمة لحياة بعض الحيوانات،
كالخيل والابل والنعام وبقر الوحش ، فوصفوها بدقة ، واستقصوا
دقائقها ، لا سيما ما كان منها نافعا في حياتهم ، أما الشعر الحماسي فقد
استنفد معظم الشعر العربي ، وشغل حيزا كبيرا من ديوان العرب ،
لان الحياة الجاهلية كانت مليئة بالكفاح البطولي الشاق ، والنوازع
الحماسية الصعبة ، مما جعله يواجه مأساة الموت والنهاية بعناد •

ومن هذه النظرة انطلقت طلائع الفرسان الجاهليين ، وانبثقت
قيمهم الخيرة تملأ جوانب ذلك الادب العربي ، الذي صور لنا عظمة
تلك الحياة ، وما كتب الحماسة الا دليل على الاهتمام بهذا النوع من
الشعر • وقد دار الشعر الحماسي حول وصف المعارك ، ووصف اعمال
البطولة ، ثم وصف الخيول والابل ، وادوات الحرب ، فخطبوهها
مخاطبة الصديق ، وتجاوبوا معها تجاوبا ذاتيا عميقا ، فبرعوا بذلك
براعة فائقة ، وصوروها تصويرا حيا نابضا بالحياة ، مليئا بالهول ،
فالميامين فسيحة الارحاء ، واصوات الابطال تتعالى ، وقعقة السلاح
ترتفع ، وحممة الخيل تتردد ، واحياء العرب في لغط وضوضاء ،
يقوم فيها المنادون يدعون الى القتال ، لان الشرف قد ديس ، ولان
الدم يطلب الثأر ، أو لان المرعى قد اغتصب ، والمواشي سيقت •

وهكذا كان الجاهليون يصفون الابطال بالشددة والشجاعة
والبأس، ويصفونهم بقوة الساعد وصرامة الشكيمة، والعناد في الصدام ،

ورجاحة العقل في الكر والفر ، والحيلة في مواقف الشدة ، والعفة عند تقسيم الغنائم ، والبديهة في المآزق الضيق ، والكرم في كل حال .

أما المجالات الأخرى ، فكانت ميدانا فسيحا للتعبير عنها ، هذه المجالات التي لم يجد فيها الشعراء الفرسان ما كانوا يسعون إليه ، ويقدمون من أجله أعز ما يملكون ، فكانت الشكوى ، وكان الألم ، وكان التبرم بالحياة .

هذه الألوان مزجت شعرهم ، ولونت حياتهم ، فكانت فروسية مشوبة بالألم ، ممزوجة بالشكوى ، مليئة بالفخر والبطولة .

فالشعر الجاهلي يعتبر الأساس الذي نستطيع أن نقيم عليه جميع دراساتنا ، ونبني على مراحل الشعرية أحكامنا ، ولا يمكن الحكم على أي أثر فني من الآثار إلا باستقصاء الحلقات المتتابعة من الحياة الأدبية ، وتحليل القسم الذي يعتمد عليه ، أو الذي يكون قريبا من الواقع ، وبالتالي إعطاء النتائج المترتبة على كل تلك الدراسات .

وطبيعي أن يسود الاضطراب هذا الهيكل القديم ، وتدور حوله الأحاديث ، ويخوض الأدباء غمار جدال طويل ، في صحته أو عدم صحته ، وقد بينا في الصفحات الآتية جزءا مما دار حول ذلك .

قضية الانتحال

لقد ورثنا عن الفروسية الجاهلية شعرا حماسيا كثيرا ، تحدث فيه الفرسان عن معاركهم التي خاضوها ، وبطولاتهم التي أبدوها ، فصوروا البسالة والاقدام ، ورسوموا لنا الجوانب الحية التي عاشوها خلال المعركة ، وتغنوا بانتصاراتهم على خصومهم ، ويمثل هذا الشعر القسم الاكبر مما وصل الينا من الشعر الجاهلي . ولا غرابة في ذلك ، فالحياة الجاهلية - كما اسلفنا في الفصول السابقة - كانت حربا مستمرة ، وقتالا دائما ، لا يتذوق العربي فيه طعم الاستقرار الا شهرا معدودة . وحتى هذه الاشهر كانت لا تسلم من الحرب في بعض الاحيان .

ان هذا الشعر الذي وصل الينا يصور الفضائل الجاهلية التي تعارف عليها القوم ، واصبحت طبيعة من حياتهم ، واخص هذه الفضائل الفروسية . لانها تصوير دقيق لما يعاينه الفارس ساعة المعركة ، وتعبير تجريبي لواقعة يخوضها فيبسط فيها ارق مشاعره ، واعنف اعماله ، مستقصيا كل حركة من حركات جواده الذي اصبح بضعة من نفسه ، او متتبعا كل امارة من امارات اعدائه ، او متحدثا عن نفسه بكل ما يدعو الى الفخر والاعتزاز .

لذا أصبح الفخر والحماسة والهجاء والثناء من أبرز مواضيع شعر الفروسية .

على أن معظم المصنفات التي ألفت في تراجم الشعر وطبقاتهم ، كانت تؤلف على أساس شهرة هؤلاء المترجم لهم ، ومدى معرفتهم بالنسبة لاهل الادب ، او من الذين يحتج بشعرهم لاثبات قاعدة نحوية ، او لفظة غريبة ، أو لغة شاذة . وقد حملت على هذه المجاميع أحاديث شتى ، وقصائد موضوعة ، واييات لم يعرف قائلوها .

أما أولئك المغمورون الذين طمرت أسماؤهم ، وخفيت أخبارهم ، فلم يجدوا في هذه المجموع مجالا ، أو إشارة لادبهم فطويت صفحاتهم ، وكتب عليهم النسيان . إلا أسماء تتردد في مظان الكتب ، مذيلة بأبيات من الشعر لا تميز صاحبها ، ولا توضح شخصيته . وقد أحصيت في جزء واحد من كتاب ما يزيد على عشرين شاعرا ذيلت أسماؤهم بعبارة لم أعرفه ، أو لم أجد له ترجمة ، أو لم أعرف له ترجمة . ولا ادري كيف يكون ذلك مع ان محقق الكتاب من أعلام التحقيق في العالم العربي ، ومن أكثرهم ادراكا وعلمنا للقضايا الادبية العربية القديمة (١) .

هذه حقيقة ثابتة لا يمكن النقاش فيها ، فما وصل إلينا من الشعر الجاهلي لا يتكافأ بأي حال من الاحوال مع كثرة الشعراء الجاهليين ، ومع الفترة الزمنية التي عاشوها ، ومرد ذلك يعود الى ضياع القسم الاكبر من هذا التراث واندثاره .

وقد أدرك القدماء هذه الحقيقة ، فقال ابن سلام نقلا عن أبي عمرو بن العلاء : ما انتهى اليكم مما قالت العرب الاقله ، ولو جاءكم وافرا ، لجاءكم علم وشعر كثير (٢) .

ومن هذا نستطيع ان نقول : ان المشكلة التي تواجه الباحث في هذه الفترة هي أين يجد شعر هذه الفترة ؟ واين المصادر التي يمكن الاعتماد عليها لدراستها ؟ واحسب ذلك من المسائل الاولى التي تقف حائلا امام الباحثين ، وتكاد تصرف البعض منهم عن هذه الدراسة .

(١) الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش واخبارها ، شرح وتحقيق الاستاذ محمود محمد شاكر الجزء الاول . تنظر الصفحات : ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٩٤ ، ١٩٦ .

(٢) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ص ١٧ . مطبعة السعادة .

أما الملاحظة الثانية التي تقف في هذا المجال ، وتكاد تسد على الباحث الطريق ، فهي نظرية الشك في الادب الجاهلي ، وان تكن مسألة الشك ليست من المسائل الجديدة في عالم الادب ، وانما تمتد جذورها الى اصول عميقة ، ولكنها لم تصل الى ما وصلت اليه في عصرنا الحاضر .

ولا نريد ان نعيد المناقشات في هذه المسألة ، والجدل الطويل الذي جرى بين أنصار الشك من جهة ، وبين المدافعين عن الادب من جهة أخرى ، لان الحديث في ذلك اصبح ضربا من التكرار . ولكننا سنكتفي ببعض الاشارات بقدر ما يتعلق الامر بهذه الدراسة ، التي تعتمد على الشعر الجاهلي اساسا لبحثها ، ومحورا تدور عليه ، ثم نرجع الى مصادر الشعر الجاهلي لتحدث عن أهميتها بالنسبة للبحث ، وقيمتها التاريخية ، أدلة تدفع عن الادب فرية ابتلى بها ، وتهمة حملت عليه حملا .

فالانتحال من الظواهر الادبية العامة التي تعرضت لها كثير من الآداب ، وكما عرف الادب الجاهلي هذه العملية ، فقد عرفتها العصور الاخرى ، وكما عانى الادب هذه الظاهرة ، فقد عانتها العلوم الاخرى . كالحديث ، والانساب ، والاخبار ، والتاريخ .

ومشكلة الانتحال هذه بحثت بحثا كثيرا، وعالجها علماء كثيرون، والواقع انها مشكلة عسيرة ودقيقة . على أن بحثها قد بولغ فيه، وحملت النصوص اكثر مما تتحمل ، واصبح الخبر الواحد قاعدة عامة ، قيست عليها كثير من القواعد . وغدت الحالة الفردية نظرية شاملة ، عمت الادب كله .

لقد عرف القدماء ذلك ، وميزوا بين ما يقوله الانسان وما يدعيه . ففي الاخبار ، أن عروة بن الزبير وعبيد الله بن عتبة بن مسعود دخلا على عمر بن عبدالعزيز وهو يومئذ أمير المدينة ، فجرى بينهم الحديث،

حتى قال عروة في شيء جرى من ذكر عائشة وابن الزبير : سمعت
عائشة تقول ما أحببت أحدا حُبِّي عبد الله بن الزبير • لا أعني رسول
الله (ص) ولا أبوي ، فقال له عمر : انكم لتتحلون عائشة لابن الزبير
اتحل من لا يرى لاحد معه فيها نصيبا فاستعاده لها •

وقال ابن هرمة :

ولم أتحل الاشعار فيها ولم تعجزني المدح الجياد^(٣)

على ان الرواة والعلماء قد تنبهوا الى أمر النحل في روايتهم ، فقد
ذكر أبو عمرو بن العلاء ، أن القصيدة المنسوبة الى امرئ القيس ،
والتي مطلعها :

لا وأبيك ابنة العامر ي لا يدعي القوم أي أفر

هي لرجل من أولاد النمر بن قاسط ، يقال له ربيعة بن جشم^(٤) ،
كما ان بعض الرواة قد أنكروا ما اضيف الى قصيدة الحارث بن عباد
« قربا مربط النعامة مني » ولم يصححوا منها غير أبيات ثلاثة فقط^(٥) ،
ويدفع أكثر الرواة أن يكون مطلع معلقة عنتره :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم^(٦)

ومما يذكر ان الاصمعي ، قال : أقمت بالمدينة زمانا ما رأيت بها
قصيدة صحيحة الا مصحفة أو مصنوعة^(٧) •

ومن بين هؤلاء العلماء يبرز ابن سلام الجمحي ، الذي يعد أكثرهم
اهتماما بهذه الناحية ، ويعتبر كتابه من أول الكتب التي أثارَت مشكلة
الاتتحال في الشعر الجاهلي ، وقد نص ابن سلام على ان في الشعر

(٣) لسان العرب مادة نحل •

(٤) البغدادي : خزانة الادب ٣٣٧/١ •

(٥) الأصفهاني : الاغانى ٤٨/٤٧/٥ •

(٦) نفس المصدر : ٢٢٢/٩ دار الكتب •

(٧) السيوطي : المزهرة ٤١٣/٢ •

المسموع مفتعلا موضوعا كثيرا لا خير فيه^(٨) .

كما طعن في رواية محمد بن اسحاق ، وما صنعه في السيرة ، فقال عنه : انه « ممن أفسد الشعر وهجته ، وحمل كل غثاء منه ، فقبل الناس عنه الاشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، أوتى به فأحملة ، ولم يكن ذلك عذرا ، فكتب في السير أشعار الرجال ، الذين لم يقولوا شعرا قط ، واشعار النساء فضلا عن الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ، فكتب لهم اشعارا كثيرة ، وليس بشعر ، انما هو كلام مؤلف معقود بقواف^(٩) .

وابن سلام نفسه يحتاج محمد بن اسحاق فيقول : « أفلا يرجع الى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ آلاف من السنين ؟^(١٠) »

ووصف حمادا الراوية بأنه ينحل شعر الرجل غيره ، ويزيد في الاشعار^(١١) .

وقد شك ابن سلام في شعر كثير من الشعراء ، واعتبر كثيرا مما روي لهم محمولا عليهم ، فشك في شعر عبيد بن الابرص . وقال عن شعره : انه مضطرب ذاهب ، لا اعرف له الا قوله^(١٢) :

اقصر من أهله ملحوب فالقطيبات فالذنوب

وقال عن عدى بن زيد انه كان يسكن الحيرة ويراکز الريف^(١٣) فلان لسانه ، وسهل منطقته فحمل عليه شيء كثير ، وتخليصه شديد . واضطرب فيه خلف ، وخالط فيه المفضل^(١٤) . وقال عن حسان : بأنه

(٨) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ص ٦ طبع السعادة .

(٩) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ص ٧ طبع السعادة .

(١٠) نفس المصدر ص ٨ .

(١١) نفس المصدر ص ٢٤ .

(١٢) نفس المصدر ص ٥٠ .

(١٣) ولعلها مراكز الريف .

(١٤) نفس المصدر ص ٥١ .

حمل عليه ما لم يحمل على أحد (١٥) .

فمن هذا نستطيع أن نقول ان القدماء قد ادركوا هذه الظاهرة ،
وميزوا مواضعها ، وعرفوا الاماكن التي يحتمل ان يتسرب اليها الشك .
مستندين على روايات موثوق بها ، أو نظرات يصحبها ذوق سليم .
كما ان شكهم في قصيدة او قصائد من شعر شاعر ، لا يجعلونه وسيلة
الى انكار كل ما يضاف اليه ، أو يذهبون به الى ان هذا الشعر الذي
يعزى الى الجاهليين ليس من الجاهليين في شيء .

وأهل العلم يعرفون الشعر الصحيح ، نتيجة كثرة المدارس . وقد
استشهد بقسم كبير منه على كثير من القضايا النحوية ، واستدل بهذه
الشواهد على قضايا كبيرة . والمعروف في ذلك ان اوائل النحاة قد
عاشوا في اواسط القرن الثاني الهجري وان الخليل بن احمد نفسه قد
استدل بأبيات من الشعر الجاهلي في اثبات العروض ، فاذا كان
الوضع واقعا في نهاية العصر الاموي ، كان معنى ذلك انه قد وقع في
عصر واضعي النحو وجامعي اللغة ، ولا يعقل ذلك . لان واضعي النحو
لا يمكن ان ينطلي عليهم مثل هذا التزوير . واذا كان الوضع قد تأخر
عن هذا التاريخ ، كان الحكم على النحو والبلاغة والعروض وكل
العلوم الاخرى غير واقع لانها لم تخلق .

والحقيقة الواضحة في هذا الموضوع ، هي ان الشعر الجاهلي لم
يكن مجموعة من القوالب الجامدة التي نظمت في وقت التلهية ، ولا
صناعة مفتعلة صيغت من قبل جماعة أخذت على عاتقها تزييف الشعر
واتحاله لعوامل آنية ، وانما هو أكبر من ذلك كله ، لانه يمثل القيم
الحقيقية التي تميزت بها حياة الامة ، والمثل السامية التي ضحت من
أجلها المجتمعات ، فكان النموذج الحي لتلك القيم والمثل ، والصورة
الصحيحة لهذه الحياة الشاملة بكل ما تتضمن من جوانب .

(١٥) نفس المصدر ص ٨٤ .

ان مفهوم الشعر الجاهلي يتضح في تلك المجاميع التي اتفق المؤرخون على صحتها ، وأجمع النقاد على صدقها ، وليس في تلك المجاميع الهزيلة التي استبعدها النقاد من مجموعة الشعر ، ودلوا على عدم صحتها بمعاييرهم العلمية ، وهو منتهى لسكل من وهب الفهم الصحيح ، والتفكير العلمي البناء ، والقابلية الحقة على تمييزه .

ثم جاء المستشرقون فحملوا نظرية الشك في الشعر الجاهلي أكثر مما تحتمل ، وروجوا لها بكل ما يستطيعون من وسائل ، وابدوا في ذلك آراء شتى ، ولكن هذه الآراء جميعها تتلخص في أنه لا يمكن التسليم بصحة الشعر الجاهلي بصورة عامة ، وانما يمكن التسليم بأن عددا قليلا من هذه القصائد يمكن التسليم بصحتها . ومن هؤلاء نولدكه وآلورد وموير وماسيه وبروكلمان وبلاشير^(١٦) .

وكان مرجليوث على رأس هذه الحملة ، وأكبر من آثاروا هذه القضية في مقالاته وبحوثه التي نشرها ، وقد اعتمد على نفي الرواية التي حفظت لنا الشعر الجاهلي ، وسلم بوسيلة أخرى هي الكتابة ، ثم عاد الى نفي الكتابة في العصر الجاهلي ليؤكد انه نظم في مرحلة زمنية تالية للقرآن ، ثم يقف ازاء الرواة المشكوك في صحة روايتهم ليزعم ان الوضع في هذا الشعر كان مستمرا ، ثم يتعرض الى نقطة اخرى وهي اللغة فيقول : ان اللغة ذات وحدة ظاهرة ، وهي نفس لغة القرآن . ويقول : ان هذا الشعر لو كان صحيحا لمثل لنا لهجات القبائل المتعددة في الجاهلية ، وهذا نفس المذهب الذي سلكه الدكتور طه حسين أيضا في نفيه للشعر الجاهلي ، وقد رد معظم الذين تعرضوا للرد على هذه النظرية بما يكفي ، ويتلخص ردهم في هذه النقطة ، بأن لغة القرآن الفصحى كانت سائدة في الجاهلية ، وان الشعراء كانوا ينظمون بها ، وانها كانت لهجة قريش ، ولسيادة هذه اللغة أسباب تتعلق بمركز

(١٦) شوقي ضيف : العصر الجاهلي ص ١٦٦ .

قريش السياسي والتجاري والديني .. وهذا ما يمثله العصر الحاضر
تماما . فالشاعر ينظم باللغة الفصحى مهما كانت لهجته التي يتكلمها .
ومتى ما ادركنا ذلك فليست هناك مشكلة يمكن ان نبني عليها حكما
نريده نحن ولا يريده المنطق العلمي .

وقد رد ليال على دعوة مرجليوث هذه ردا منطقياً سليماً وقال :
« ان الاستاذ مرغليوث يذهب مذهبا يدعو الى الدهشة والعجب ،
وهو قوله ان الشعر القديم هو في معظمه موضوع منحول صيغ على
نمط القرآن » .

ولا نريد بعد هذا ان نتطرق الى مناقشة الادلة التي استند اليها
هذا المستشرق في نظريته المذكورة (١٧) او نتحدث عن آرائه في هذه
الفترة الادبية من تاريخ العرب ، لان ذلك اصبح من بديهيات الادب .
وجاء الدكتور طه حسين فشك في الشعر الجاهلي ، وأظهر رأيه
كنظرية جديدة في عالم الادب، وبالغ فيها حتى نفى وجود بعض الشعراء،
لا من جهة شاعريتهم فحسب ، بل من جهة كيانهم ايضا .

فالدكتور طه حسين أراد ان يقلد مرجليوث أو غيره من الاوربيين
والمستشرقين ، وهو لم يتبع طريقة القدماء في تقدهم للشعر ، وانما
تتلخص طريقته في أن الشعر الجاهلي كذب . ويجب أن يرد كله ويحكم
عليه بالكذب والصنعة . وهي طريقة لو اتبعت فيما وصل اليها من
الاخبار والروايات لانتقطعت الصلة بيننا وبين اسلافنا .

وقد لخص الدكتور آراءه في كتابه في الادب الجاهلي ، فأنكر
ما روي من الشعر الجاهلي ، لانه لا يمثل الحياة الدينية والعقلية
للعرب الجاهليين .

كما اعتمد أيضا على ان هذا الشعر لا يمثل اللغة العربية في العصر

(١٧) مجلة الجمعية الملكية الاسيوية ١٩٢٥ .

الذي يزعم الرواة انه نظم فيه ، كما لا يصح نسبته الى الجاهلية •
ولكنه لم يوضح لنا الاختلافات الجوهرية بين لغة الشعر ولغة الوقت
الذي قيل فيه • وحاول ان يثبت الخلاف بين الحميرية والعدنانية بما
نقله محرفا عن أبي عمرو بن العلاء^(١٨) • لان المنقول عن أبي عمرو بن
العلاء هو ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ، ولا عربيتهم بعريتنا ،
مخالف لما بنى عليه حكمه ، لان الخلاف لا يخرجهما عن كونهما
لهجتين للغة واحدة •

والدكتور في كل ذلك يذكر الواقعة ويلحق بها ألف واقعة ،
ويذكر بضعة أشخاص ويجعلهم مثال الامة ، وعلى هذه الطريقة بنى
حكمه واعتمد كتابه •

وقد حاول التدليل على رأيه بكل ما يستطيع من السبل ، حتى لو
أدى ذلك الى تغيير عبارات المتقدمين من المؤرخين ليثبت رأيا يريده ،
ويؤكد حكما حاول اثباته • فمن ذلك ما نقله عن ابن سلام من انه قال :
« ان قريشا كانت أقل العرب شعرا في الجاهلية ، فاضطرها ذلك الى
أن تكون أكثر العرب اتحالا للشعر في الاسلام^(١٩) • ومع ان نص ابن
سلام هو « اخبرني بعض أهل العلم من اهل المدينة ان قدامة بن موسى
ابن عمر بن قدامة بن مطعون الجمحي قالها ونحلها أبا سفيان ، وقريش
تزيد في اشعارها تريد بذلك الانصار والرد على حسان^(٢٠) •

وخلف الاحمر الذي اتخذه الدكتور دليلا آخر من أدلته التي
أستند اليها ، معتمدا على جزء من رواية ابن سلام فيه ، فقد قال ابن
سلام في وصفه خلفا : « اجمع اصحابنا انه كان أفرس الناس بيت شعر
وأصدق لسانا ، كنا لا نبالي اذا اخذنا عنه خيرا او انشدنا شعرا ان

(١٨) طه حسين : في الادب الجاهلي ص ٨٠ •

(١٩) نفس المصدر ص ١٣٢ •

(٢٠) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ص ٦٢ طبع دار المعارف

لا نسمعه من صاحبه^(٢١) » • هذه عبارة ابن سلام • يأتي الدكتور طه حسين فيقول : « وأما خلف فكلام الناس فيه في كذبه كثير ، وابن سلام ينبئنا بأنه كان أفرس الناس ببيت الشعر^(٢٢) • فيجوز لنفسه هذا الاقتطاع ، ويبنى عليه أحكامه ، والجملة بهذا الشكل تحتل أوجهها عدة ، منها القدرة على نقد الشعر ونميينه ، ومنها القدرة على الاختلاق والوضع • • الا ان بقية نص ابن سلام ، يحدد لنا المعنى المطلوب الذي اراده ، وهو عكس ما اراده الدكتور ، على أن معنى (الفرس) صار ذا رأي وعلم بالامور والفراس العالم •

ثم ينتقل الدكتور الى رواية آخر هو أبو عمرو الشيباني فيقول فيه : « وهناك رواية كوفي لم يكن أقل حظا من صاحبيه هذين في الكذب والاتحال^(٢٣) • وهكذا يستمر الدكتور في بناء احكامه ويسوق حججه التي يشيد عليها آراءه •

وفي حديثه عن اسباب اتحال الشعر من حيث الرواة تطرق الى حماد ، وذكر في ذلك رواية « ان المهدي - الخليفة العباسي - أمر حاجبه فأعلن في الناس انه يبطل رواية حماد^(٢٤) • أما نص الرواية التي رواها صاحب الاغاثي فهي :

« انهم كانوا في دار امير المؤمنين المهدي (بعيساباذ) ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها واشعارها ولغاتها ، اذ خرج بعض اصحاب الحاجب ، فدعا بالمفضل الضبي الراوية فدخل ، فمكث مليا ثم خرج الينا ومعه حماد والمفضل جميعا وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم ، وفي وجه المفضل السرور والنشاط ، خرج حسين الخادم معهما ، فقال يا معشر من حضر من اهل العلم : ان أمير

(٢١) نفس المصدر ص ٢١ •

(٢٢) طه حسين : في الادب الجاهلي ص ١٧٨ •

(٢٣) نفس المصدر ص ١٧٩ •

المؤمنين يُعلمكم انه قد وصل حمادا الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وابطل روايته لزيادته في اشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين ألفا لصدقه وصحة روايته ، فمن اراد ان يسمع شعرا جيدا محدثا فليسمع حمادا ، ومن اراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل (٢٥) .

وقبل أن نتطرق الى مناقشة هذا النص ، فالحادثة يداخلها الشك لامور كثيرة ، منها ان القصر شيد بعد تولي المهدي سنة ١٥٨ هجرية ، فقد ذكر في تاريخ الطبري ان المهدي بنى قصره سنة ١٦٤ وسماه قصر السلامة ، والمناقشة بين المفضل وحماد حدثت قبل ذلك ، لان حمادا كان في عداد الاموات عند تولي المهدي الخلافة . فابن خلكان يذكر ان وفاة حماد كانت في سنة ١٥٥ ، وابن النديم يذكر انها كانت في سنة ١٥٦ ، والمهدي تقلد الخلافة سنة ١٥٨ ، فالى أي مدى يمكن تصديق هذه الاخبار .

وإذا سلمنا جدلا بصحة هذه المناقشة فلم اعتبر الدكتور هذا الاعلان دليلا على تجريح حماد ولم يعتبره دليلا على تصديق المفضل الضبي . وهو من خيرة اهل الكوفة ، وانه صاحب المفضليات التي تعتبر من روائع الشعر الجاهلي ، والتي تضم مائة وثلاثين قصيدة تشتمل على الفين وستمائة واربعة وستين بيتا ، وان المفضل نفسه كان يتهم حمادا ويشك في روايته .

أما بالنسبة للرواة فقد ادعى الدكتور ان الرواة انفسهم نظموا الشعر وحملوه على بعض الشعراء حملا، ولا يعقل ان انسانا يقضي عمره، ويهدر نبوغه في نظم شعر بليغ جيد ، ثم ينسبه الى غيره من الموتى أو الاحياء . وكان اولي له ان ينسبه لنفسه ليفخر به ، بل اية فائدة

(٢٤) طه حسين : في الادب الجاهلي ص ٢١٠ .

(٢٥) الاغانى : دار الكتب ٩٠/٦ .

تعود على رجل يجهد مواهبه في الصياغة والنظم ، ثم يتخلى عن ثمرات فكره باختياره . . .

ثم ان الرواة المشهورين الذين يسند اليهم هذا العمل لم يرد عنهم انهم نظموا الشعر ، وان مجموع ما نسب اليهم لم يتجاوز العشرين بيتا ، ولم تصل هذه الايات الى درجة الشعر الجيد .

ثم ينتقل الدكتور الى الكتاب الرابع فيتحدث فيه عن الشعر والشعراء ، فيبدأ بامرئ القيس ويقول عن قصائده انها محدثة ، انتحلت حين تنافست القبائل العربية ، وقد أحس القدماء بعض هذا ، فصاحب الاغاني يحدثنا ان القصيدة القافية التي تضاف الى امرئ القيس على انه قالها يمدح بها السموأل حين لجأ اليه منحولة ، نحلها دارم بن عقال وهو من ولد السموأل (٢٦) .

وليت الدكتور نقل عبارة أبي الفرج صحيحة ، فالراوية كما رواها صاحب الاغاني بعد ان ذكر أول بيت من هذه القصيدة قال : « وهي قصيدة طويلة اظنها منحولة ، لانها لا تشاكل كلام امرئ القيس ، والتوليد فيها بيّن ، وما دونها في ديوانه أحد من الثقات ، واحسبها مما صنعه دارم ، لانه من ولد السموأل ، أو مما صنعه من روى عنه ذلك فلم تكتب هنا (٢٧) .

والفرق واضح بين الروائتين ، فرواية أبي الفرج تشك في القصيدة لانها لم تدون في ديوان امرئ القيس ، وانها لا تشاكل كلامه ، وان التوليد فيها بيّن . وفرض انها من وضع دارم بن عقال لانه من ولد السموأل ، وهو لم يجزم بذلك بل تردد بين دارم او شخص آخر ممن روى عنه .

لقد روي شعر امرئ القيس في القرن الثاني الهجري وكبار

(٢٦) طه حسين في الادب الجاهلي ص ٢١٠ .

(٢٧) الاغاني : دار الكتب ٩٧/٩ .

الرواة أحياء ، كالمفضل والاصمعي وابي عمرو بن العلاء فلم يطعنوا في جاهليته ، ولم يشكوا في نسبه اليه ، مع العلم ان هؤلاء الاعلام لم يكونوا من السداجة وعدم التمييز بالدرجة التي تجعلهم يسكتون عن هذا الشعر ، ويسكتون عن نسبه الى امريء القيس . اذا تصورنا ذلك حقا حكمنا على كل ما وصل الينا بالتزوير ، وحكمنا على كبار العلماء والثقات بالكذب وعدم الفهم ، وهذا ما لا تصدقه الروايات ولا يؤمن به البحث العلمي .

فنحن لا نرتاب من ابطالهم لامية الشنفرى بشكهم فيها ، وتأكيدهم على ان ناظمها هو خلف الأحمر، وشكهم في غيرها من القصائد التي اظهروا الارتياب في قبولها ، ولكن ذلك لا يعني ان قمينا نسبة أبيات الى شاعر يعني عدم وجود ذلك الشاعر ، لان الاستناد على امثال هذه الحجج لا يكون منطقيا ولا مقبولا . ومن هذا نستنتج ان كثيرا من المقدمات التي استعان بها الدكتور طه حسين على نفي الشعر الجاهلي لا يمكن الاعتماد عليها ، لان الفروض التي فرضها في اسباب اصطناع هذا الشعر ونسبه اليهم ، فروض لا يؤيدها البحث العلمي او المنطق التاريخي .

والحق - كما يقول الدكتور شوقي ضيف - ان الشعر الجاهلي فيه موضوع كثير ، غير ان ذلك لم يكن غائبا عن القدماء ، فقد عرضه على نقد شديد ، تناولوا به رواته من جهة ، وصيغته وألفاظه من جهة ثانية، أو بعبارة اخرى عرضه على نقد داخلي وخارجي دقيق، ومعنى ذلك انهم احاطوه بسياج محكم من التحري والتثبت ، فكان ينبغي ألا يبالغ المحدثون من امثال مرجليوث وطه حسين في الشك فيه مبالغة تنتهي الى رفضه، انما نشك حقا فيما يشك فيه القدماء ونرفضه، أما ما وثقوه ورواه اثباتهم من مثل ابي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي والاصمعي وابي زيد ، فحري ان تقبله ، ما داموا قد اجمعوا على صحته ، ومع ذلك ينبغي ان نخضعه للامتحان ، وان نرفض بعض

الفصل الثاني

مصادر شعر الفروسية

لابد لنا ونحن نبحت مصادر الادب الجاهلي التي يمكن الاعتماد عليها ، أن نمر على موضوع الرواية التي انتقل بواسطتها هذا الادب ، محاولين تمييز النصوص التي شك القدماء في روايتها ، والنصوص التي وثقوها واعتبروها صحيحة . فرواية الشعر في العصر الجاهلي كانت الوسيلة المتعارف عليها لنشره وذيوعه ، لان العربي الذي يريد أن ينظم الشعر يلزمه راو يروي شعره ، وهذه الرواية تنقل الى شخص آخر ، الى أن تتسلسل الرواية في حلقات تأخذ كل حلقة عن سابقتها .

ولعل في ذلك ما يدل على ان رواة كثيرين حملوا الشعر الجاهلي الى عصر التدوين ، ولا بد أن يشوبه شيء من الالتحال والوضع ، وهذا ما تحدث عنه القدماء وذكروه في كتبهم . فالرواية الشفوية وحدها هي الطريقة الاساسية التي وصل بها الشعر الجاهلي الى عصر التدوين .

والذي يتضح لنا من ذلك هو أن رواية الشعر الجاهلي أحيطت بكثير من التحقيق ، فعلى الرغم من وجود الرواة المهتمين ، فإن ذلك لم يمنع الرواة الثقات من الوقوف لهم بالمرصاد ، ليبينوا صحاحه من زائفه ، ويصفوه من الشوائب الكثيرة التي علفت به .

فنحن لا ننكر ان في بعض الشعر الجاهلي اضطرابا ، وذلك ناشيء

من طبيعة روايته • فقد كان الرواة يعتمدون على حافظتهم ، فمن البديهي أن ينشأ من ذلك تقديم بيت على آخر ، أو نقص أو أن ينسبوا بعض الأشعار القديمة الى شعراء الجاهلية الاولى • كما يمكن أن توضع أشعار قديمة منحولة على مشاهير الابطال لتمجيد بعض القبائل ، ولكن ذلك لم يلعب الا دورا ثانويا في قضية الشعر الجاهلي ، لان الشعر الذي وصل الينا يحمل في ثناياه كثيرا من الشعر الاصيل الثابت الموثوق به • وقد اعترف جماعة من المستشرقين بذلك ، فبروكلمان يقول : ان ما نعرفه من الشعر المستند الى مصادر صحيحة نسبيا لا يمتد الى ما قبل المائة السابقة على مولد النبي (ص) (١) ، وبروكلمان يؤكد ولو بصورة نسبية صحة هذا الشعر على أن رأيه هذا لم يكن جديدا في عالم الادب لان الجاحظ قد تطرق الى هذا الحديث في كتاب الحيوان (٢) •

ويزعم بلاشير ان الاصول الصحيحة للشعر الجاهلي اختلفت بالماذج والقصائد الموضوعية اختلاطا يتعذر معه أن يميز ، ونحن نؤيد بلاشير فيما ذهب اليه ، فتمييزه يتعذر على بلاشير وأمثاله في عصرنا هذا ، ولكن هل يتعذر ذلك على الاصمعي والضبي وأبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وغيرهم ممن خبروا اللغة، وعرفوا دقائقها ، واستقصوا غريبها • وقد ادرك القدماء هذه الحقيقة ، وعرفوا الرواة الثقات والمجرحين ، فصدقوا الاصمعي والضبي ، وطعنوا في حماد وخلف وابن الكلبي ، وتمكنوا من التمييز بين ما هو منحول وما هو غير منحول •

لقد توزع الشعر الجاهلي على هيئة منتخبات عامة ، ودواوين الشعراء ، ودواوين القبائل ، ومجموعات لاغراض شعرية معينة ، وأول هذه المجموعات المعلقة • وقد ذكر ابن عبد ربه وابن رشيق وابن خلدون وغيرهم انه قد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت الى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في

(١) بروكلمان : تاريخ الادب العربي القسم الاول ص ٥٥ •

(٢) الجاحظ : الحيوان ١/٣٦-٣٧ •

القباطي المدرجة وعلقتها في أستار الكعبة ، ومنه يقال مذهبة امريء القيس ومذهبة زهير والمذهبات السبع • وقد يقال لها المعلقة • وقيل ان وجه التسمية بذلك لعلوقها باذهان صغارهم قبل كبارهم ، ومرؤسيهم قبل رؤسائهم ، عناية بحفظها والاحتفاظ بها • وقد أنكر أمر تعليقها أبو جعفر النحاس^(٣) •

أما المحدثون فقد ذهبوا في تفسيرها مذاهب اخرى ، فقال نولدكه : ان مؤرخي العرب في القرون الوسطى يستعملون كلمة بمعنى العقد ، أي السموط عنوانا لكتبهم ، وهذا ما جرى للمعلقة التي سميت بالسموط^(٤) • أما ليال فقال ان المعلقة مشتقة من العلق ، وهو ما يضمن به من الاشياء والحلي والثياب^(٥) •

وكما اختلفوا في وجه التسمية اختلفوا في عددها واصحابها ، فهي عند حماد سبع^(٦) ، معلقة امريء القيس وزهير وطره ولييد بن ربيعة وعمرو بن كلثوم وعترة بن شداد والحارث بن حلزة اليشكري ، وهي عند المفضل سبع أيضا غير انه اسقط اثنتين من رواية حماد وهما معلقتا الحارث بن حلزة وعترة واثبت مكانهما معلقة الاعشى والنابعة ويضيف اليها أبو زكريا التبريزي في كتابه القوائد العشر الطوال معلقة لعبيد بن الابرص فيجعلها عشرا • وواضح ان قصائد امريء القيس وزهير ولييد وطره وعمرو بن كلثوم متفق عليها من الرواة جميعا •

ولعل ذلك يؤلف الجوهر الحقيقي في هذه المجموعة التي اضيفت اليها فيما بعد قصائد اخرى بدوافع مختلفة •

(٣) ياقوت : معجم الادباء ١٤٠/٤

(٤) بلاشير : تاريخ الادب العربي ص ١٥٦ •

(٥) نفس المصدر ص ١٥٦ •

(٦) ياقوت : معجم الادباء ١٤٠/٤ •

وقد نالت المعلقات اهتماما كبيرا من قبل مؤرخي الادب ، فاقبلوا على شرحها ودراستها واستخلاص الحياة الجاهلية من ثنايا آياتها ، فكانت زادا لمن أراد التزود ، ومجالا فسيحا لمن اراد البحث والاستقصاء .

أما المجموعة الثانية من المنتخبات فهي « المفضليات » ، وهي تعتبر من أقدم ما وصل الينا من اختيارات الشعر العربي ، لان الرواة قبلها كانوا يضعون أشعار القبائل ويضمون أشتات شعر المنتمين الى قبيلة واحدة ، ويجعلون كلا منها كتابا ، ولا نعلم أحدا قبل المفضل الضبي اقدم على ان يصنع للناس اختيارا من الشعر كهذا ، وقد نسبت الى جامعها المفضل الضبي رأس علماء الكوفة في عصره . ويذهب بروكلمان في تسميتها مذهبا آخر فيقول : انها سميت في الاصل كتاب الاختيارات ، ولكنها سميت بعد ذلك بالمفضليات نسبة الى جامعها (٧) .

وعدد المفضليات مائة وست وعشرون قصيدة ، أضيف اليها أربع قصائد اخرى وجدت في بعض النسخ ، وقد اضطربت روايتها بعض الشيء ، قال ابن النديم : « وهي مائة وثمان وعشرون قصيدة وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه والصحيحة التي رواها عنه ابن الاعرابي (٨) ، وفي مقدمتها سند كامل يرفعها الى ابن الاعرابي تلميذ المفضل (٩) ، وأحد أئمة اللغة المشار اليهم في معرفتها ، ولم يشرح المفضل هذه المختارات ، وانما شرحها أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الانباري المتوفى سنة ٣٠٥ ، وأعقبه في ذلك أبو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحوي المصري ، المعروف بابن النحاس والمتوفى سنة ٣٣٨ ، فأبو علي أحمد بن محمد المرزوقي

(٧) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ٧٣/١

(٨) ابن النديم : الفهرست ص ٦٨

(٩) المفضل الضبي : المفضليات ١١/١

المتوفى سنة ٤٢١ ، فأبو زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي
المتوفى سنة ٥٠٢ ، ثم أبو الفضل احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم
الميداني صاحب مجمع الامثال المتوفى سنة ٥١٨ (١٠) .

والذي لا شك فيه هو ان المفضل لم يخرج كل هذه القصائد التي
شرحها الانباري ، وان كثيرا منها ادخل في أثنائها من بعده ، ويعتقد
البعض (١١) ان اصلها سبعون، وهي التي اختارها ابراهيم بن عبدالله بن
حسن ، والتي يقول المفضل فيها « صدرتُ بها اختيار الشعراء ، ثم
أتمت عليها باقي الكتاب » وانه زادها بعد عشرين ، حتى تقدم اليه
المنصور في اختيار قصائد للمهدي ، فصارت ثمانين . وان هذه الثمانين
هي أصل الكتاب عن المفضل ، ثم قرئت على الاصمعي فأقرها وزاد
قصائد ، وزاد في بعض قصائدها أبياتا، واختار قصائد آخر ، ثم جاء من بعد
الاصمعي من زاد في القصائد - اصلها ومزيدها - أبياتا دخلت في
روايتي المفضل والاصمعي حتى اختلطت كلها .

فلم يكن ميسورا أن يجزم جازم بما كان أصلا وما كان مزيدا الا
قليلا ، ثم يؤكد هذا البعض ان السبعين التي بني عليها الكتاب، والعشرة
التي زاد المفضل ، ليست الثمانين الاولى من هذه المجموعة ، وانما هي
ثمانون مفرقة في الكتاب ولا يمكن البت في قصيدة بعينها ، انها منها
أو من غيرها الا قليلا أيضا (١٢) .

على ان ليال يورد في مقدمة طبعته للمفضليات رأيا آخر (١٣) يخالف
ما ذكرناه ، وهو رأي ينتهي به الى انه لا يستطيع التسليم بالخبر الذي

(١٠) نفس المصدر ص ٢١

(١١) عبدالسلام هارون واحمد محمد شاكر في مقدمتهم

للمفضليات ص ١٢

(١٢) مقدمة المفضليات تحقيق عبدالسلام هارون واحمد محمد

شاكر ص ١٢

(١٣) مقدمة المفضليات ليال ص ١٥ - ١٦

رواه الأخفش ، والذي يذكر فيه ان المفضل اخرج منها ثمانين قصيدة للمهدي وقرئت بعد على الاصمعي فصارت مائة وعشرين * فيعلق على ذلك بقوله ، ومع ذلك فان هذه المسألة ليست مما يمكن حله حلا قاطعا * أما مسألة صحة هذا الشعر ونسبة قصائده الى قائلها ، فان مكانة الاصمعي في الرواية ، والحكم على مثل هذه الامور ، لا تقل في قيمتها وعلوها عن مكانة المفضل *

والمفضليات على الرغم من هذا التباين والاختلاف ، تعتبر اروع ما بأيدينا من نصوص الشعر الجاهلي التي لا يرقى اليها الشك ، وتفوق المجموعات الشعرية الاخرى بما تعكسه من اتجاهات الشعر العربي ، وما تمثله من جوانب الحياة المختلفة منذ العصر الجاهلي حتى منتصف القرن الاول الهجري *

وتتوزع هذه المجموعة القيمة من الشعر على سبعة وستين شاعرا ، منهم سبعة وأربعون شاعرا جاهليا ، واربعة عشر شاعرا مخضرمما ، وستة شعراء اسلاميين *

والمجموعة الثالثة من كتب المنتخب العام « الاصمعيات » ، نسبة الى الاصمعي راويها ، وقد أعاد نشرها نشرًا علميًا جيدًا عبد السلام هارون واحمد محمد شاكر ، بعد أن طبعها للمرة الاولى المستشرق الوارد ، وهي اثنتان وتسعون قصيدة ومقطعة (١٤) *

وهي موزعة على واحد وسبعين شاعرا ، اربعون منهم جاهليون والباقيون اسلاميون مخضرمون ، ولا بد أن يكون للاصمعي اختيارات اخرى لم تثبت في هذه القصائد (١٥) *

(١٤) هذا عددها في الطبعة المصرية بتحقيق عبدالسلام هارون واحمد محمد شاكر ، وأما الاوربية بتحقيق وليم بن الورد فليس فيها الا سبع وسبعون قصيدة ومقطعة .

(١٥) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢١-٢٢ والمفضليات تحقيق عبدالسلام هارون واحمد محمد شاكر ص ٢٠

وقد اعتبر الدكتور ناصر الدين الأسد^(١٦) عدم وجود اسناد يكشف عن الرواية التي انتقلت بها هذه المختارات عن الاصمعي عيباً، كما اعتبر قول ابن النديم^(١٧) « ان الاصمعي عمل قطعة كبيرة من اشعار العرب ليست بالمرضية عند العلماء لقله غريبها واختصار روايتها » اشكالا لا سبيل الى حله ، لعدم ايضاح مفهوم هذه القطعة الكبيرة من اشعار العرب التي وردت في هذا النص واعتبر عبارة « واختصار روايتها » اشكالا آخر لاسباب وضوحها في كتابه^(١٨) .

ولكننا اذا رجعنا الى المفضليات ، وما قيل عما فيها من الاختلاط بين الاصمعي والمفضل ، وما زاد الاصمعي فيها على ما جمعه المفضل ، وقول ابن قتيبة^(١٩) في الشعر والشعراء وفي قصيدة المرقش ، وعجبه من ادخال الاصمعي لهذه القصيدة في متخيره ، والقصيدة موجودة في الاصمعيات تحت رقم (٥٢) والعبارة التي كتبت تحت مجموعة الاصمعيات « هذه بقية الاصمعيات التي اخلت بها المفضليات » ، والتفسير الذي اورده المحققان احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون من ان كلمة « اخلت » يجب أن تقرأ فعلا مبنيا لما يسم فاعله ، وهي من قولهم خل الشيء في الشيء أنفذه ، ومنه التخليل والتخلل ، واصله من ادخال الشيء في خلال الشيء وهو وسطه .

اذا رجعنا الى كل ما تقدم ، وربطنا بين هذه الادلة والاقوال ، ادركنا الثقة الصحيحة في نسبتها الى الاصمعي ، وأدركنا ان هذه المجموعة تستحق الدراسة الدقيقة لاعتبارها الى حد ما تكملة للمفضليات ولان طبيعة الاصمعي تتجلى فيها ، ولانها اخيرا اقرب المجاميع التي وصلتنا الى الصحة ، وأثبتها وادقها في الرواية .

(١٦) ناصر الدين الاسد : مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٧٨

(١٧) ابن النديم : الفهرست ص ٥٦

(١٨) ناصر الدين الاسد : مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٨١

(١٩) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٢-١٣

أما المجموعة الرابعة ، فهي دواوين الحماسة ، وأقدم هذه
الدواوين ما جمعه ابو تمام ، وقد بنى اختيار ما فيها من الشعر على
أبواب المعاني ، ولا غرابة في ذلك اذا علمنا ان الجامع شاعر ممتاز ،
مكنه شعره من أن يختار احسن ما تقع عليه عينه ، وهو الى جانب ذلك
شاعر كبير من شعراء المعاني •

ولسنا ندرى حقيقة هذه التسمية ، أهى من صنع أبي تمام نفسه ،
أم هي عرف جرى بين الادباء ، فليس الديوان الذي جمعه حماسة
فحسب ، ولكنه يجمع الى جانب الحماسة ، المراثي والادب ، والنسيب ،
والهجاء والاضياف والمدح والصفات والسير والنعاس والملح ومذمة
النساء •

والظاهر ان التسمية لم تكن من قبيل الصدف ، وانما تشير الى
أجل فضيلة اعظمها العربي ، لانه امتدح البسالة في القتال ، والضبر
على اشتداد البلاء ، والجد في طلب الثأر ، وحماية الضعيف ، والازدراء
بالاهوال • وما كثرة منتخبات الحماسة واطلاق هذا الاسم عليها الا
دليل على ما ذكرناه من أهمية هذا الباب في الادب العربي •

ومما يقال في هذه التسمية ايضا ، ان ابا تمام سمي مجموعته
باسم اول باب من ابواب مختاراته وهو اعظمها ، وقد لاحظ العلماء
ان ابا تمام كان يعمد احيانا الى تغيير نصوص الشعر ، ليستقيم له ان
يربط بين الايات التي تفككت ، او ليستر عوار تقيصة يشين وجه
الحسناء من مقطوعاته وفي ذلك يقول المرزوقي (٢٠) :

« وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء الى المشتهرين منهم دون
الاغفال ، ولا من الشعر الى المتردد في الافواه ، المجيب لكل داع ، بل
اعتسف في دواوين الشعراء ، جاهليهم ومخضرمهم ، واسلامهم

(٢٠) مقدمة الشارح (حماسة ابي تمام شرح المرزوقي) ص ١٣

ومولدهم ، واختطف منها الارواح دون الاشباح ، واخترت الاثمار
دون الاكمام » .

وحكى الصولي انه سمع المبرد يقول : سمعت الحسن بن رجاء
يقول : « ما رأيت أحدا قط أعلم بجيد الشعر ، قديمه وحديثه من أبي
تمام (٢١) . وقد وقع الاجماع من النقاد على انه لم يتفق في اختيار
المقطعات اتقى مما جمعه أبو تمام ، ولا في اختيار المقصدات أوفى مما
دونه المفضل ونقده (٢٢) .

وهذه المجموعة لم تصل الى أبي تمام عن طريق الرواية ، وانما
اخذها ابو تمام من الكتب ، وانتقاها من الدواوين والمجاميع ، وظل
هذا الكتاب مطويا قرابة مائة وتسعين سنة (٢٣) ، الى أن اتيح له
المرزوقي الذي يعتبر شرحه للحماسة من اكبر الشروح التي وصلت
اليها ، واكثرها عناية بمعاني الشعر . أما الشرح الثاني فهو شرح
التبريزي الذي ألف بعد المرزوقي ، ولكنه لم يصل الى ما وصل اليه .
وحذا البحري حذو أبي تمام مع بعض الريبة في نسبة الحماسة
اليه (٢٤) .

وهي مقطوعات قصيرة موزعة على مائة واربعة وسبعين بابا . ولم
تتل حماسة البحري من الذيوع والشهرة ما نالته حماسة أبي تمام
ويقال انها جمعت اجابة للفتح بن خاقان ، وزير الخليفة العباسي المتوكل .
ويغلب عليها طابع الدعوة الى الاخلاق الفاضلة .

-
- (٢١) مقدمة الشارح ص ١٤
(٢٢) يعني بذلك القصائد المفضليات التي اختارها المفضل الضبي
(٢٣) توفي أبو تمام سنة ٢٣١ وتوفي المرزوقي سنة ٤٢١ هـ .
(٢٤) لقد شك البغدادي في نسبة هذه الحماسة الى البحري ،
فقد ذكر في الخزانة (٣ : ٥٩١) بعد ان نقل عن العيني في سياق حديثه
عن بيت من الشعر نسب الى النابغة ، فقال : « ذكره البحري في حماسته
ولم نسمع ان للبحري حماسة » .

وجمع هبة الله العلوي ابن أحمد بن الشجري المتوفى سنة (٥٤٢)
مختارات شعراء العرب ، وقد طبعت هذه الحماسة في حيدر آباد ،
طبعا كرنكو ، وأغلب منتخباتها من الشعر الجاهلي . كما صنف
اختيارات كثيرة بعنوان الحماسة ، منها حماسة الخالدين للاخوين أبي
عثمان سعيد ، المتوفى سنة (٣٥٠) ، وأبي بكر محمد المتوفى سنة
(٣٨٠) ، ابني هاشم الخالدي .

ومنها الحماسة البصرية^(٢٥) وقد جمعها صدرالدين علي بن ابي
الفرج البصري .

وأهمية كتب الحماسة تتجلى في عدد الشعراء المغمورين الذين
اظهرتهم ، وجمعت طائفة من شعرهم .

أما المجموعة الخامسة فهي جمهرة اشعار العرب ، وقد اضطرت
نسبتها الى أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، لان المؤلف مجهول
وليس له ادنى ذكر في جميع كتب الطبقات والرجال ، ولم يذكر مع
المحدثين ورواة الحديث ، ولا مع اللغويين والنحويين ، ولا مع الشعراء
والادباء ، ولا مع مؤلفي الكتب وجامعي الدواوين^(٢٦) .

(٢٥) وهي لم تطبع حتى الآن .

(٢٦) مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٨٥ ، وللدكتور مصطفى جواد
رأي في مؤلف هذا الكتاب ، بسطه في مجلة المجمع العلمي العراقي
(المجلد السابع لسنة ١٣٧٩ - ١٩٦٠) . ويتلخص رأيه في أن مؤلف
هذا الكتاب قد جمع للعرب أحسن جمهرة من اشعار شعرائهم ، ولكن
مؤرخي الآداب العربية ولا سيما المتأخرين منهم لم يوفقوا الى ترجمة
المؤلف ، ولا لتعيين عصره ، ثم يذكر انه بعد البحث المستوفي ، والتحري
المستقصى ، تمكن من أن يثبت بأنه من أهل القرن الخامس للهجرة .
وفي مكتبة كويرالي باستانبول مخطوط تحت رقم (١٢٣٢)
ومعنون بجمهرة الاشعار ، ولهذا المخطوط صورة في معهد احياء
المخطوطات بجامعة الدول العربية ، ويضم هذا المخطوط مجموعة جمهرة
اشعار العرب نفسها مع اختلاف في ترتيب بعض القصائد والمقدمة ، كما

وقد ذكر هذا الكتاب في خزائن الادب للبغدادى وفي المزهري
السيوطي وفي العمدة لابن رشيقي ، ولكن ذكره كان خاليا من اللقب
مرة ، أو يذكر الكتاب وحده دون ذكر اسم المؤلف ، وهكذا (٢٧) .

وقد ظن البعض انه كان يعيش في اواخر القرن الثالث او اوائل
القرن الرابع .

والجمهرة مجموعة سباعية تشتمل على سبعة اقسام ، اولها
المعلقات ، وقد اخذ فيها برواية الضبي ، فاسقط منها معلقتي الحارث
وعنترة ، ووضع مكانهما معلقتي الاعشى والنابعة ، وتحمل الاقسام
الستة الباقية حلى من العناوين المختارة، وهي المجهرات والمنتقيات (٢٨)
والمذهبات (٢٩) والمرائي والمشوبات (٣٠) والملحمات (٣١) .

يضم شرحا لبعض قصائد الجمهرة ، وهو على خمسة فصول وثمانية
ابواب ، إلباب الاول منه في خمسة فصول ، الفصل الاول فيما وافق به
القرآن الكريم من الفاظهم وإشعارهم ، الفصل الثاني في أخبار الشعراء ،
الفصل الثالث فيما روى عن النبي (ص) وما جاء عن أصحابه والتابعين ،
الفصل الرابع في قول الجن للشعر على السن العرب ، وهكذا ، أما
الباب الثاني فيتحدث فيه عن السموط ، ثم يعدد أصحابها ، وفي الباب
الثالث يتحدث عن اصحاب المجهرات ، حتى يختم الكتاب في الباب
الثامن بذكر الملحمات ، وينسب هذا الكتاب الى محمد بن أيوب العزيمي
العمرى . . ثم يختم الكتاب بعبارة . . تم الكتاب - كتاب جمهرة أشعار
العرب في الجاهلية والاسلام بمن الله وعونه - وكان الفراغ من نساخته
يوم الاحد السادس عشر من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثمانين
وستمائة . . ومن هنا يظهر لنا جليا مدى الاضطراب الذي يشوب هذا
الكتاب والملابسات التي رافقته .

(٢٧) مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٨٥

(٢٨) المختارات

(٢٩) وجمعها الشعراء من الانصار ، جاهلين أو مخضرمين .

وربما قصد بأسمها انها تستحق أن تكتب بالذهب . (شوقي ضيف
ص ١٧٩) تاريخ الادب العربي العصر الجاهلي .

(٣٠) وهي لمخضرمين شابهم الكفر .

(٣١) وجميعها لاسلاميين .

والجمهرة مجموعة غنية بالقصائد الطويلة ، ولكنها غير موثقة
الرواية ، فلا بد في الاعتماد عليها من مقابلتها على روايات صحيحة^(٣٢) .

وإذا تركنا هذه المختارات الى الدواوين المفردة ، لقينا منها أشعار
الشعراء الستة الجاهليين (امرئ القيس بن حجر والنابعة الذياني
وعلقمة بن عبده الفحل وزهير بن ابي سلمى المزني وطرفة بن العبد
البكري وعترة بن شداد العبسي) التي تعتبر من احسن المجموعات
الشعرية التي ظهرت في الاندلس ، وهي من اختيار عالم اندلسي نحوي ،
هو يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالاعلم الشنتمري المتوفى
سنة ٤٧٦ هـ . وقد عمل الاستاذ مصطفى السقا شرحا لتلك الدواوين ،
ولكنه احتفظ فيه برواية الاعلم نقلا عن الاصمعي^(٣٣) .

وقد اعتمدها الوارد اصلا في طبعته لدواوين الشعراء الخمسة .
— عدا امرأ القيس — ، وسماها (العقد الثمين في دواوين الشعراء
الستة الجاهليين) .

وقد سلك الاعلم في جميع دواوين مجموعته خطة واحدة ، فكان
يبدأ في كل ديوان برواية الاصمعي ، حتى اذا استوفاهها نص على
انتهائها ، وميز آخرها ، وتشتمل هذه المجموعة على نوعين من الاشعار
لكل شاعر من هؤلاء الشعراء الستة ، النوع الاول قصائد رواها
الاصمعي وشرحها ، وهذا النوع أنفس النوعين ، لان الظن غالب عند
جمهور الرواة من البصريين ، لتواطؤ الناس عليها ، واعتبارهم لها ،
واتفاق الجمهور على تفضيلها^(٣٤) .

اما النوع الثاني ، فهو ما لم يروه الاصمعي ، ولم يطمئن الى

(٣٢) شوقي ضيف : تاريخ الادب العربي . العصر الجاهلي

ص ١٧٩

(٣٣) وهي التي كانت السند الاساس الذي اعتمدت عليه في

دواوين الشعراء المذكورين .

(٣٤) الاعلم : مقدمة مختار الشعر الجاهلي .

نقلته ، وليس كل هذا الشعر مكذوبا منتحلا ، ولكن بعضه اختلقت
نسبته على بعض الرواة لتشابه اسماء الشعراء ، كما مرىء القيس مثلا
فقد نسب الى امرىء القيس بن حجر شعر هو لامرئىء القيس بن عابس
او لامرئىء القيس بن مالك ونسب الى زهير بن ابى سلمى المزنى شعر
لزهير بن جناب الكلبي ، ونسب الى النابغة الذبياني شعر قائله النابغة
الجعدي ، وهكذا تتشابه الاسماء فتتداخل الاشعار وتعمى نسبتها على
بعض الرواة (٣٥) .

ويمتاز مؤلف هذه المجموعة بدقة لغته ، فلم يفته أن ينبه على
ما رواه الاصمعي من الصحاح ، ولا ما رواه غيره من القصائد المشتبه
في امرها ، بل يذهب احيانا في الدقة الى غاية بعيدة ، فينبه الى بيت او
كلمة من القصيدة أنه ليس من رواية الاصمعي ، وانما هو من رواية
فلان اللغوي ، او ان هذه الكلمة من البيت لم يعرفها الاصمعي ، وقد
عرفها غيره ، ومهما يكن من امر القصائد المشكوك في روايتها عند
البصريين ، فاننا نجد ابياتها مشبوهة شائعة في معاجم اللغة وكتب النحو ،
ما يدل على ان فريقا من العلماء عرفها واثبتها (٣٦) .

الى جانب كتب الاختيار هذه ، هناك دواوين أخرى طبعت طبعات
مختلفة ، وحقت تحقيقا علميا صحيحا يمكن الاعتماد عليها مصادر
لدراسة الادب ، ونصوصا لتفسير الجوانب الحية في الادب الجاهلي .
وأهم هذه الدواوين ، ديوان امرئىء القيس برواياته المختلفة ، وديوان
زهير بن أبى سلمى ، وديوان النابغة ، وديوان طرفة وديوان عروة بن
الورد ، وحاتم الطائي ، وعلقمة الفحل ، والشنفرى ، وعامر بن الطفيل ،
والطفيل الغنوي ، واوس بن حجر ، والاعشى الكبير ، وسلامة بن
جنبل ، وقيس بن الخطيم ، والمزرد بن ضرار العطفاني ، والمثقب العبدي ،

(٣٥) نفس المصدر .

(٣٦) نفس المصدر .

وغيرهم ممن جمعت قصائدهم المتناثرة في مظان الكتب ، مرجعا لمن
اراد دراسة هذه الفترة الادبية .

الى جانب الكتب الادبية الاخرى التي تعتبر من المصادر الاولية
في الادب الجاهلي ، ككتاب الاغاني ، والنقائض ، وطبقات الشعراء ،
والشعر والشعراء ، والعقد الفريد والبيان والتبيين ، والحيوان وغيرها .

الفصل الثالث

موضوعات شعر الفروسية

الفخر والحماسة :

الفخر هو التمدح بالخصال الحميدة ، وادعاء العظمة والشرف . وهو فن من فنون الادب الاولى ، لانه يمثل تطوع النفس الى ذاتها ، والوسيلة التي تنشر بواسطتها مفاخر القوم ، وذكريات أيامهم . لذا فان هذا الباب كانت له اهميته الخاصة ، لانه يمثل الخط الاول للمهجوم، ترهب به القبيلة خصومها ، وتضعف معنوياتهم . وهو باب واسع من ابواب الشعر العربي لتعبيره عن ميلهم الطبيعي الى الانفة والعزة . وهو يتخذ معانيه من جانب المفتخر نفسه ، او قومه بخلاف الهجاء ، فانه يصدر عن نفس ساخطة ، او ساخرة ، ويتخذ مادته من جانب المهجو او قومه ، فهما فنان متقابلان .

وقد قام الفخر على الفضائل الاجتماعية التي أقرتها الحياة العربية القديمة . فالعرب عاشوا في بلاد امتدت صحاريها، وقل مأوها، واتسقت اراضيها المجذبة ، فكانت المنافسة بينهم قائمة ، والقتال مستمرا ، يسيطر على حياتهم العنف والقسوة ، وكان كل فرد يحاول أن يثبت

امتيازه وتفوقه على غيره ، اشباعا للشعور بالعزة ، وارضاء لحب
التسامي والشرف ، واعتقادا منهم بأن القوة والسيطرة جزء لا يتجزأ
من هذه الحياة ما دامت الغلبة للقوى • فكانت حياتهم سجلا بين هذه
المفاهيم ، وكانت هذه المفاهيم دافعا قويا للشعراء • فهذا طرفه بن العبد
يصور لنا الضعيف وكيف يكون في هذا المجتمع فيقول (١) :

ولو كنت وغلا في الرجال لضربي عداوة ذي الاصحاب والمتوحد (٢)
ولكن نفي غني الاعادي جرأتي عليهم واقدامي وصدقي ومحتدي

فالرجولة الحققة هي التي تتمثل في الشجاعة والفروسية والاقدام
وخوض الحروب وكسب المغانم وتحمل المكاره ، وكل ما يتعلق بهذه
الاختبارات التي تصقل مواهب الرجل وتجعله اكثر احتراماً بين عشيره
وقومه ، وعند ذلك تمنحه القبيلة قيادتها وسيادتها •

لقد تمثلت هذه القيم بجلاء في الشعر الجاهلي ، وفي احاديث
الشعراء ، فعمرو بن كلثوم الشاعر المعروف ، يبدو في معلقته مفتخرا
بنفسه وقومه ، متباهيا بشجاعتهم واياهم التي امتلأت بالقتل والدماء ،
وعصيانهم الملوك اذا تجبروا وطغوا ، والثورة عليهم وقتلهم ، حتى
هابتهم الجزيرة وخشيت سطوتهم قبائلها • ثم ينتقل الى ذكر آبائه
واجداده الذين زخر التاريخ ببسالتهم وبلائهم ، والذين يطعمون في كل
وقت ، وينتصرون في كل حرب ، ويمنعون كل ما يريدون ، وينزلون
حيث شاؤوا من الارض ، ويسخطون اذا غضبوا ، يأخذون اذا رضوا ،
ويحمون من اطاعهم ، ويفتكون بمن عصاهم ، فيقول (٣) :

(١) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٢٦
(٢) الوغل : الضعيف من الرجال • المتوحد : الفرد من الرجال
الذي ليس معه أحد .
(٣) التبريزي : شرح القصائد العشر ص ٢٢٥

أبا هند فلا تعجل علينا
بأنا نورد الرايات بيضا
وأيام لنا غر طوال
وسيد معشر قد توجه
تركنا الخيل عاكفة عليه
متى تنقل الى قوم رحانا
يكون ثفالها شرقي نجد
ورثنا المجد قد علمت معد
ونحن اذا غمار الحي خرت
ندافع عنهم الاعداء قدما
نطاعن ما تراخي الناس عنا
بسم من قنا الخطى لدن
نشق بها رؤوس القوم شقا

وانظرنا فخبرك اليقين^(٤)
ونصدرهن حمرا قد روينا
عصينا الملك فيها ان ندينا^(٥)
بتاج الملك يحمي المحجرين^(٦)
مقلدة اعنتها صفونا^(٧)
يكونوا في اللقاء لها طحين^(٨)
ولهوتها قضاء اجمعينا^(٩)
نطاعن دونه حتى بيننا
عن الاحفاض نمنع من يلينا^(١٠)
ونحمل عنهم ما حملونا
ونضرب بالسيوف اذا غشيننا^(١١)
ذوابل او بيض يعتلينا^(١٢)
ونخليها الرقاب فيختلينا^(١٣)

- (٤) أبو هند : عمرو بن المنذر، وهو أبو المنذر . وأنظرنا : انتظرنا . ويجوز أن يكون معناه آخرنا .
- (٥) يقول وأيام لنا بيض مشهورة ، وسمى الايام غرا طوالا لعلوهم على الملك ، وامتناعهم منه لعزهم ، فأيامهم غر لهم طوال على اعدائهم . وقوله ان ندينا : أي أن نطيع ، والدين الطاعة .
- (٦) المحجرون : الذين قد الجنوا الى المضيق ، ويحمي المحجرين صفة لسيد معشر .
- (٧) الصافن : القائم .
- (٨) أي متى حاربنا قوم كإنا كنا كالطحين للرحا .
- (٩) المحجرون : الذين قد الجنوا الى المضيق ، ويحمي المحجرين
- (١٠) الاحفاض : واحدها حفص ، وهو متاع البيت . ويسمى البعير الذي يحمل المتاع حفصا .
- (١١) غشيننا : أي دنا بعضنا من بعض .
- (١٢) السمر من الرماح : أجودها . ولدن : لينة . وذوابل : فيها بعض اليبس .

تخال جماجم الابطال فيها وسوقا بالاماعز يرتمينا^(١٤)

☆ ☆

وقد علم القبائل من معد اذا قبب بابطحها بنينا^(١٥)
بأنا العاصمون بكل كحل وانا الباذلون لمجتدينا^(١٦)
وانا المانعون لما يلينا اذا ما البيض ذابلت الجفونا
وانا المنعمون اذا قدرنا وانا المهلكون اذا آتينا^(١٧)
وانا الشاربون الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

وعمر بن كلثوم في معلقته هذه التي تعتبر أكثر المعلقات فخرا ، وأبرز الشعر الجاهلي وضوحا وتألقا ، والتي تصور لنا الانسان الجاهلي بأوضح صورته ، وأبرز سماته ، وأعز قيمه ، يبدو لنا عمرو بن كلثوم من بين جغافل الشعراء القدامى ، وهو أعزهم نفسا ، وأكبرهم امتناعا ، وأشداهم في مقارعة الخصوم والملوك والجبابرة ، وأصلبهم عودا في الوقوف امام الطغاة المستبدين . وهو بذلك يمثل لنا العربي بكل ابائه ، ويصوره لنا بكل عزته ومنعته .

لقد حاول الانسان الجاهلي من جانبه المحافظة على هذه الثقة ، ليظل رمزا حقيقيا لهذه التجارب حتى تستطيع القبيلة ان تشق طريقها ، وتقف على قدميها وسط هذا العالم الذي يقدر البطولة والشجاعة ، فكان طبيعيا من الشاعر ان يشيد بهذه المآثر ، ويبالغ - في بعض

(١٣) ونخليها الرقاب، أي نجعل الرقاب لها كالخلاء، وهو الحشيش .

(١٤) الاماعز : جمع امعز وهي الارض الصلبة الكثيرة الحصى .

والوسوق : جمع وسق وهو الحمل .

(١٥) يقول قد علم القبائل اذا ضربت القباب انا سادة العسرب

واشرافهم .

(١٦) العاصمون : المانعون ، وكحل : سنة شديدة . والمجتيدي :

الطالب .

(١٧) أي منعم على من اسرنا بائتخلية ، ونهلك من اتانا يغير علينا .

الاحيان - في هذه الصفات ليكسب نفسه - ان كان فارسا واغلب
الفرسان من الشعراء - مثلا محترمة ، ويضفي على نفسه من القاب
الفروسية اوصافا بارزة .

لقد كانت صيحات الشعراء تجد ميلا عند افراد القبيلة ، فتتجاوب
اصداء هذه الصيحات في نفوسهم ، وتتردد على السنة أبناءهم ، لان
ذكرها فخر لهم ، كما جرى لمعلقة عمرو بن كلثوم ، التي حفظها أبناء
عشيرته كلهم ، وكانوا يتداولونها شفاها حتى هجوا بذلك (١٨) .

لقد اتعشت حركة الفخر ، وامتزجت بالحماسة التي كانت تمثل
العنصر المتم له ، وهي بعد ذلك عماد الحركة الشعرية التي استنفدت
القضايا الكثيرة ، ومدت الشعراء بوقود جزل من التغني بالبطولات .
تفاخر الشعراء بالشجاعة والبطولة ، واستهانوا بالموت ، فهذا الحصين
بن الحمام المري يندد بخصمه ، ويصفه بالجبن ، ويصور لنا المعركة التي
خاضها قومه فيقول (١٩) :

ولما رأيت الود ليس بنافعي وان كان يوما ذا كواكب مظلما (٢٠)
صبرنا وكان الصبر فينا سجية بأسيا فنا يقطن كفا ومعصما
يُثَلِّقْنَ هاما من رجال اعزة علينا، وهم كانوا أعق وأظلما (٢١)
وجوه عدو والصدور حديثه " بُودٌ ، فأودى كل ود فانعما
فليت أبا شبل رأى كر خيلنا وخيلهم بين الستار فاظلما (٢٢)
نظاردهم نستنفذ الجرد كالقنا ويستنقذون السمهي المقوم (٢٣)

(١٨) المبرد: الكامل في اللغة ١/١٤٠

(١٩) المفضل الضبي المفضليات ١/٦٣

(٢٠) اظلم اليوم من غبار الحرب حتى استبانت الكواكب .

(٢١) اظلما : يقول بدؤونا بالظلم على اعزازنا اياهم .

(٢٢) أبو شبل : وهو مليط بالتصغير بن كعب المري . الستار

واظلم : موضعان .

(٢٣) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . السمهي : الرمح . يقول

نفنم منهم خيلهم ونترك في اجسادهم رماحنا اذا طعنناهم فهم يحاولون
اخراجها .

عشية لا تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمما (٢٤)
لذن غدوة حتى أتى الليل ما ترى من الخيل الا خارجا مسوما (٢٥)
والمزرد بن ضرار يفخر بكونه فارس ذبيان ، الذي يحيي ذمارها
ويرد عنها الفرسان ، ويفخر بفرسه الصريح الذي يعزف بصهيله ألحان
البطولة ، فيقول (٢٦) :

فمن يك معزال اليدين مكانه اذا كشرت عن نابها الحرب خامل (٢٧)
وقد علمت فتیان ذبيان أنني انا الفارس الحامي الذمار المقاتل (٢٨)
واني ارد الكبش والكبش جامح وارجع رمحي وهوريان ناهل (٢٩)
وعندي اذا الحرب العوان تلمحت وابدت هواديهما الخطوب الزلازل (٣٠)
طوال القرا قد كاد يذهب كاهلا جواد المدى والعقب والخلق كامل (٣١)
اجش صريحي كان صهيله مزامير شرب جاوبتها الجلاجل (٣٢)
ولقد تفاخر الفرسان بالاسراع الى مقاتلة الاعداء بكثرة العدد ،
والجد في الحرب ، والسطوة فيها . كما تفاخروا بأيام اقوامهم ، وغلبتهم

(٢٤) مكانها : أي في مكان استعمالها . المصمم : الذي يمضي في
صميم العظم ويبريه .

وانما يلجؤون الى السيوف حين تشتد الحرب ويلتحمون .
(٢٥) المسوم : المعلم بعلامة في الحرب ، ويريد الشاعر ان يقول
ان الناس انكشفوا في هذه الحرب ، فلم يبق الا اهل هذه الخيل الاشداء
الذين سرموا أنفسهم وخيلهم شجاعة وجرأة .

(٢٦) ديوان المزرد بن ضرار ص ٣٥ .
(٢٧) المعزال : الاعزل من السلاح . مكانه خامل : لا يعرف الحرب .

(٢٨) في المفضليات ٩٣/١ فقد علمت .

(٢٩) كبش اققوم : بطلهم وسيدهم . الناهل : الريان وهو من
الاضداد .

(٣٠) هواديهما : اوائلها .

(٣١) القرا : الظهر . جواد المدى : يوجد بجريه الى المدى .

(٣٢) في المفضليات ص ٩٣ ، جاوبتها جلاجل . صريحي : منسوب

الى فحل يدعى الصريح .

أعداءهم ومطاعنتهم الابطال ، ومطاولتهم الكر والفر ، وتفاخروا بمغانم العدو واسلابه . فهذا سلامة بن جندل يصور لنا تلك المفاخر فيقول (٣٣) :

ألا هل أتت ابناؤنا أهل مأرب كما قد أتت أهل الدِّبَا والخورنق (٣٤)
بانا منعنا بالفروق نساءنا ونحن قتلنا من اتانا بملزق (٣٥)
فمن يك ذا ثوب تنسله رماحنا ومن يك عريانا يوائل فيسبق (٣٦)
تركنا بجيرا حيث ما كان جده وفينا فراس عانيا غير مطلق (٣٧)
ولولا جنان الليل ما آب عامر الى جعفر سرباله لم يخرق (٣٨)

ودريد بن الصمة يتوعد فزارة ، ويصف ما أصابها في القتال ، وما أصاب فرسانها مقبلين ومدبرين ، مسهلين ومخزنين فيقول (٣٩) :

فليلوم سميتم فزارة فاصبروا لوقع القنا تنزون نزوالجنادب (٤٠)
تكر عليهم رجلي وفوارسي وأكره فيهم صعدي غير ناكب (٤١)
فان تدبروا يأخذنكم في ظهوركم وان تقبلوا يأخذنكم في الترائب (٤٢)

(٣٣) الاصمعي : الاصمعيات ص ١٤٨ .

(٣٤) مأرب : موضع باليمن . الدبا بفتح الدال والقصر : سوق من اسواق العرب بعمان . الخورنق : قصر بالحيرة .

(٣٥) الفروق : عقبة دون هجر الى نجد ، وكان فيه يوم من ايامهم . ملزق : موضع كان به يوم من ايامهم ، وهو بضم الميم وفتح الزاي .

(٣٦) ذا ثوب : ذا سلاح . يوائل : ينج . من كل ذا سلاح نالته رماحنا ، ومن طرح سلاحه وتكمش نجا .

(٣٧) بجير وفراس : هما ابنا عبدالله بن سلمة . جده : حظه . عانيا : أسيرا .

(٣٨) جنان الليل : شدة ظلمته وادلهمامه .

(٣٩) الاصمعي : الاصمعيات ص ١١٨ .

(٤٠) النزو : الوثبان . الجنادب : ضرب صفار من الجراد .

(٤١) الرحلة بفتح الراء وكسرها : جمع راجل وهو الذي ليس له ظهر يركبه في سفره . والصعدة : القناة المستوية يعني الرمح . واكراهها فيهم : ادخالها بقوة . غير ناكب : غير عادل عنهم .

(٤٢) الترائب : عظام الصدر .

وان تسهلوا للخيل تسهل عليكم بطعن كايزاغ المخاض الضوارب
اذا احزنوا تغشى الجبال رجائنا
كما استوفزت فدر الوعول القراهب (٤٣)

والحياة القاسية في البادية معرضة لقسوة السماء والارض ، وهذه
الحياة نشأت العربي على تعظيم شأن الكرم ، لانه سبيل العيش لفئة
كبيرة من الناس فكان الشعراء يتغنون بالبذل ، ويفخرون بالعطاء ،
ويقدمون الضيف على الاهل والولد . وكان باب الاضياف من ابواب
الشعر العربي التي أفرد لها في مختارات الادب باب كبير ، كما كانت
البطولات النادرة في الكرم مجالا واسعا ، ومنطلقا فسيحا لرسمها في
ثنايا الادب العربي .

فهذا عبد يغوث بن وقاص يفخر بشجاعته وكرمه ، وهر في آخر
رمق من الحياة ، لانه يجد في ذلك الذكر الحميد الذي سيقى حيا
بعده فيقول (٤٤) :

وقد كنت نحر الجزور ومعمل المطي وامضي حيث لا حي ماضيا
وانحر للشرب الكرام مطيتي واصدع بين القينتين ردائيا (٤٥)

ومالك بن حريم الهمداني يفخر بابائه ومروءته ، وبأربع خصال
ضمنها كرمه فساقها سوقا لطيفا في حديثه فيقول (٤٦) :

واني لاستحيي من المشي ابتغي الى غير ذي المجد المؤثل مطمعا
واكرم نفسي عن امور كثيرة حفاظا ، وانهى شحها ان تطلعا

(٤٣) استوفز : استقل على رجليه . القدر والقراهب : المسان
من الوعول .

(٤٤) المفضل الضبي : المفضليات ١٥٦/١

(٤٥) الشرب : جمع شارب

(٤٦) الاصمعي : الاصمعيات ص ٥٨

(٤٧) الاعيط : الابي المتمنع .

وَأَخَذَ لِلْمَوْلَى ، إِذَا ضَمِيمَ حَقَّهُ مِنْ الْإِعْيَاطِ الْآبِي إِذَا مَا تَمَنَعَا (٤٧)
فَإِنْ يَكُ شَابَ الرَّأْسَ مِنْي فَاتِي أَيْتَ عَلَى نَفْسِي مَنَاقِبَ أَرْبَعَا
فَوَاحِدَةً أَنْ لَا أَيْتَ بَعِيرَةً إِذَا مَا سَوَامَ الْحَيِّ حَوْلِي تَضَوَعَا (٤٨)
وِثَانِيَةً أَنْ لَا أَصَمْتُ كَلْبِنَا إِذَا نَزَلَ الْإِضْيَافَ حَرِصًا لِنُودَعَا (٤٩)
وِثَالِثَةً أَنْ لَا تَقْدَعُ جِصَّارَتِي إِذَا كَانَ جَارَ الْقَوْمِ فِيهِمْ مَقْدَعَا (٥٠)
وَرَابِعَةً أَنْ لَا أُحْجَلَّ قَدْرِنَا عَلَى لِحْمِهَا حِينَ الشِّتَاءِ لِنَشْبَعَا (٥١)

إنها صورة حية لنفس العربي الذي عاشها عبر اجيالها الطويلة ،
وخلال تجاربه القاسية ، وانها مثل رفيع من مثل النبل الانساني السامي .
والاسعر الجعفي شاعر آخر ، وفارس يفخر بانه مأوى الضيفان
في الليالي الباردة، ينحر لهم الكوم في سخاء ، ويفيض على الجميع وحتى
كلاب الحي تظل في خصب وشبعة منه فيقول (٥٢) :

بَاتت كِلَابُ الْحَيِّ تَسْنَحُ بَيْنَنَا يَا كَلْنَ دَعْلَجَةَ وَيَشْبَعُ مِنْ عَفَا (٥٣)
وَمِنَ اللَّيَالِي لَيْلَةَ مَزْؤُودَةَ غِبْرَاءَ لَيْسَ لِمَنْ تَجَشَّمَهَا هَدَى (٥٤)
كَلَفْتُ نَفْسِي حُدَّهَا وَمَرَّاسَهَا وَعَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْمَ لَيْسَ لَهُمْ غَنَى
وَمَرَّاسَ اقْصَدْتُ وَسَطَ جَمُوعِهِ وَعَشَارَرَاعَ قَدْ أَخَذْتُ فَمَاتَرَى (٥٥)
ظَلَّتْ سَنَابِكُهَا عَلَى جِثْمَانِهِ يَلْبَعْنَ دِحْرُوجَ الْوَلِيدِ وَقَدْ قَضَى (٥٦)

- (٤٨) الفرة : الففلة . السوام : الابل السائمة . تضوع : تفرق .
(٤٩) لنودع : لنترك
(٥٠) تقدع : من القدع ، وهو الرمي بالفحش وسوء القول .
(٥١) لا أحجل : لا أسترها واجعلها في حجلة ، وهي بيت للعروس
يزين بالثياب والاسرة والستور .
(٥٢) الاصمعي : الإصمعيات ص ١٦٠
(٥٣) الدعلج : المتردد .
(٥٤) يقال رجل مزؤود : أي مذعور اذا فزع .
(٥٥) المرأس : الرئيس . والاقتصاد : القتل على كل حال . والعشار :
جمع عشراء وهي الناقة مضى عليها من لقحها عشرة أشهر .
(٥٦) سنابكها : يريد سنابك الخيل . الدحروج : شيء يدحرجونه .

والحياة في البادية حياة فروسية ، يعمل الابطال فيها على حماية
 المستضعفين والبائسين ، ونجدة المهوفين ، فتغنى الشعراء بحماية الجار
 واعزاز جانبه ، والابتعاد عن الغدر ، كما تغنوا بكل ما هو من ميزات
 الفروسية الحققة التي ترفع الانسان الى ذروة السمو الانساني ودرجة
 الكمال . فهذا الحادرة يتحدى صاحبه ان تذكر له مرة غدر فيها (٥٧) .
 ويفخر بمنع نفسه من البخل عند طمع الطامع في معرفه ، وبأنه يوجد
 بافضل أمواله ليقبي عرضه ، وبأنه يخوض الغمرات التي تردي الناس
 فيقول (٥٨) :

أسمى ويحك هل سمعت بغدرة رُفِع اللواء لنا بها في مجمع
 انا نَعف فلا تُرِيب حليفنا ونكف شح نفوسنا في المطمع
 ونقي بآمن مالنا احساننا ونجر في الهيجا الرماح وندعي
 ونخوض غمرة كل يوم كريمة تودي النفوس وغنمها للاشجع (٥٩)

وهذا عوف بن عطية يفخر بمنعه الجار حيثما صار فيقول (٦٠) :

أحيي الخليل واعطي الجزيل حياء وأفعل فيه اليسارا
 وامنع جاري من المجحفات ، والجار ممتنع حيث صارا

ومن هنا نستطيع ان نقول ان الفخر كان ظاهرة طبيعية بين الشعراء
 الجاهليين ، اقتضتها حياة القبائل المتحاربة ، فعمت الشعر الجاهلي هذه
 الظاهرة من أقدم عهوده، وامتازت به جماعة من فحول الشعراء ، كعمرو
 ابن كلثوم وعنترة والحارث بن حلزة وعامر بن الطفيل وحاتم الطائي

(٥٧) كان العرب في الجاهلية اذا غدر الرجل رفعوا له بسوق
 عكاظ لواء ليُعرف به بين الناس .

(٥٨) المفضل الضبي : المفضليات ٤٣/١

(٥٩) يقول نخوض الغمرات في الكرائه والصعوبات التي تردي

الناس : أي تهاكهم ، ولا يظفر فيها إلا الشجاع .

(٦٠) المفضل الضبي : المفضليات ٢١٣/٢ .

وعروة بن الورد وقيس بن الخطيم وغيرهم من الشعراء ، والفرسان
الذين تألفت أسماؤهم في باب الفخر .

والشاعر في كل ما تقدم يتحدث عما تعزز به القبيلة ، معددا
أيامها الخالدة ، ومشيدا بصبرها على الملمات . ومن خلال ذلك يصبو
سهام الهجاء الى نحور اعدائه .

فالشعر الحماسي نشأ عند جميع الشعوب نشأة واحدة ، لانه رافق
المعارك التي خاضتها هذه الشعوب ، فكان عظم الحرب وشمولها مدعاة
للفخر ، لان الحرب تستدعي المصاعب ، فعلى الفرسان ركوبها مهما
صعبت وتعاطمت ، قال اوس بن حجر (٦١) :

ارى حرب أقوام تدق وحرينا تجل فنعروري بها كل معظم (٦٢)

ثم راح مع الايام يصور ذكرياتها الدامية ، وانتصاراتها الرائعة ،
متغنيا بالبطولات القومية ، فهو شعر الحرب وشعر الثورة ، وشعر
الغضبة البدوية .

لقد كانت ثقة الفارس قوية بنفسه ، كما كانت معنوياته مثلى
سامية . ويمكن ادراك هذه الثقة من خلال الشعر الجاهلي الزاخر بهذه
المعاني .

لقد ولد هذا النوع من الشعر عند العربي شعورا دقيقا باعتداده
العظيم بنفسه ، واعجابه ببطولته ، لانه شعر الشرف والاباء ، وشعر
الفروسية والفتوة . لقد كانت لذة النصر ونشوة الفوز تحرك المشاعر ،
وتثير الاحاسيس في نفوس الشعراء ، وتلهمهم المعاني المشرقة للتعبير عن
الانفعالات الجياشة في صدورهم .

(٦١) ديوان اوس بن حجر ص ١٢١

(٦٢) يريد اذا حارب غيرنا دقت حربه وضاق نطاقها ، اما حرينا ،
فانها تتسع وتتعاظم ونركب لها المصاعب . نعروري : نركبها عريا ، وفيها
استعارة ، لانه يريد ان يقول نركبها على اصعب احوالها .

وكان الانتصار يمثل الجانب الواسع من جوانب التعبير التي تتجلى فيه المواهب ، وتتجسد الآمال الكبيرة للتغني بالماثر ، وترديد المفاخر التي تجد فيها القبيلة سلاحا تشهره بوجه خصومها ، وميدانا فسيحا يجدد فيه ذكر بطولاتها .

وكما كان الفخر بالانتصار والغلبة ، كان الفخر بالسبي كثيرا ، لانه دليل القوة والظفر ، ولانه يزيد في نشوة المنتصر الغالب . وهو في الوقت نفسه يبعث في نفوس الخصوم الضعف والرهبة ، وفقدان الثقة بالنفس ، قال طفيل الغنوي في رده على زيد الخيل وقد ادرك (بنو عامر) ثأرهم من طي (٦٣) :

وقتلتنا سراتهم جهارا وجئنا بالسبايا والنهاب
سبايا طيء أبرزن قسرا وابذلن القصور من الشعاب
سبايا طيء من كل حي بمن في القرع منها والنصاب

ويقول زهير بن جنان معيرا التغليين بذلك (٦٤) :

تبا لتغلب أن تساق نساؤها سوق الاماء الى المواسم عطلا

وكما كان الحصول على السبايا يمثل مفخرة يعتز بها الفارس ، كان ارجاع السبايا مجالا للفخر أيضا ، وكان ردها الى اهلها مجدا يعتد به ، والمحافطة على الطعينة لقبلا لا يحصل عليه الا من أثبت جدارة ، قال طفيل الغنوي (٦٥) :

فنحن منعنا يوم حرس نساءكم غداة دعانا عامر غير مؤتلى (٦٦)
رددنا السبايا من ثقيل وجعفر وهن حبالى من مخف ومثقل (٦٧)

(٦٣) ديوان طفيل الغنوي ص ٥٧ .

(٦٤) الاصفهاني : الاغاني ٦٤/٢١ ساسي .

(٦٥) ديوان طفيل الغنوي ص ٣٧ .

(٦٦) حرس : موضع . غير مؤتلى : أي لا يألوا ، أي لا يبطئوا .

(٦٧) مثقل : يقال أثقلت اذا عظم بطنها . والمخف : التي لا يثقلها

بطنها . ونفيل وجعفر : قبيلتان .

الهجاء

الهجاء فن من الفنون القديمة في الشعر العربي، وأوجدته المنافسات القبلية التي أرثها السعي وراء الكلا والغدران، كما ساعدت على تسعيه الحروب المستمرة بين القبائل، فكانوا يتهاجون هجاء مرا • ويعتبر فن الهجاء من أكثر فنون الشعر اتصالا بالحياة وبالواقع، وقد افردت له الكتب التي اهتمت باختيار وجمع الشعر الجاهلي ابوابا خاصة به، فأبو تمام في كتابه الحماسة جعل الهجاء بابا من أبواب كتابه، وكذلك فعل في كتاب الوحشيات، وقدامة بن جعفر حين تقسيمه للشعر في كتابيه نقد الشعر ونقد النثر جعل له بابا خاصا ايضا، حدد اقسامه على نسق علمي أخذه الناس عنه وتأثر به كثير من النقاد الذين خلفوه، ثم جاء ابو هلال العسكري فخصص للهجاء بابا في ديوان المعاني، واعقبه ابن رشيق في عمدته •

والهجاء خلاف المدح، فهو يمثل ظاهرة السخط والسخرية، وتتخذ معانيه من سوءات المهجو أو مثاب قومه لتكون مادته، فالمتحضر يلتفت الى نفسه ليشقق منها مادته، والهاجي ينظر الى خصمه لينشر مساويه، ساخرا منه، هازئا من سلوكه •

وقد تحدث الشعراء في هذا الباب عن المثالب الحربية التي تصور الخصوم بصور غير مستحسنة، ويشمل هذا تجريدهم من صفات البطولة، وما يتصل بها من قيم ومثل، فالمهجون قوم لا يدافعون عن الحمى، ولا يلبون دعوة من يناديهم، وهم ليسوا اهل حرب، يحجمون عن القتال، ولا يثبتون في المعركة، يقبعون في بيوتهم مع النساء والعجزة والاطفال، ولا يخوضون معمعان الحرب، ويفرون من المعركة تاركين وراءهم القتلى والجرحى • ومن هنا نجد ان الهجاء يدور في غالب الاحيان على كل ما يناقض مثلهم التي عاشوها •

والظاهر في هذا النوع من الشعر انه لم يكن هجاء عميقا او معقدا ، وانما هو حماسة واضحة مستمدة من طبيعة الحياة ، يقف الشاعر فيها عند افكار عامة ، وصور مأخوذة من القيم المتميزة التي عاشها المجتمع الجاهلي ، والتي كانت تسود هذا المجتمع . وكانت في الغالب تثيرها الانساب ، ويسعرها تاريخ البطولات ، وكان ذلك مادة الشاعر التي يصنع منها ما يريد . وهو في هذه الحالة أقرب الى المؤرخ منه الى الشاعر ، لان مهمة الشاعر في هذا المجال صعبة ، فعليه ان يعرف تاريخ الانساب ، وما يشين خصومه من مثالب ، وما يزين قومه من مفاخر ، ليستطيع ان يقرع الحججة بالحجة ، ويثبت القول بالبرهان . وقد كان لسرعة البديهة في مثل هذه المجالات تأثير كبير في الرد السريع على الخصوم .

وما المنافرات الا ثمرة من ثمار الهجاء ، لانها تعتبر من اقدم ما عرفه الادب العربي من صور الهجاء .

والملاحظ في هجاء هذه الفترة ، انه مظهر مشترك من مظاهر الحياة السائدة ، فلا يمكن ان يكون الهجاء هجاء خالصا لذاته ، معبرا عن غرض واحد - وان كانت هناك بعض القصائد التي انفردت بموضوع الهجاء ، ولكنها قليلة اذا قيست بغيرها من الاغراض - وانما هو في الغالب مزيج من الانفعالات المختلطة بالحماسة والفخر في وقت واحد . فاذا اراد الشاعر ان يهجو شخصا فهو يقارنه بنفسه ، فاذا نعته بالجبن اضفى على نفسه صفة الشجاعة ، واذا عيّر به بالبخل أعطى لنفسه صفة الكرم ، واذا نسب اليه عدم حمايته الجار قلد نفسه صفة المروءة . وهكذا نجد شعر الهجاء في هذه الفترة بالذات شعرا يتجاوب في ابياته مع التقاليد التي سادت ، والمثل التي تعارف عليها الناس . وهذا لا يمنع من ان يكون الهجاء متبادلا بين أفراد قبيلة واحدة ، كما وقع بين عامر بين الطفيل وعلقمة

بن علاثة (٦٧) • وحتى بين افراد من عائلة واحدة اذا دعت الحاجة الى ذلك ، فقد هجا عميرة بن جُعل قومه ، وذكر انهم لم يؤتوا في لؤمهم من قبل امهاتهم ، وانما أتوا من قبل ابائهم ، وان المرأة الكريمة منهم تتزوج الرجل المسروق النسب ، ومن ذلك جاءتهم الهجئة ، ثم انحى عليهم بأنهم يرضون بالذل ويشتاقونه ، واذا ما اخذتهم العزة فرحلوا عن منزل الذل ، ادركهم ذلهم فتعادلوا لهم تركوه ، وبعثوا وفدهم الى أهل ذلك المنزل يستقبل خبيثتهم التي اخطؤها بانتقالهم • وفي هذه الايات صورطريقة جديدة تستحق الدراسة والوقوف فيقول (٦٨):

كسا الله حيي تغلب ابنة وائل من اللؤم اظفارا بطيئا نصولها
فما بهم ان لا يكونوا طروقة هجانا ، ولكن عفرتها فحولها
تري الحاصن الغراء منهم لشارف أخي سكة قد كان منه سليلها
قليلا تبغيها الفحولة غيره

اذا استسعلت حنان ارضٍ وعولها (٦٩)

اذا ارتحلوا من دار ضيم تعادلوا عليهم ، وردوا وفدهم يستقبلها
ان المقاييس التي كانت تعترف بها القبائل في تلك الفترة مستمدة
من تقاليدها ، فالشخص الذي لا يطعم جاره ، وينام مليء البطن في
الوقت الذي يتصور هذا الجار جوعا ، شخص يستحق الهجاء ، وهو
شخص بعيد عن تقاليد العرب ، يجد فيه الشاعر المفخر مادة للاستعلاء
عليه • وهي النقطة التي ينطلق منها للتقليل من قيمته ، فكان هذا
الشعر يلاقي هوى في نفوس جمهرة الناس ، فيحكمون على مثل هذا
الكلام بأنه اهجى بيت قالته العرب كما حصل ذلك ، بالنسبة لقول
الاعشى (٧٠):

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى بيتن خمائصا

(٦٧) الاصفهاني: الاغاني ١٦/٢٨٣ دار الكتب .

(٦٨) الفضل الضبي: المفضليات ٢/٦٣ .

(٦٩) استسعلت: صارت كالسعلاة .

(٧٠) ديوان الاعشى ص ١٩

فالعرب نشأوا في الجاهلية على اخلاق اجتماعية حافظوا عليها ،
وتمسكوا بها ، فكانت لهم مثل عليا يمدحون من يأخذ بها ، ويذمون
من يحمدها . وقد عرفنا ان الشجاعة والكرم وغيرها من الصفات
متوارثة ومقدسة ، لذا فالشاعر يحاول ان يطعن خصمه من ناحيتها ،
ويسعى الى تجريده منها ، ليسلبه القدرة على الدفاع .

فهذا الاسعر الجعفي يهجو اخوته لايه ، لانهم باعوا فرس أبيهم
فأكلوا ثمنها ، وآثروا تزويج امهم بعد تسمينها فيقول (٧١) :
باعوا جوادهم لتسمن أمهم ولكي يعود على فراشهم فتى

وزهير بن ابي سلمى يهجو الحارث بن ورقاء الصيداوي الذي
أغار على بني عبدالله بن غطفان ، فغنم واستاق ابل زهير وراعيه يسارا
فيقول (٧٢) :

يا حار لا ارمين منكم بداهية لم يلحقها سوقة قبلي ولا ملك
فاردد يسارا ولا تعنف علي ولا تمعك بعرضك ان الغادر المعك (٧٣)
ولا تكونن كأقوام علمتهم يلوون ما عندهم حتى اذا نهكوا
طابت نفوسهم عن حق خصمهم مخافة الشر فارتدوا لما تركوا
لئن حلت بجو في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فذك (٧٤)
ليأتينك مني منق قذع باق كما دنس القبطية الودك (٧٥)

لقد كان الشاعر يلجأ الى الهجاء بدافع الخصومة والتنافس لينال
من عدوه ، وليسجل مثالبه ، رغبة في اضعاف معنوياته ، وبث روح

(٧١) الاصمعي : الإصمعيات ص ١٥٧ .

(٧٢) شرح ديوان زهير ص ١٨٠ دار الكتب .

(٧٣) الملوك : بسكون العين ، المطل .

(٧٤) جو : واد . ودين عمرو : طاعته . وفذك : قرية بالحجاز بينها

وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة افاءها الله على رسوله (ص) في سنة
سبع صلحا .

(٧٥) القذع : القبيح . القبطية : كل ثوب ابيض . الودك : الدسم .

التخاذل والخور بين صفوف خصومه ، وكان قصيده نشيدا يردده
الانصار ، معتزين به في خذلان الاعداء .

لقد حرص العربي منذ نشأته الاولى على السمعة الحسنة ،
والصيت الطيب، والذكر الحميد . فنزع الى التعلق بالشرف والارومة ،
وتمسك بطيب النسب ، فافتخر به ، واشاد بذكره ، لانه كان يشل
قومية العربي في تلك الفترة . فعاش طوال حياته محافظا عليه ، معتدا
بتمجيده ، وهو يظهر حزنه اذا تفرق قومه ، وتبدد شملهم ، وتشنت
أمرهم بعد الاتحاد والعزة والقدرة ، ويدفعه ذلك الى هجائهم اذا وجد
فيهم رضوخا لدفع الديات ، وقبولا لتسليم الضرائب الثقيلة، والاتاوات
الباهظة ، فهذا جابر بن حني التغلبي يلوم قومه فيقول (٧٦) :

لتغلب أبكي اذا اثارت رماحها	غوائل شر بينها مثلهم
وكانوا هم البانين قبل اختلافهم	ومن لا يشد بنيانه يتهدم
اذ انزلوا الشجر المخوف تواضعت	مجارمه واحتله ذو المقدم
انقت لهم من عقل قيس ومرثد	اذا وردوا ماء ورمح بن هرثم
وفي كل اسواق العراق اناوة	وفي كل ماباع امرؤ مكس درهم (٧٧)

على ان الهجاء في هذه الفترة كان عفيفا وبعيدا عن الاثارة والاقذاع،
ولم ينزل الى مستوى السب الجارح او الشتم القبيح ، وهو في الواقع
أقرب الى اللوم منه الى الهجاء، وقد فضل النقاد القدامى قول اوس بن
حجر في الحكم بن مروان بن زنباع العبسي وكان قد مدحه فلم يشبه (٧٨) :
اذا ناقة شدت برحل ونمرق الى حكم بعدي فضل ضلالها (٧٩)

-
- (٧٦) المفضل الضبي : المفضليات ١٠/٢ .
(٧٧) الاتاوة : الخراج . المكس : دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع
في اسواق الجاهلية .
(٧٨) ديوان اوس بن حجر ص ١٠٠ .
(٧٩) النمرق : كساء يوضع على الناقة .

وقال صاحب العمدة^(٨٠) : خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها
فلا يقبح بمثلها • وقال خلف الاحمر^(٨١) : اشد الهجاء اعفه واصدقه •
وقال مرة اخرى : ما عف لفظه وصدق معناه •

وذكروا ان النابغة سألت قومه بني ذبيان بعد واقعة حسي عما
قالوه في عامر بن الطفيل ، فانشدوه فقال : افحشتم على الرجل وهو
شريف ، لا يقال له مثل ذلك ، ولكنني سأقول • ثم قال :

فان يك عامر قد قال جهلا فان مطية الجهل السباب
فكن كأبيك أو كأبي براء تصادفك الحكومة والصواب
فلا يذهب بلبك طائشات من الخيلاء ليس لهن باب
فانك سوف تحلم أو تناهي اذا ما شبت أو شاب الغراب

فلما بلغ عامرا ما قال النابغة ، شق عليه وقال : ما هجاني أحد
حتى هجاني النابغة ، جعلني القوم رئيسا وجعلني النابغة سفيها
وجاهلا وتهكم بي^(٨٢) :

ومن لطيف تجافيهم عن الهجوم ما قاله صخر بن عمرو أخوالخنساء،
وقد أراد رثاء أخيه معاوية فقالوا له : أهج قتلته ، فتعفف وقال :
وقالوا ألا تهجو فوارس هاشم ومالي واهداء الخنى من شماليا
فعبر عن الهجوم باهداء الخنى •

ولهذا لم يكن الهجاء عند العرب سبابا وافحشا واقتداعا ، وانما

(٨٠) رواية عن ابي عمر بن العلاء ج ٢ ص ١٦١ .

(٨١) ابن رشيقي : العمدة ١٦٢/٢

(٨٢) ابن رشيقي العمدة ١٦٣/٢ - وتروى هذه الايات في مجموعة
الاعلم ضمن ديوان النابغة ، بعد خبر يذكر فيه ان النابغة قال لقومه : ان
عامرا له نجدة وشعر ولسنا بقادرين على الانتصاف منه ، ولكن دعوني
أجبه واصغر اليه نفسه وافضل اباه وعمه عليه ، فانه يرى انه افضل
منهما • واعيره بالجهل والصبأ فقال هذه القصيدة - ج ١ ص ١٩٢ -

كان سلبا للخلق الرفيع ، او فصلا للمرء من مجموع الخلق الحي الذي
يؤلف قومية الجماعة •

وقد امتاز هجاء الاشراف عن هجاء غيرهم من عامة الناس ، وقد
ادرك الشعراء هذه الحقيقة فكانوا يغمزون الاشراف بما يجدون فيه
ايداء لهم ، والى ذلك يشير الجاحظ في قوله : « واذا بلغ السيد في
السؤدد الكمال ، حسده من الاشراف من يظن انه الاحق به ، وفخرت
به عشيرته ، فلا يزال سفيه من شعراء تلك القبائل قد غاضه ارتفاعه على
مرتبة سيد عشيرته فهجاه • ومن طلب عيبا وجده • فان لم يجد عيبا
وجد بعض ما اذا ذكره ، وجد من يغلظ فيه ويحمله عنه • ولذلك
هَجِيَّ حِصْنُ بن حذيفة ، وهَجِيَّ زُرَّارة بن عَدَس ، وهَجِيَّ
عبدالله بن جدعان ، وهَجِيَّ حاجب بن زرارة • وانما ذكرت لك هؤلاء
لانهم من سؤددِهم وطاعة القبيلة لهم ، لم يذهبوا فيمن تحت أيديهم
من قومهم ومن حلفائهم وجيرانهم ، مذهب كليب بن ربيعة ، ولا مذهب
حذيفة بن بدر ، ولا مذهب عيينة بن حصن ، ولا مذهب لقيط بن
زرارة ••• فان هؤلاء وان كانوا سادة فقد كانوا يظلمون ، وكانوا بين
ان يظلموا وبين ان يحتملوا ظلما ممن ظلمهم • ولا بد من الاحتمال كما
لا بد من الانتصار (٨٣) •

وكان أثر الهجاء عنيفا على النفوس ، قويا على المهجوبين ، وكثيرا
ما كان يدفعهم الى البكاء بالدموع الغزار ، وهذا من أدلة كرم العرب ،
وقد حفل التاريخ بأسماء الكثيرين من العرب ممن كان الهجاء سببا
في بكائهم ، فقد بكى مخارق بن شهاب ، وبكى علقمة بن علاثة ، وبكى
عبدالله بن جدعان (٨٤) •

وقد كان الهجاء سلاحا لا يقل عن اسلحتهم في القتال ، لذلك قرنه

(٨٣) الجاحظ : الحيوان ٩٣/٢

(٨٤) نفس المصدر ٣٦٤/١

عبد قيس بن خفاف البرجمي بسائر اسلحته ، حيث يقول (٨٥) :

فأصبحت اعددت للنائبات عرضا بريئا وعضبا صقيلا
ووقع لسان كحد السنان ورمحا طويل القناة عسولا

ان بقاء ذكر الهجاء في الاعقاب كان يخيف العربي ، وهذا مادفعهم
الى اخذ الموائيق على الشعراء اذا أسروهم ، وربما عمدوا الى شد
أسنتهم كما صنعوا بعد يعوث (٨٦) .

ولم يكن يسلم من ضروب الهجاء الا القبائل المغمورة والمنسية ،
حيث لا يكون فيها خير كثير ، ولا شر كثير ، فتسلم من ان يضرب بها
المثل ، بخلاف القبائل المذكورة المشهورة (٨٧) .

والهجاء بعد هذا لم يكن غرضا يقصده الشاعر لاجل التعرض
والتسلية ، وانما كان يصدر عن عاطفة صادقة يحسها الشاعر ، وتجربة
يبر بها ، فاذا لم يقتنع بذلك امتنع عن قوله . فقد قال حسان بن ثابت
للخنساء : « أهجي قيس بن الخطيم ؟ فقالت : لا أهجو أحدا ابدا
حتى أراه . قال : فجاءته يوما فوجدته في مشرقة ملتقا في كساء له ،
فخنسته برجلها وقالت : قم فقام ، فقالت : أدبر ، فأدبر ، ثم قالت :
أقبل ، فأقبل ، قال : والله لكأنها تعترض عبدا تشتريه ، ثم عاد الى حاله
نائما ، فقالت : والله لا اهجو هذا ابدا (٨٨) .

وكان من العرب من لا يطيل الهجاء ، ولا يكثر منه ، وانما
يكتفي بالبيت الواحد اذا ادى المعنى المقصود ، وصور العيب الذي
يريده . وقد قيل لعقيل بن علقه لم لا تطيل الهجاء ؟ فقال يكفيك
من القلادة ما حاط بالعنق ، وقيل لابي المهوش : لم لا تطيل الهجاء ؟

٨٥) المفضل الضبي : المفضليات ٢/ ١٨٦

(٨٦) نفس المصدر ١/ ١٥٤

(٨٧) الجاحظ : الحيوان ١/ ٣٥٧ - ٣٦٣

(٨٨) الاصفهاني : الاغانى ٣/ ١٠

فقال لهم أجد المثل السائر الا بيتا واحدا^(٨٩) . لذا كان معظم الهجاء يساق في تضاعيف الحماسة والاشادة بالمفاخر والانتصارات .

لقد ارتبط فن الهجاء بالسحر والاهوام ، وقد كانت العرب تزعم ان لكل شاعر شيطانا له اسم معين ، يسمونه تابعا أو هامسا ، ولهم في ذلك أقاصيص كثيرة رويت في اخبارهم ، وترددت في اشعارهم^(٩٠) . كما ذكرت الاخبار ان الشاعر كان اذا اراد الهجاء لبس حلة خاصة لعلها كحلل الكهان ، وحلق رأسه ، وترك له ذؤابتين ، ودهن احد شقي رأسه ، واتتعل نعلا واحدة مبالغه في مسخ شكله ، وتشويه خلقته ، واعتقادا منه بأن ذلك يساعد على زيادة القوة الخفية التي تمده بالشعر ، لتزيد لعناته على المهجوج . وكان شاعر الهجاء كان يتخذ نفس الشعائر التي يصنعها في حجه واثناء دعائه لربه ، حتى تصيب لعنات هجائه خصومه بكل ما يمكن من الوان الاذى وضروب النحس المستمر^(٩١) .

وكان الهجاء كان في يد الشاعر سحرا يقصد به تعطيل قوى الخصم بتأثير سحري ، كما كانوا يعتقدون ان الشاعر الهجاء يلقي من الجن ، فهو أليق ببعث الرهبة في النفوس ، لانه كلمات تقال فيها معاني الشر واستمطار اللعنات . ومن هنا جاء اعتقادهم بالقوة الخفية التي تكمن وراء الهجاء ، وانها قادرة على اصابة كل من تحل به . فاذا سرق أحدهم ابلا لغيره ، او اموالا وتوعده المسروق بالهجاء ، اضطر الى ردها الى اصحابها كما مر بنا في قصيدة زهير^(٩٢) .

ان معاني الهجاء بالنسبة للفرسان لم تخرج عن معاني اللوم والعتاب الذي كان الفرسان يؤكدون عليها ، والتي كانت ذات صلة وثيقة

(٨٩) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص ١٩٥

(٩٠) ديوان الاعشى ص ١٥ ، ص ٣٣ .

(٩١) شوقي ضيف: العصر الجاهلي ص ١٩٧

(٩٢) ديوان زهير: ص ١٨٠ دار الكتب .

بحياتهم • ومن هنا كان الهجاء انعكاسا للقيم التي كانوا يجدون فيها
نقصا ، فيصمون اعداءهم بهذه الصفات • فالمهجو انسان فرار من
الحرب ، لا يحمي حماه ، ولا يذود عن قبيلته ، ولا يكرم ضيفه ، ولا
يحمي جاره ، والهجاء في هذه المرحلة كان يأخذ طابع الانصاف في بعض
الاحيان ، فتبدو القصائد معتدلة لا مبالغة فيها ، يذكر فيها الشاعر ما
وقع له وما وقع لخصومه ، يذكر ذلك دون تحيز ، والمهجو فارس لم
يتجرد من صفات الفروسية ، والشاعر عندما يتحدث بهذا الاسلوب
لم يكن حديثه من باب الانصاف وحده ، وانما فيه تأكيد على علو كعبه
لان اضافة طابع الشجاعة على الخصم يعني بسالة المقاتل نفسه ، وتمتعه
بالشجاعة والبطولة وما معلقة عمرو بن كلثوم الا دليل على هذا
الانصاف (٩٣) •

(٩٣) الإنباري : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٣٩٧
الابيات ٣٥-٣٦ •

الرثاء

يشغل الرثاء جانبا عظيما من الشعر الجاهلي ، لاتصاله اتصالا وثيقا بالحماسة ، ولانه في اكثره مصروف الى فرسان العشيرة وساداتها الذين لهم المآثر المحموده . وليس بين الرثاء والمدح فرق ، الا انه يخلط بالرثاء شيء يدل على ان المقصود ميت^(٩٤) . وسبيل الرثاء ان يكون ظاهر التفجع ، بين الحسرة ، مخلوطا بالتلهف والاسف والاستعظام^(٩٥) . واروع الرثاء ما ندب به الابطال في حومات القتال ، لان الشعراء في بكائهم ، وفي تعداد مناقب الموتى ، يثيرون الاحقاد ، ويشحذون العزائم ، ويهيجون القبيلة للحرب ، ويدعون الى الاخذ بالثار . وقد اصطبغ الرثاء بهذه الالوان حتى اصبح سنة من سننه .

فهذه الخنساء ترثي صخرًا فتقول^(٩٦) :

ألا ابلغا عني سُلَيْمًا وعامرا
ومن كان من حيي هوازن شاهدا
بان بني ذبيان قد عرفوا لكم
اذا ماتا لقيتم بان لا تعاودا
ونحن قتلنا مالكا وابن اخته
ولا سلم حتى يشفين عوائدا

وهذه أم ندبة - زوجة حذيفة بن اليمان - ترثي ابنها وتلوم زوجها على قبول الديه ويمكن اعتبار هذه القصيدة من الموثبات في الشعر الجاهلي^(*) :

حذيفة لا سلمت من الاعادي ولا وقيت شر النائبات

(٩٤) ابن رشيقي : العمدة ١٣٩/٢ ، قدامة بن جعفر : نقد

الشعر ٩٨/

(٩٥) ابن رشيقي : العمدة ١٤٠/٢

(٩٦) لويس شيخو : انيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء

ص ٤٨ بيروت ١٨٩٦

(*) لويس شيخو : رياض الادب في مرآي شواعر العرب .

أَيَقْتَلُ نَدْبَةَ قَيْسٍ وَتَرْضَى بِأَنْعَامٍ وَنُوقٍ سَارِحَاتٍ
أَمَّا تَخْشَى إِذَا قَالَ الْإِعَادِي حَذِيفَةَ قَلْبِهِ قَلْبَ الْبَنَاتِ
فَخِذْ ثَارًا بِأَطْرَافِ الْعَوَالِي وَبِالْبَيْضِ الْحَدَادِ الْمَرْهَفَاتِ
وَإِلَّا خَلْنِي أَبْكَى نَهَارِي وَلَيْلِي بِالدَّمُوعِ الْجَارِيَاتِ
لَعَلَّ مَنِيَّتِي تَأْتِي سَرِيعًا وَتَرْقِينِي سَهَامَ الْحَادِثَاتِ
أَحِبَّ إِلَيَّ مَنْ بَعَلَ جَبَانَ تَكُونُ حَيَاتُهُ أَرْدَا الْحَيَاةِ

والمهلهل بن ربيعة الذي عرف بمراثيه لكليب يقول في احدي
مراثيه (٩٧) :

كَلِيبٌ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا إِنْ أَنْتَ خَلَيْتَهَا فِي مَنْ يَخْلِيهَا
كَلِيبٌ أَيَّ فِتْنَةٍ وَمَكْرَمَةٍ تَحْتَ السَّفَاسِفِ إِذْ يَلُوكُ مَا فِيهَا
نَعَى النِّعَاةَ كَلِيبًا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ مَا دَتْنَا الْأَرْضَ أَمْ مَا دَتَّ رَوَاسِيهَا
لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَيَّ مِنْ تَحْتِهَا وَقَعَتْ وَحَالَتِ الْأَرْضَ فَانْجَابَتْ بَيْنَ فِيهَا

وقد كان الرثاء يتضمن المباهاة بالميت ، وتعظيم صفاته بالفاظ
يتقاطر منها الاسى والدمع ، فيختلط الاعجاب بالحزن ، والفخر
بالانتقام .

فهم يصفون الميت بجميع الفضائل التي يفاخرون بها ، بأسلوب
يتضح فيه التفجع والتلهف ، وينعون الصفات التي كان يتصف بها
وكأنها ذهبت بذهابه ، واندثرت بموته .

فهذا اوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة فيقول (٩٨) :

أَلَمْ تَكْسِفِ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ وَالْكَوَاكِبُ لِلْجَبَلِ الْوَاجِبِ (٩٩)
لَفَقْدِ فَضَالَةَ لَا تَسْتَوِي إِلْفَقُودِ وَلَا خَلَةَ الذَّاهِبِ (١٠٠)

(٩٧) اويس شيخو : شعراء النصرانية ١٦٦/١ .

(٩٨) اوس بن حجر : الديوان ص ١٠ .

(٩٩) الواجب : الساقط الذاهب

(١٠٠) الخلة : الخلل الذي قد تركه وكان مستودا به .. واصل

الخلة : الثامة .

ألهدفا على حسن اخلاقه على الجابر العظم والحارب (١٠١)
على الاروع السقب لو انه يقوم على ذروة الصاقب
والخنساء ترثي صخرا ، وتنعي المجد والجود ، لانهما ماتا
بموته ، وذهبا بذهابه فتقول (١٠٢) :

وقائلين تعزي عن تذكركه فالصبر ليس لامر الله مردود
يا بدر قد كنت بدرا يستضاء به فقد مضى يومت المجد والجود
وللمهلل قصائد كثيرة يبكي فيها الحزم والعزم ، لانها درسا
بعد كليب ، ويندبه لانه قائد الخيل يوم المعركة ، وناحر الكوم ساعة
الكرم ، وواهب المئة الحمرا اذا دعا داعي العطاء .. لان هذه
الصفات كانت تتجلى فيه ، وتمثل في افعاله (١٠٣) :

أصخت منازل بالسلان قد درست تيكي كليبيا ولم تفرع اقاصيها
الحزم والعزم كانا من صنيعته ما كل الآئه يا قوم احصيها
القائد الخيل تردي في اعنتها زهوا اذا الخيل بحت في تعاديها
الناحر الكوم ما ينفك يطعمها والواهب المئة الحمرا يراعيها

فالشاعر في هذا يجمع بين الندب والتأبين والعزاء ، وبكاؤه بكاء
لكل الصفات الخيرة التي يضيفها على الميت . وهذا دريد بن الصمة
ينفي أنواع التشكي كلها عن أخيه عبدالله ، فهو لا يتألم للنوائب
تنزل بساحته ، والمصائب تتجدد عليه في ذويه وعشيرته ، وانه يحفظ من
يومه ما يتعقب افعاله من احاديث الناس في غده ، وهو نقي الافعال من
العيوب ، طيب الاخبار في افواه الناس ، صبور على العزاء . ثم يصفه
بقلة الطعم مع اتساع الحال ، فترى بطنه منظويا والزاد معد ، لانه

(١٠١) الحارب : المحارب او الذي يسلب ائناس اموالهم في الغزو .

(١٠٢) لويس شيخو : انيس الجساء في شرح ديوان الخنساء

ص ٥٥ .

(١٠٣) لويس شيخو : شعراء النصرانية ١/١٦٦

يؤثر به غيره على نفسه ، فهو يغدو في القميص الممزق اذ كان يبتذل
نفسه فيما كان يكسبه فخرا وعلوا • فيقول (١٠٤) :

قليل التشكي للمصيبات حافظ " من اليوم اعقاب الاحاديث في غد
تراه خيمص البطن والزاد حاضر عتيد ويغدو في القميص المتقدد

واذا لم يجد الشاعر الجاهلي بدا من الميتة التي مات عليها الميت ،
استسلم للقضاء ، وعندها يبدأ بتعزية نفسه بذكر مصائب الدهر ، وان
الحياة لا تدوم ، وان الموت لا مهرب منه لكل حي مهما تمكن من القوة
والصلاية ، وان الانسان عاجز امام الموت ، ضعيف حيال سطوته ••

فهذا لبيد يرثي أخاه اربد فيقول (١٠٥) :

بكيننا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع (١٠٦)
فلا جزع ان فرق الدهر بيننا وكل فتى يوما به الدهر فاجع

والنافعة الذياني في رثائه للنعمان بن الحارث يكرر نفس المعنى
فيقول (١٠٧) :

فان تك قد ودعت غير مذمم اواسي ملك ثبتتها الاوائل
فلا تبعدن ان المنية موعد وكل امريء يوما به الحال زائل

وقد قامت المرأة بقسط كبير في البكاء ، فشاركت الشعراء فيه ،
حتى لا نكاد نفرق بينهما في جوهر الرسالة التي يؤديانها للقبيلة ،
بل وربما كان للنساء الحظ الاوفر منه • فكن يلطنن الوجوه ، ويقرعن
الصدور ويشققن الجيوب ، ويقمن المآتم •

وطبيعي ان تكون النساء اشجى الناس قلوبا عند المصيبة ،

(١٠٤) المرزوقي : حماسة ابي تمام ٢/ ٨٢٠

(١٠٥) شرح ديوان لبيد ص ١٦٨ •

(١٠٦) المصانع : القصور

(١٠٧) شعر النافعة في مجموعة الاعلم ١/ ١٩٧

واشدهم جزعا على الهالك (١٠٨) •

لقد كان الرثاء يعتمد على الانفعال بالتجربة الانسانية ، وتصوير
الاحساس بالفجيعة ، لانه ينبع من احساس الشاعر بارتباط المرثي
بالجماعة ارتباطا وثيقا ، ومن شعوره بالفراغ الذي يتركه وراءه ، لذا
فقد ارتبطت عباراته ومعانيه ارتباطا نفسيا واجتماعيا باوضاع المجتمع
الجاهلي •

والشاعر الجاهلي علي الرغم من تسليمه بالموت حقيقة واقعة ،
لكنه يحاول ان يعلله باسباب كما جاء في مرثية دريد بن الصمة لاخيه
عبدالله ، فهو مقدم صائب الرأي ، حلیم فيما يأتيه ، لا يطيش زهوا ،
ولا يؤثر على الصواب شيئا (١٠٩) :

فان يك عبدالله خلى مكانه فما كان وقافا ولا طائش اليد

او ان الشاعر يخفف من ألم المصيبة عنه بذكر طاعته للمرثي ،
واحتشامه منه مدة حياته ، واعظامه اياه في القول عند مخاطبته ، والعقل
وقت مجالسته ولدى معاملته ، وفي ذلك ما يهون وجد الشاعر ، ويقلل
من شدة حزنه وولعه (١١٠) •

وطيب نفسي اني لم اقل له كذبت ولم ابخل بما ملكت يدي

ويبالغ الشاعر الجاهلي في تصويره للمرثي مبالغة كبيرة ، فالقتل
لا يرضي الا المرثي لانه كريم ، والدهر يأبى في الاختيار ان يكون حظه
غيره ، وان القتل وقبيلته لم يرضوا من احداث الزمان فيهم الا بالقتل ،
اذ كان ذلك عندهم احسن الميتات واکرمها ، فكأنهم قدروا للقتل
وقدر القتل لهم (١١١) •

(١٠٨) ابن رشيقي / العمدة ١٤٥/٢ •

(١٠٩) المرزوقي : حماسة ابي تمام ٨٢١/٢

(١١٠) نفس المصدر ٨٢١/٢

(١١١) المرزوقي : حماسة ابي تمام ٨٢٤/٢

ابى القتل الا آل صمة إنهم أبوا غيره والقدر يجري الى القدر
ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد
وقد تدفع المبالغة الشاعر الى دعائه على الناس كافة بان لا يهنتهم
الله بما يرعونه من حمى ، وما يحوزونه من مال ولهى ، ويسوقون من
اهل وولد ، ويجمعونه من عتاد وذخيرة ، مجسداً بذلك شعوره العميق
بعدم جدوى الحياة بعد الميت ، قال النابغة يرثي اخاه (١١٢) :

لا يهنيء الناس ما يرعون من كِلا وما يسوقون من اهل ومن مال
بعد ابن عاتكة الثاوي على أبوى أمسى ببلدة لا عم ولا خال
وهذا مسافع العسبي (١١٣) يستقبح السرور بعد ان فجع بيني عمرو ،
لان السرور كان يتصل بحياتهم ، والغم كان يحذر مخافة ان يكون فيهم ،
حتى اذا مضوا لسبيلهم ، فلا شيء من اعراض الدنيا يستحق الفرح او
الحزن ، ولكن الاعتصام بحبل الصبر هو الاولى والاحب ديننا
ودنيا .

أبعد بني عمرو أسر بمقبل من العيش او آسى على اثر مدبر
وليس وراء الشيء شيء يرده عليك اذاولى سوى الصبر فاصبر
والحديث عن الدهر في قصائد الرثاء كثير ، فهو يرمي سهام الموت
فلا تطيش ولا تخطيء ، واذا ما رمى واصاب فلا عودة لمن يصيبه (١١٤) .

ارى الدهر يرمي ما تطيش سهامه وليس لمن قد غاله الدهر مرجع
والبكاء والحزن لا يجديان نفعا مهما طالاً ، ولو كان الفداء يرجع
الميت لاقتدى بالاهل والاموال ، ولكن للموت — كما ذكرنا — سهام
اذا اصابت المرء لا يغنيه طب طيب ، ولا رقية راق ، قالت اخت ربعة

(١١٢) المرزوقي : حماسة ابى تمام ج ٢ ص ٩٠١

(١١٣) المرزوقي : حماسة ابى تمام ج ٢ ص ٩٨٩

(١١٤) انيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء ص ١٦٣

بن مكرم فارس كنانة (١١٥) :

ابكي على هالك اودى فأورثني بعد التفرق حزنا بعده بافي
لو كان يرجع ميتا وجد ذي رحم اديم لي سالما وجدي واشفاقي
او كان يفدى لكان الاهل كلهم وما أثمر من مال له واقي
لكن سهام المنايا من نصبتن له لم يثجبه طب ذي طب ولا راقي
فعلام الجزع وعلام البكاء ، فالدواهي تفرع كل القلوب ،
والمصائب تنزل بكل الناس كما يقول لبيد (١١٦) :

اتجزع مما احدث الدهر بالفتى وأي كريم لم تصبه القوارع
وقد تصل بعض قصائد الرثاء درجة من العاطفة الصادقة والمشاعر
المرهفة ، لصدورها عن قلب موجد ، وفؤاد ملتاح ، كما جاء في قصيدة
متمم بن نويرة ، الذي ادعى ان اسباب الحزن ومهيجاته تتشابه ، فكل
منها يقوم مقام الآخر ، فالحزن يهيج الحزن ، والشجا يبعث الشجا، وان
كل قبر ينتهي اليه يذكره قبر اخيه ، اذ ليس له في قبره الا مثل
ما له في القبور كلها (١١٧) :

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك
يقول ابكي كل قبر رأيتيه لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الشجا يبعث الشجا فدعني فهذا كله قبر مالك
وكذلك قصيدة دريد بن الصمة التي اعرب فيها عن فداحة رزئه ،
وولاه لذلك المصاب العظيم (١١٨) .

ومن عادة القدماء ان يضربوا الامثال في المراثي بالملوك الاعزة ،

(١١٥) الاصفهاني : الاغانى ١٦/٦٢ در الكتب

(١١٦) شرح ديوان لبيد ص ١٧٢

(١١٧) المرزوقي : حماسة ابي تمام ٢/٧٩٧

(١١٨) الاصمعي : الاصمعيات ١٠٩ ، شعراء النصرانية ١/١٦٦

والامم السالفة ، والوعول الممتنعة في قتل الجبال ، والاسود الخادرة (١١٩) في الغياض (١٢٠) ، وبحمر الوحش المنصرفة بين اتقفار ، والنسور والعقبان والحيات ، لبأسها وطول اعمارها (١٢١) .

وطبيعي أن يكون الرثاء بعيدا عن النسب ، فليس من عادة الشعراء ان يقدموا قبل الرثاء نسيبا كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء ، وان المتعارف عند اهل اللغة انه ليس للعرب في الجاهلية مراثية اولها تشبيب الا قصيدة دريد التي رثى فيها اخاه عبدالله (١٢٢) والتي مطلعها : ارث جديد الجبل من ام معبد بعاقبة ام اخلفت كل موعد

فالرثاء يكاد يكون في كثير من الاحيان صورة من صور الحماسة ، او مظهر من مظاهرها ، لان الشاعر يحاول ان يضيف على المرثي كل صفات البطولة ، كما يحاول ان يحرض على الاخذ بثأره اذا كان الموت قتلا . ومن الجدير بالذكر ان نذكر ان اغلب قصائد الرثاء لم تكن رثاء قاصرا على البكاء وحده ، وانما يختلط بالتهديد ، والاخذ بالثأر والفخر ، الا قصائد قليلة تتمثل في شعر النساء الذي انطلق من افواههن فكان قصائد خالصة للرثاء . وقد حفل الادب العربي بكثير من هذه القصائد التي اطلق على بعضها اسم الموثبات ، لما تشببه في نفوس القوم من حماس ، وما تبعته فيهم من اثارة فكان الحماس عنصر من عناصره وداع من دواعيه .

(١١٩) اسد خادر ، أي داخل الخدر ، ويعني بالخدر الاجمة .
(١٢٠) الفيضة : الاجمة ، وهي مفيض ماء يجتمع ، فينبت فيه الشجر والجمع غياض .

(١٢١) ابن رشيق ١٤٣/٢
(١٢٢) ابن رشيق : العمدة ١٤٤/٢ . وقد لاحظنا ان هناك قصائد أخرى قيلت في الرثاء وافتتحت بالتشبيب كمرثية المرقش الاكبر في ابن عمه ثعلبة بن عوف (الفضليات ج ٤ ص ٣٧) .

أثر الحرب في شعر الفروسية

لم يكن منظر الحرب من المناظر الطبيعية التي ألفها الفرد ، وتعود على رؤيتها ، كما ان نظرتة اليها تختلف اختلافا عميقا عن نظرتة الى مظاهر الحياة العادية ، لان الحرب بطبيعتها تبعث مشاعر الانسان الكامنة ، وتثير فيه الاحاسيس ، من رغبة ورهبة ، وأمل ويأس ، الى غير ذلك من الخواطر التي يبعثها تعاقب صور الحوادث في الحروب على مسرح فكره ، فتجعل الشخص يحس احساسا غريبا بكل ما يدور حوله . فالمنتصر فيها تملوه النشوة وينتابه الشعور بالسيطرة ، فتموج عاطفته بالمشاعر المعبرة عن قوته وبطولته ، وينطلق لسانه يتغنى بلذة واعجاب ، والمغلوب على أمره يحس بالخيبة والخذلان ، ويعلل نفسه بالاسباب .

والحرب تستلزم الشعر ، فهي أشبه شيء بالثورة السياسية التي تستدعي النهضة الادبية التي تسير جنبا الى جنب معها ، وتتفاعل تفاعلا عضويا مع احداثها ، تؤثرت نارها ، وتسجل آثارها ، وتدعو اليها ، فكانت هذه الفنون الشعرية المتصلة بها اتصالا وثيقا ، والمتفقة مع دواعيها اتفاقا كليا ، من حماسة وفخر وهجاء ورتاء .

فالتجارب الكثيرة التي خاضها الشعراء الفرسان ، واطهروا فيها قابليات رائعة ، المهتمهم الدقة في الوصف ، والحس في التصوير ، والاجادة في التركيب الشعري ، لانها في الواقع كانت تمثل المحور الاساس الذي تدور عليه الحياة الجاهلية . فالتضحية عندهم سهلة ، يقدمون عليها اذا كانت حصيلتها مكاسب تدخرها العشيرة ليوم التفاخر ، ويبدلون في سبيلها كل ما يقع بين ايديهم ، فاسترخصوا الحياة دفاعا عن الشرف ، واستسهلوا الموت ذودا عن الكرامة ، معتقدين اعتقادا اكيدا بأن الاقدام

في الحرب لا ينقص عمر المتقدمين ، وان الاحجام لا يزيد عمر المتأخرين ،
وبأن الذي يطلب الموت توهب له الحياة ، فلا مجال للجبن والخضوع ،
وان الميتة الحققة هي التي تكون في خضم المعركة لينال المقتول شرف
المعالي ، ويكسب فخرا تضيفه القبيلة الى مفاخرها ، وليظل ذكره
نشيدا تترنم به الاجيال من بعده •

ومن هنا زخر شعرهم بذكر الحروب ، وتباهى الشعراء بالحشود ،
وتفاخروا بالقتلى والضحايا والسبايا وشن الغارات ، وبكوا قتلاهم
بكاء مرا ، وهجوا عدوهم ونشروا مخازيه ، وذكروا جنبه وفراره ،
وبذلك تتجاوب اطراف الجزيرة بهذا الشعر الحربي الذي كان وقودا
لهذه النار ، ليتمكن من مسaire هذه السلسلة الطويلة من الحروب
والايام •

وكانوا يتخذون الشعراء واسطة للتعبير عن أهدافهم ، كما كانوا
يجعلونهم وسيلة لاثارة الحرب ، وبهذا يكون الشاعر لسان حال
القبيلة ، يعبر عن دخالها واغراضها ، وكان حقا على القبيلة رعاية
الشاعر ، والاعتزاز به ، والاهتمام بقصائده ، لانها سجل حافل
لتأريخها ، واثر خالد من مآثرها التي تبرزها وقت المفاخرة ، وسلاح
امض من سلاح السيف واقتك في اجساد الخصم يرد عنها طعون
الاعداء •

وكانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ،
وصفت الاطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعون في
الاعراس ، ويتباشر الرجال والولدان ، لانه حماية لاعراضهم ، وذبح
عن احسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، واشادة بذكرهم ، وكانوا لا يهتنون
الا بغلام يولد ، او شاعر ينبغ ، أو فرس تثنج (١٢٣) •

والشعر الجاهلي حافل بذكر الحرب ، زاخر بصورها ، وقد

(١٢٣) ابن رشيقي: العمدة ٤٩/١

اختص قسم من الشعراء الجاهليين بذكرها ، كعنترة لكثرة ما خاض من المعارك ، حتى قال فيه الاصمعي : « ذهب أمية بن أبي الصلت في شعره بعامة ذكر الآخرة وعنترة بعامة ذكر الحرب » (١٢٤) .

وقد اتصف قسم من الشعراء بعدم الاندفاع وراء الخيل في المبالغة ، لما يصيب اعداءهم في المعركة ، وانما كانوا معتدلين منصفين ، يذكرون ما وقع لخصومهم في المعركة وما وقع لقومهم فيها دون تحيز ، ويعترفون لخصومهم بالبأس والنجدة والمروءة ، فلا يذمونهم ولا يجردونهم من صفات الفروسية الحقبة التي يعترفون لهم بها . . . فهذا عمرو بن كلثوم يعترف في معلقته لاعدائه بالشجاعة ، فالسيوف في ايدي قومه وايدي اعدائهم كأنها مخاريق بايدي لاعين ، وهم يقتلون منهم كما يقتل من قومه ، وثيابهم جميعا ملطخة بالدماء (١٢٥) :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدي لاعيننا
كأن ثيابنا منا ومنهم خُضِبَ بارجوان أو طليننا

وهذا النوع من القصائد سمي بالمنصفات ، وقد ذكر الخالديان في الجزء الاول من الاشباه والنظائر (١٢٦) نقلا عن الرواة : ان منصفات اشعار العرب ثلاثة ، اولها قصيدة عامر بن معشر بن اسحم بن عدي ، والثانية لعبد الشارق بن عبدالعزيز الجهني (١٢٧) والثالثة للعباس بن مرداس السلمي ، كما اطلق العرب على بعض القصائد اسم الموثبات لان الغرض من القائها غالبا يكون اثاره الحرب والتهيؤ لها ، وايغار الصدور ، كالآيات التي انشدتها انبوسوس عندما تعرض كليب لناقة الجرمي فقالت (١٢٨) :

- (١٢٤) النويري : بلوغ الارب : ٢٥٣/٢ .
(١٢٥) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩٧ .
(١٢٦) الاشباه والنظائر : ص ١٤٩ .
(١٢٧) ويذكر في الحماسة : عبد الشارق بن عبد العزى وهو صواب .
(١٢٨) جاد المولى وجماعته : ايام العرب في الجاهلية ص ١٤٥ .

أبا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل فاني في قوم عن الجار اموات
ودونك اذوادي اليك فاني لما ضيم سعد* وهو جار لايباتي (١٢٩)
لعمرك لو أصبحت في دار منقذ لما ضيم سعد* وهو جار لايباتي (١٢٩)
ولكنني اصبحت في دار معشر متى يعد منها الذئب يعد على شاتي

لقد امدت الحروب الجاهلية الشعراء بمعين ثر، وهيات لهم
المجالات الواسعة، للانطلاق بمواهبهم الشعرية بشتى نواحيها، ومختلف
اتجاهاتها، فكانت حافزا قويا، ومصدرا خصبا من مصادر الالهام،
اثارت في نفوس الشعراء مختلف الاحاسيس والعواطف، فانسابت على
ألسنتهم اغاني عذبة، واناشيد رائعة، وفي غمرة اصطلاحهم بنيران
الحروب، وغشيانهم معمعان الوعى، تتفجر نفوسهم شعرا حماسيا
بليغا، فتتجاوب مع أصدائه الحان الفخر، وملاحم النصر... والى ذلك
يذهب ابن سلام في تعليقه لقلعة شعر قريش وغيرهم فيقول: « وانما
يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الاحياء، نحو حرب الاوس
والخزرج او قوم يغيرون ويغار عليهم، والذي قلل من شعر قريش انه
لم يكن بينهم نائرة (١٣٠) ولم يحاربوا، وذلك الذي قلل شعر عمان واهل
الطائف» (١٣١) *

فالحرب عامل كبير من عوامل دفع الشعراء لقول الشعر، لانها
وسعت آفاق النظم، وخلقت لهم المجالات الرحبة للتعبير، فانطلقوا
يشيدون بمفاخرهم، ويتغنون بانتصاراتهم *

لقد كان شعر الحرب أقوى ما نظم الشعراء واقفاه، لانه يتصل
بالامة فيضم مجد ماضيها الى عزة حاضرها، وهو وحده - بعد هذا
سجل فخرها، وعنوان بأسها، ونشيد بطولتها، لانه صور بأس الأبطال

(١٢٩) منقذ: ابو اليسوس وهو من تميم *
(١٣٠) النائرة: الحقد والعداوة تقع بين القوم فتثير شعورهم *
(١٣١) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ص ٢١٧

في حومات الوغى ، وفروسية الفرسان في زحمت القتال ، فكثير
الفرسان من الشعراء المجيدين الذين يستثيرون الهمم في قلب المعارك
بما يشملونه من الشعر عند المبارزة ، وشن الغارة ومقابلة الخصم عند
اشتداد دائرة الحرب ، وما قصائد عنتره وعامر بن الطفيل ودريد بن
الصمة إلا امثلة حية لتلك الاناشيد .

لقد شغلت الحرب معظم جوانب الحياة ، وبلاأت اوصافها اغلب
معاني اللغة ، فكان الفخار بالبطولة والفروسية وقديم الايام من مظاهر
شعرهم الحربي ، وكانت القصائد التي تتمدح بذكر الشجاعة في القتال ،
والبطولة في المعارك ، من ابرز اغراض الشعر الجاهلي ، وكانت لابواب
الحماسة المكانة الاولى في منتخباتهم ، لان العرب بها احفى ، ولها
اروى ، ولان شجاعة العرب وماثرهم الحماسية المع سجاياهم ، واعرق
ما فيهم من الصفات .

الفصل الأول

العمامة عند فترة الباب الثالث

نَمَازِجٌ مِنْ الشُّعْرَاءِ الْفُرْسَانِ

لقد احتفظت دائرة العرب على مدى الأجيال بشخصية من أبرز شخصياتها ، وفارس من أشجع فارسها ، فكان لكل الأقطار في السياسة والبطولة العربية ، وكانت أحداث ثورة الممعة الكبرى في تاريخ الأقطار العربي . تلك باتة من أشجع أبطال العرب ، التي لا تنسى في أي ظرف ، وملاح التي لا تنسى في أي ظرف ، وهو رجل حياة وتكرام ، تلك بغيره الصورة العادة لتتبع الرقعة التي تسمى القيود ، وتسمى إلى العلاء ، ولا تقل الفل والصفار . وهو بعد كل حبه المقاتل ، فارس تبتل فيه الفروية العربية في أقوى صورها ، وأروع معانيها .

لقد تحدث الرواة عن بطولة هذا الفارس ، وأكثروا من حديثهم عن شجافته ، فقد وصفه البغدادي (١) بأنه أشجع أهل زمانه ، وأجودهم بنا ملكك يده ، وكان شهيد حرب داحس والغبراء ، وحملت بشاهقته فيها . وأرجع صاحب الأغانى (٢) سبب إعطاء أبي إسحاق إلى أن يفتى

(١) البغدادي : خزائن الأدب ١/٦٢

(٢) الأغانى : الأغانى ١/٢٣٨ دار الكتب

في حومات الوحي ، وفروسية الفرسان في زخات القتال ، فأكبر
الفرسان من النمرات الجيدين الذين يستبدون بهم في قلب المعارك
بما يتناولونه من النصر عند المبارزة ، وضمن القارة ومقاطعة الحسم عند
استداد دائرة الحرب ، وما يتناشد عترة وعامر بن العقيل ودريد بن
الضبة إلا أمثلة حية لتلك الإناسيد .

لقد شعلت الحرب معظم جوانب الحياة ، وولدت أوصافها أغلب
معاني اللغة ، فكان النظار بالبطولة والفروسية وتديم الأيام من مظاهر
شعرهم العربي ، وكانت القصائد التي تتبجح بذكر الشجاعة في القتال ،
والبطولة في المعارك ، من أبرز أفراس الشعر الجاهلي ، وكانت لا يواب
الحساسة المكافاة الأولى في متخباتهم ، لأن العرب بها أفضى ، ولمسا
أروى ، ولأن شجاعة العرب وماكرهم الحساسة للمع سجاتهم ، وأعرق
ما فهم من الصفات .

نَسْفًا وَأُعْتِبَالًا نَهْجًا لَفْ

الفصل الأول

الحب عند عنتره

لقد احتفظت ذاكرة العرب على مدى الاجيال بشخصية من ابرز شخصياتها ، وفارس من اشجع فرسانها ، فكان المثل الاعلى في البسالة والبطولة الحربية ، وكانت احاديثه نواة الملحمة الكبرى في تاريخ الادب العربي . عنتره الذي تمثلت في فروسيته معاني الرجولة العربية الكاملة، تمثلت بأفعاله واعماله ، بعفته وكرمه ، برفته التي لا تنتهي به الى الضعف ، وصلابته التي لا تنتهي به الى العنف . فهو رجل حياء وتكرم، تمثلت بفخره الصورة الصادقة لنفسيته الرفيعة التي تأبى القيود . وتسمو الى العلاء ، ولا تقبل الذل والصغار . وهو بعد كل هذه الصفات ، فارس تتمثل فيه الفروسية الحربية في أقوى صورها ، واروع معانيها .

لقد تحدث الرواة عن بطولة هذا الفارس ، واكثروا من حديثهم عن شجاعته ، فقد وصفه البغدادي^(١) بأنه اشجع اهل زمانه ، واجودهم بما ملكت يده ، وكان شهد حرب داحس والغبراء ، وحملت مشاهدته فيها . وارجع صاحب الاغاني^(٢) سبب ادعاء ابيه اياه الى ان بعض

(١) البغدادي : خزانة الادب ١/٦٢ .

(٢) الاصفهاني : الاغاني ٨/٢٣٩ دار الكتب .

احياء العرب أغاروا على بني عيس فأصابوا • واستاقوا ابلا ، فتبعهم العبسيون فلحقوهم ، فقاتلوهم عما معهم وعترة يومئذ منهم ، فقاتل قتالا حسنا ، فادعاه ابوه بعد ذلك والحق به نسيه ، وعندما سئل عترة عن شجاعته ، انت اشجع العرب واشدها ؟ قال لا • قيل : فلماذا شاع لك هذا في الناس ؟ قال : كنت أقدم اذا رأيت الاقدام عزما ، واحجم اذا رأيت الأحجام حزما ، ولا ادخل الا موضعا أرى لي منه مخرجا ، وكنت اعتمد الضعيف الجبان فاضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأنتي عليه فاقتله (٣) •

وكان عمرو بن معد يكرب يقول : ما أبالي من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقني حراها وهجيناها • يعني بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وبالعبدين عترة والسليك بن السلكة (٤) • وعندما انشد النبي (ص) قول عترة :

ولقد آيت على الطوى واطلته حتى انال به كريم المائل
قال (ص) ما وصف لي اعرابي قط فأحببت أن أراه الا عترة (٥) :

وقال عمر بن الخطاب (رضي) للنخعيّة : كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنا ألف فارس حازم • قال : وكيف يكون ذلك ؟ قال : كان قيس ابن زهير فينا وكان حازما ، فكنا لا نعصيه وكان فارسنا عترة فكنا نحمل اذا حمل ونحجم اذا احجم (٦) •

هذا ما حدثنا به الرواة عن بطولة هذا الفارس ، وهي احاديث فخر واعتزاز ، تدل على فروسية هذا الفارس الذي تمثلت فيه القيم

(٣) نفس المصدر ٢٤٤/٨

(٤) نفس المصدر ٢٤٦/٨

(٥) الاصفهاني : الاغاني ٢٤٣/٨

(٦) نفس المصدر ٢٤٤/٨

البطولية والفروسية الجاهلية •

أما حديث عنتره عن نفسه ، فأننا نراه في قصائده التي سرد فيها تلك الوقائع التي أبلى فيها بلاء حسنا ، فاستحق بذلك تقدير الاجيال •
لقد كان عنتره من فرسان العرب المعدودين ، المشهورين بالنجدة والبأس ، وكان يقال له عنتره الفوارس ، لانه لم يعجز عن صيد الفرسان الدارعين :

ان تغدفي دوني القناع فانني طب بأخذ الفارس المستلثم^(٧)
وعنتره فارس نحلته الحروب ، ورققت جسمه المعارك ، لانه عاش حياته عرضة لاطراف الرماح :

أما تريني قد نحلث ومن يكن غرضا لاطراف الأسنة ينحل^(٨)
فلرب أبلج مثل بعلك بادن ضخم على ظهر الجواد مهبل^(٩)
غادرته متعفرا أوصاله والقوم بين مجرح ومجدل^(١٠)
فيهم أخو ثقة يضارب نازلا بالمشرفي وفارس لم ينزل

لقد حفظ عنتره وصية عمه باقتحامه القتال ، ومناجزته الابطال في اشد احوال الحرب ، وعندما تتقلص الشفاه من شدة كلوح الابطال ، فرقا من هول المعركة • وعندما تبدأ غمغمة الابطال ترتفع ، فتختنق صيحاتهم في افواههم • عند ذلك فقط يجعله اصحابه حاجزا بينهم وبين الأسنة ، وهو لا يجبن عن ذلك ولا يتأخر عن تلبية النداء^(١١) :

(٧) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ج ١ ص ٣٧٤ . تغدفي : ترخي .

طب : حاذق .

(٨) نفس المصدر ص ٣٩٠

(٩) اباج : ابيض . بادن : ضخم . مهبل : قيل هو الثقيل .

(١٠) متعفرا : واقعا على العفر : التراب . والمجدل : الملقى على

الجدالة وهي الارض .

(١١) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٧٨

ولقد حفظت وصاة عمي بالضحاً اذ تقلص الشفتان عن وضح الفم^(١٢)
 في حومة الموت التي لا تشتكى غمراتها الا بطلان غير تعغمم^(١٣)
 اذ يتقون بي الاسنة لم اخم عنها ، ولو اني تضايق مقدمي^(١٤)
 وهو بعد كل ذلك ، البطل الذي يدعى في الحرب ، وينادى باسمه
 عند المعركة ليحمي قومه ، وعند ذلك تشتفي نفسه ، وتبرد غلته^(١٥) :
 لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذاكرون كررت غير مذم^(١٦)
 يدعون عنتر والرماح كأنها اشطان بئر في لبان الادهم^(١٧)
 ولقد شفى نفسي وابراً سقمها قيل الفوارس ويك عنتر اقدم
 لقد خاض عنتره أشد المعارك واعظمها هولاً ، وغزا مع قومه ،
 فكان في كل تلك المعارك رمزا للبطولة ، ومثالا للفروسية الكاملة ، فقد
 اشترك في حرب داحس والغبراء التي خاضتها عبس ضد ذبيان^(١٨) ،
 وتجلت في تلك المعارك بطولاته ، وبرزت شخصيته ، ولعت فروسيته
 النادرة . فكان حقاً بطلاً من ابطال تلك الحروب ، ورمزاً حياً من
 رموزها التي سجلت لعبس اروع ايامها واخلد مآثرها .

وكما تحدث عن حرب داحس والغبراء، تحدث عن يوم الفروق^(١٩)

(١٢) قوله تقلص : اذا فزع الرجل . تقلصت شفتاه . عن وضح
 الفم : أي عن بياض الاسنان .
 (١٣) حومة كل شيء : معظمه . وغمراتها : شدائدها . التغمم .
 صوت نسمعه ولا نفهمه .
 (١٤) لم اخم : معناه لم أكن ولم أضعف . وتضايق مقدمي : ضاق
 المكان الذي أقدم فيه ، فصرت في مضيق الارض لا استطيع ان اقدم
 فرسي فيه .

(١٥) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٧٩
 (١٦) يتذاكرون : يحرض بعضهم بعضاً ويزجر بعضهم بعضاً .
 (١٧) كأن الرماح حين اشرعت اليه في طولها حبال .
 (١٨) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي : (لايبات ٨١-٨٢-٨٣-
 ٨٤-٨٥) .
 (١٩) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٨١ البيت الثالث .

ويوم عراعر (٢٠) ، ويوم الهباءة (٢١) ، وغيرها من الايام الطويلة التي
خاض حروبها بكل جرأة ، وكتب فيها اروع آيات الانتصار والمجد .

ان الشجاعة التي تبرز عند عنتره ، نابعة من فلسفته التي آمن بها
كل الايمان ، فالموت لا بد منه ، وما دام الانسان يموت فالاجدر به أن
تكون ميتة في الحرب ، لانها اولى من غيرها لما فيها من الاثار وعلو
الذكر (٢٢) :

تعالوا الى ما تعلمون فانني ارى الدهر لاينجي من الموت ناجيا
ان هذه الفلسفة التي مثلها عنتره لم تكن غريبة عن بيئته ، أو
بعيدة عن طبيعة الحياة التي يحيها ، فهي مستمدة من الجذور الاصلية
التي تفرعت في نفسه ، فكانت تلك القصائد الخالدة التي تغنت بها
الاجيال (٢٣) :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني اصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها ان المنية منهل لا بد أن اسقى بكأس المنهل
فاقتني حياك لا ابالك واعلمي أنني امرؤ سأموت ان لم اقتل
ان المنية لو تمثل مثلت مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل

لقد كان عنتره فارسا وشجاعا ، تمثلت شجاعته في اخباره ،
وتحشدت بطولته في احاديث الرواة عنه ، فقد خاض الحروب وظهر
فيها بطولات نادرة ، ودافع خلالها عن قبيلته ، وسجل لها اروع
الصفحات في تاريخ القبائل العربية ، وخلد لها اروع الذكريات في
صفحات المجد العربي .

وبعد كل هذا يخلص عنتره من كل معاركة بعبارة البطل المنتصر

(٢٠) نفس المصدر ص ٣٨٢ البيت الاول .

(٢١) نفس المصدر ص ٣٨٥ ، البيتان الرابع والخامس .

(٢٢) الإعلم : مختار الشعر الجاهلي ص ٢٨٢

(٢٣) الإعلم : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٨٩

الذي لم تهدر ممارسة الحرب قوته ، او تفت في عضده ، ولسكن طول السنين ، ومرور الايام هي التي اضعفته ، واوهت قواه ، فظل يعيش امجاده البطولية ، ويتذكر ايامه الخالدة في التاريخ ، وهو واثق كل الوثوق بانه انجز مهمته في الحياة ، وقام بما تمليه عليه طبيعة الحياة التي عاشها ، ونظام العصر الذي وجد فيه . فكان حقا رمزا من رموز البطولة العربية النادرة ، وملحمة رائعة من ملاحم الشعر العربي .

أما مروءته ، فقد صورها لنا عنتره عندما فخر عليه رجل من بني عبس فقال : اني لاحتضر الوغى وأوقى المغنم ، واعفث عند المسألة ، واجود بما ملكت (٢٤) .

وعند هذه الصفات تتمثل مرؤة عنتره ، وتلتصق لنا مثله الخلقية الراقية ، فهو قبل كل شيء عفيف ، تسمو به عفته فوق ما عهدناه عند كثير من الشعراء والذين ساروا وراء اللهو ، واقتنوا آثار العبت ، فاذا اراد ان يزور جارته ، زارها عند حضور زوجها ، فان خرج غازيا لم يعشها ، محافظة عليها ، وصيانة لعرضه وعرضها ، ويغض طرفه اذا بدت جارته ، حتى يتركها تدخل منزلها فيواربها ، ولا يتبعها نظره ، وهو يمنع نفسه اذا هوت ما يكون فيه غضاضة عليه ، وهو لا يتبع نفسه ذلك الهوى ، حتى اذا لجت في ارادته (٢٥) :

اغشى فتاة الحي عند حلينها واذا غزا في الحرب لا اغشها
اني امرؤ سمح الخليقة ماجد حتى يوارب جارتني مأواها
واغض طرفي ما بدت لي جارتني لا اتبع النفس اللجوج هواها

وعنتره سمح المعاشرة كما ذكر ، يعامل اصحابه بمثل ما يظهرونه له من الخلق الحسن ، ولكن هذه السماحة لا تذهب به الى حد الافراط

(٢٤) الاصفهاني : الاغاني ٢٢٣/٩

(٢٥) ديوان عنتره : مجموعة الاعلم ص ٤٠٩

والتنازل ، فهو يعاقب من يظلمه عقاباً بالغاً (٢٦) :

اثني عليّ بما علمت فإني سمح مخالفتي إذا لم أظلم (٢٧)
فإذا ظلمت فإن ظلمي بأسل مر مذاقته كطعم العلقم (٢٨)

وهو وجود بما ملكت يده ، ولكنه يعرف الوجوه التي يبذل فيها
الكرم ، وتنفق فيها الأموال (٢٩) :

فإذا شربت فإني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلني وتكرمي
وعنترة يعفو عند المسألة ، ويعف عند توزيع الغنائم ، لأنه لم
يخض الحرب من أجل الغنائم والأسلاب ، وعند هذه النقطة تتضح
مروءة هذا الفارس وتتجلى بطولته وفلسفته في الحياة (٣٠) :

يخبرك من شهد الوقعة أنني اغشى الوغى واغث عند المغنم
فأرى مغنم لو اشاء حويتها ويصدني عنها الحيا وتكرمي
وهو يترفع عن المسألة ، ويأبى العيش الذليل حتى لو أدى به إلى
الميت على الطوى ، وهذا منتهى الترفع ، ومبلغ السمو النفسي (٣١) :

ولقد آبت على الطوى واظله حتى انال به كريم المآكل
ونم تقف مروءة عنترة عند هذه الحدود ، وانما تجاوزتها إلى
آفاق بعيدة من النبل والشهامة ، فعنترة لم يرزأ ولياً ذا محافظة على
حسبه ، الا وصله بضعف ما يصيبه منه (٣٢) :

(٢٦) الاعلام : مختار الشعر الجاهلي ٣٧٤

(٢٧) يروى : «سمح مخالفتي : أي سره معاشرتي ومخالفتي : أي
معاملتي صاحبي بمثل ما يظهر لي من الاخلاق الحسنة .

(٢٨) باسل : كرية ، مر .

(٢٩) الاعلام : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٧٥

(٣٠) نفس المصدر ص ٣٧٦

(٣١) نفس المصدر ص ٣٨٨

(٣٢) الاعلام : مختار الشعر الجاهلي ص ٤٠٩

ولما رزأت أختها حفاظ سلعة إلا له عندي بها مثلاه
وعنترة بعد كل ذلك يلبي دعوة من يناديه في الحرب ، ويجب
صرخة من يستغيث • ولم تكن التلبية بالقول والصرخ فقط ، وإنما
بالعمل ، فيعطف عليه بفرسه ليرد عنه سيوف الأعداء^(٣٣) :

ومكروب كشفت الكرب عنه بضربة فيصم لما دعاني
دعاني دعوة والخيل تردي فما أدري أبا سمي أم كنياني
فلم امسك بسمعي اذ دعاني ولكن قد ابان له لساني
فكان اجابتي اياه أني عطف عليه خوار العنان
باسمر من رماح الخط لدن وايض صارم ذكر يمان
بهذا الخلق النبيل وبهذه الفروسية العربية ، تتمثل لنا شهامة هذا
البطل ومروءته التي عاش من اجلها عفيفا على الرغم من كل الانتصارات
التي حققها • لقد صان عنترة انتصاراته بمروءته ، وحافظ على فروسيته
بنبله وشهامته ، وبذلك استحق التقدير والاعظام ، واصبح ذكره مثلا
نادرا من امثلة الفرسان الامجاد الذين تألقت اسماؤهم في عالم المروءة
العربية ، فكان حقا رائدا من روادها ، وبطلا من ابطالها •

أما حب عنترة ، فهو جانب كبير من جوانب الحياة عنده ، لانه
يمثل الفروسية الشريفة التي هيأت مثلها الرفيعة لظهور الغزل العذري
عند العرب ، واوجدت النواة المشرقة التي مهدت لظهور الشعراء
الغزليين ، فلونوا الادب باشراقاتهم ، وزينوا جوانبه بتفانيهم المطلق في
سبيل من أحبوا •

لقد كان الحب عند العرب نعمة تبعث الشعور الصادق ، والعاطفة
النبيلة ، وتوقظ صفات الرجولة والبسالة ، فكان لكل فارس حبيته
التي توحى اليه امثلة الشجاعة ، فكانت فروسية العرب فروسية نبيلة
تمتاز بالاخلاص والتفاني •

(٣٣) نفس المصدر ص ٤٠٤ .

وعنترة احد هؤلاء الفرسان الذين اوحى اليهم جبههم بالبطولة ،
فألهب فيهم العواطف الرقيقة ، ودفعهم الى اقتحام المعارك ، فخاض
اغنها واشدها ضراوة ، وخرج منها مرفوع الرأس ، مسجلا لعبس
ايامها الخالدة •

أما حديث عبلة ابنة العم التي شغف بها عنترة ، واكثر من القول
فيها ، فكان يمثل حرمانه ولوعته وتظلمه ، لانه ابدى فيه آلامه التي
يحسها ، وتباريحه التي كان يعانيتها في سبيل الوصول اليها - وهو قبل
كل شيء - يمثل غزل الفرسان في ابلغ صورته ، واجلى معانيه ، واسمى
عواطفه ، لانه نموذج حي من حياتهم ، ونمط فريد من انماط معيشتهم
التي اختلطت فيها ألقاظ الحرب بألقاظ الحب •

وقد لعبت المرأة دورا كبيرا في الحياة الجاهلية بكل صورها ،
وبجميع اشكالها ، فهي ملهمة الابطال في ساحات الحرب ، وموحية
الركة والल्प في لحظات الهدوء والاستقرار ، منحتها الطبيعة الصافية
معاني الحياة الجميلة ، فأصبحت اغنية عذبة تتردد على أفواه الشعراء ،
تعن لهم ذكراها ، وهم في ذروة الحرب، ويمثلونها بين مطارح السيوف،
وتتألق صورتها في اذهانهم في كل زمان ، حتى حين تعبت بهم سيوف
الاعداء ورماحهم ، فتعلوهم النشوة ويمتلكهم الفخر ، ويدفعهم الشوق
الى طبع قبلة النصر على صفحات السيوف (٣٤) :

ولقد ذكرك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسّم
لقد احب عنترة عبلة ، وحارب في سبيل هواها • فكان حبه لها
حبا خالصا مجردا، تمثلت فيه روحه الصادقة ، وتجسدت أمانيه الروحية،
فعبّر عن حبه في نفسه ، وصدقه في عاطفته ، فكان نموذجا يختلف عن

(٣٤) ديوان عنترة : تحقيق عبدالمنعم شلبي ص ١٥٠ •

النماذج الاخرى في هذا المجال ، ومنهجا يخرج عن مناهج الغزل في عصره .

لقد عاشت عبلة حياته كلها ، تمثل له في مسالكة ، وتشخص امامه في دروبه ، ويتحمل من أجلها أقسى المظالم ، ويجرع بسببها أفطع أنواع العذاب . ولكنه برغم ذلك يظل مخلصا لحبها ، آمينا لذكراها ، لقد كانت عبلة سبيل عنتره الى معاني البطولة والفروسية (٣٥) :

ولئن سألت بذلك عبلة أخبرت أن لا اريد من النساء سواها
والحب انشودة الوجود منذ كان الوجود ، فهو اللحن الذي
تعالى من اعماق الازلية ، ليظل متعاليا حتى نهاية الابدية ، تختلج به
الاعماق ، وتضطرب به الجوانح ، وتسمو بصفائه الارواح ، ويطلقه
المحبون على شفاههم في شبه صلوات وتراتيل .

والنفس مهما أقلقتها مطالب الايام، أو واتتها ظروف الحياة، لتتشده
بارتياح وشغف وتعاطف ، وترتبط في خيوطه بأمال كبيرة ، لانه قيمة
خيرة من قيم الانسانية النبيلة ، ومثال رفيع من امثلتها الحية .

وهكذا داعب الحب نفس عنتره ، فكان شاعرا رقيقا ، رفعه حبه
لعبلة الى مراتب الشعراء المجيدين ، ورافقه في جميع مواقفه ، فكان
حافزا له على الشجاعة والاقدام . لقد كان عنتره عاشقا محبا ، تصد
الحب الى اعماق ذلك القلب القوي فأرقه ، وعملت المرأة في تلك الروح
الجبارة فأكسبتها لظفا وجمالا ، وليس كالمراة في تغذية الروح بالجمال
واللطف . فهي قد الهمته أرق المعاني ، وفجرت في نفسه مصادر الوحي
وينابيع التسامي ، فعاش مطلقا في سماء المثل العليا . يناجي حبيته
بأرفع آيات الود ، وأعذب أناشيد الحياة . . فكان حقا فارسا في حبه ،
مترفعا في عاطفته .

ان حب عبلة جعل منه رجلا فوق الرجال ، فمن أجل عبلة ومن
 أجل ارضائها خاض ما خاض من حروب ، وسبى ما سبى من ابطال ،
 ومن اجلها زاد عن قومه ، وحسى حماهم ، ومن اجلها طلب الحرية بكل
 الوسائل ، ليتساوى مع من احب • فبدا لنا شاعر المعامع والمعارك من
 ناحية ، وشاعر الحب والذبيح والغزل الحزين ، من ناحية اخرى (٣٦) :

يا عبل كم من غمرة باشرتها بالنفس ما كادت لعمرك تنجلي
 فيها لوامع لو رأيت زهاءها لسلوت بعد تخضب وتكحل
 اما ترييني قد نحتت ومن يكن غرضا لاطراف الاسنة ينحل

لقد ارتفع عنتره حتى وصل الى أرقى درجات البطولة ، وازدان
 اسمه بأسمى فضائل الفروسية من شجاعة وعطف، فهو مثل اعلى للفارس
 الكامل الذي لا تقف بطولته عند حد ، ولا تعرف فضائله نهاية • لقد
 كان عنتره يتسامى لا في خلقه فحسب بل في حبه ايضا ، لانه كان يؤمن
 ايمانا مطلقا بهذا الحب ، ويؤمن بأن حبيته قد نزلت من قلبه منزلة من
 يجب ويكرم (٣٧) :

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

لقد ظل عنتره يتغنى بعبلة طوال حياته غناء المحب المحروم ، الغناء
 الذي يستشف منه الاحساس بالحزن واليأس ، لقد كانت نفسه خصبة ،
 فشدت بالشعر ، ومضى يتغنى بحبه غناء رائعا ، فاقتربت الحماسة
 بالحب ، والالام بالشعر • وقد حاول أن يبرهن لعبلة في كثير من أشعاره ،
 على انه وان كان قد فاتته جمال الصورة فلم تفقه الشجاعة والمناقب التي
 تستأثر بالقلوب • فقد اشعلت عبلة قلبه حبا ، ولم يصبه من هذا الحب
 سوى الحرمان والشقاء • الا انه لا ينساها لانها تملأ نفسه من جميع
 اقطارها • وهو كما يتجشم أهوال القتال ، يتجشم أهوال هذا الحب

(٣٦) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٩٠

(٣٧) نفس المصدر ص ٣٧٠ •

اليأس • ولهذا فقد ظل وفيا لحبه ، يحيي المعاهد التي كان يزور فيها
صاحبه بالرغم مما انتهت اليه مأساة حبه ، وبالرغم من تحول عبلة عنه
الى معاهد جديدة (٣٨) :

حييت من طلل تقادم عهده أقوى واقفر بعد أم الهيثم (٣٩)
حلت بأرض الزائرين فاصبحت عسرا علي طلابك ابنة محرم (٤٠)

نقد شغل الحب قسما كبيرا من معلقته ، فترأت عبلة فيها عروسة
من عرائس الشعر الخالدة ، يعنى لها ارق غناء ، وينشدها أعذب ما
تجيش به نفس ، وينبض به قلب ، فاصبح الغرض الاصيلي من المعلقة
الغزل • اما ذكر البطولة والعفة وغير ذلك من الاغراض فانما هي وسائل
للتمكن من غزو قلبها ، ليعوض بهذه البطولة ما فقده من جمال اللون ،
وضعة النسب من قبل أمه ولتكون تلك الاغراض مخترته التي يفخر
بها ، ومجده الذي يعتد به (٤١) :

ان تغدفي دوني القناع فاني طب بأخذ الفارس المستلم (٤٢)
أثني علي بما علمت فاني سمح مخالطتي اذا لم أظلم (٤٣)
فاذا ظلمت فان ظلمي باسسل مر مذاقته كطعم العلقم (٤٤)

والغريب ان المؤرخين لم يخصصوا عبلة بجانب كبير من أخبارهم

-
- (٣٨) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٧.
(٣٩) أقوى واقفر : خلا ممن كان يسكنه . وأم الهيثم : هي عبلة .
(٤٠) الزائرين : الاعداء . جعلهم يزأرون زئير الاسد ، شبه
وعيدهم بالزئير .
(٤١) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ٢٣٥ .
(٤٢) الاغداف : ارخاء القناع على الوجه والتستر . طب : حاذق .
المستلم : اللابس الأمة ، والأمة : الدرع .
(٤٣) أصل الظالم : وضع لشيء في غير موضعه . وتروى
مخالقتي .
(٤٤) ان ظلمني ظالم فظلمي اياه باسل لديه ، كريبه عنده .

خلال أحاديثهم عن عنتره ، بل تكاد تخلو رواياتهم من حبها ، على الرغم من تردد اسمها في شعره وفي معلقته خاصة (٤٥) ، فهم يكثرون من الحديث عن جوانبه الأخرى ، ويهتمون بالتحدث عن وقائعه ، وسواد بشرته وعبوديته وبطولته في حرب داحس والغبراء وغيرها ، وإذا ما قبيض لهم المرور باسم عبلة ، كان مرورهم لماما ، وذكرهم عرضا ، وهكذا كان الحديث عن الجانب الحيوي من حياة هذا الشاعر منسيا .

فالتاريخ يحدثنا عن محاولة عمه مالك بن قراد العبسي ، منعه من زواج عبلة واکراهها على الزواج من رجل آخر ، لیبعدها عن عنتره ، ولكن قلب عنتره یظل خافقا بومضات حبها ، مشدودا الى نظراتها الحاملة . وهو في كل هذا الفيض العاطفي ، لا یتناسى بطولته الحریية ، ولا ینسى سلاحه ، لانه وسيلته في البسالة ، وطريقه الى المجد . ولكن هذه المحاولة التي حاولها عمه لم تزده الا تعلقا بحب عبلة ، ولم تفجر في نفسه الا ینابيع الحب العذبة ، التي لونت قصائده ، فكانت قلائد تحلّي جيد الادب العربي .

على ان عبلة لم ترافق عنتره في شعره العربي وحده ، بل رافقته في شعره الحماسي أيضا ، وكثر ذكرها فيه ، ولا بدع في هذا اذا علمنا ان النضال العنيف الذي خاضه عنتره في حياته كان في سبيل حبه ، فهو یذكر غفته وجوده وابعاءه وشمائله لیستميل قلب عبلة ، وینسیها سواد لونه الذي اثار في اعماقه الآلام الممضة ، فكان صدى ذلك في نفسه حسرة وألما وشجونا ، ودفعتة الى صنع المعجزات (٤٦) :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ان كنت جاهلة بما لم تعلمي
اذ لا ازال على رحالة سابع نهد تعاوره الكمامة مكلّم (٤٧)

(٤٥) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٣٦٩ / ٣٧٠ - ٣٨٩ / ٣٧٦

٣٩٠ وبقيرها .

(٤٦) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٤٢

(٤٧) الرحالة : سرج كان يعمل من جلود الشاء باصوافها ، یتخذ

طورا وجود للطعان وتسارة يأوي الى حصد القسي عرمرم (٤٨)
يخبرك من شهد الواقعة أنني اغشى الوغى واعف عند المغنم
وعلى الرغم مما فعله عنتره ، وسجله لقومه من الحوادث ، وما
فعلت كفه في اعدائه ، الا ان ذلك لم يغير من حقيقة عنتره شيئا في نظر
قومه ، فكان له معهم شكايه ، وكان له منهم عتاب •

لقد عرفه قومه عبدا لا يشارك فيما يشارك فيه الاحرار ، فاحتملوه
على غير رغبة منهم ، فكانت اليه منهم لفتات تشعره بالانتفاض ، وتثير في
نفسه الالم •

واخوته الذين يعيشون المأساة نفسها حاول ان يحتال من اجلهم ،
فأوحى الى خير اخوته في نفسه وكان يدعى حنبلا ان يروي مهره من
اللبن ، وان يمر عليه عشاء في نادي قومه ، فاذا قال له عنتره ما شأن
مهركم متخددا مهزولا ضامرا ، أهوى حنبل بالسيف الى بطن المهر
فيضربه فيظهر اللبن (٤٩) ، محاولا بذلك ان يدعيهم قومه ، ويعددهم
عن هذه المأساة التي يعيشون فيها •

لقد كانت عقدة اللون عند عنتره واضحة في بعض قصائده ، وكانت
هذه العقدة سببا من أسباب مأساته التي عاناها ، لقد كان المجتمع
الجاهلي قاسيا على اولاد الاماء ، فهم سبة يعير بها الآباء ، وهم اغربة
العرب كما نعتوهم • وما حيلة هؤلاء اذا رسمتهم الطبيعة بهذا اللون ،
وما جريمتهم حتى يلاقوا من مجتمعهم هذا الازدراء والهوان ، ويعيشوا
بعيدين عن الحياة ، منبوذين من الناس ، لا ينظر اليهم الا نظرات
السخرية والاحتقار • لقد ولد عنتره في هذا المجتمع ، ولد وهو على

للجري الشديد ، النهدي : الفليظ ، تعاوره الكماة أي يطعنه ذا مرة وذا
مرة . الملكم : المجروح .

(٤٨) يأوي الى حصد القسي : أي جيش كثير القسي .

(٤٩) الاصفهاني : الاغانى ٣٤٣/٨ دار الكتب .

هذه الهيئة التي لم يكن قادرا على تغييرها ، ولم يكن له يد في اختيارها ، ولد أسود البشرة ، ترمز ملامحه الى آثار العبودية ، ولكن المجتمع كان لا ينظر الى هذه الاحداث نظرة الفاحص المتأمل ، فكان اللون مبعثا للاهمال ، وكانت العبودية سببا من اسباب الاحتقار والسخرية •

ان نفس عنتره العظيمة لم تقف امامها هذه العوائق ، ولم تحدد خطواتها هذه العراقيل ، فاستطاعت ان تحقق المعجزات ، وتكسب الفخر ، وتخلد لعيس المناقب الحميدة ، كما أثبتت بتلك المفاخر ان اللون ثم يكن حائلا دون نيل المجد ، ولم يكن مانعا من ادراك أسمى ما يتوق اليه البشر • لقد كانت عظيمة نفسه تتجلى من خلال تلك القصائد التي جعلت منه علما من اعلام الشجاعة والعفة ، وعنوانا للحب الصادق ، فتغنى به العشاق والابطال والكرام ، واصبح قصة تروى على الاجيال ، وتسمع على مدى الدهور •

لقد اضفت هذه المأساة على شعر عنتره لونا حزينا ، واكسبته طابعا عاطفيا رائعا ، لانه سجل فيه نفسه التي ألمها السواد ، فوقف حائلا دون تحقيق ما كانت تصبو اليه في مجال الحب ، والوصول الى من بذل في سبيلها أقصى ما يمكن أن يقدمه انسان ، ويبدله شخص •

لقد ملأ حب عبلة قلبه، فجاشت نفسه غراما ، وملك عليه جوانحه، ومن خلال ذلك كانت ترسم لنا الصورة الفريدة لعنتره التي تميزه عن جميع الفرسان الجاهليين •

ولقد اعطانا عنتره صورة للعشق بمعناه الروحي الذي يجعل من البطل المغوار انسانا رقيقا ، تسعده البسمة أكثر من اللسمة ، ويعنيه الرضى النفسي عن اللقاء الجنسي ، وقد تجلت شاعرية عنتره في التعبير عن هذا المزج الشعوري عند الفارس العاشق • فهو محب صادق الحب ، وليس طالب لذة عابرة ، وهو مصر على هذا الحب مهما لاقى في سبيله من صعاب وعقبات ، ومهما تدخل القدر • لقد تجاوز عنتره في تصويره

لهذا الحب جميع النواحي الموضوعية والمادية ، وارتفع الى مستوى التجرد الروحي .

فاذا قرأنا شعره فكأننا نقف امام مثال ناطق لفارس فريد يمثل جميع الصفات والخصال التي كان عليها الفارس الجاهلي ، مثال استطاع ان يترجم لنا فلسفة الفروسية كما فهمها المجتمع العربي ، وحدد الاصول التي قامت عليها الفضيلة الجاهلية .

لقد انقرد عنتره بهذه الصورة التي ميزته من الناحية العاطفية ، وجعلته نموذجا ناجحا في عالم البطولة .

واخيرا وبعد كل هذه المعاناة الطويلة التي عاناها الفارس العاشق ، والآلام الممضة التي عاشها بكل جوارحه لم يظفر بمن أحب ، ولم يحصل على من صنع من اجلها المعجزات ، لقد كانت جولته خاسرة ، وكانت نهايته غير موفقة ، لانه لم يظفر بيغيته ، ولم ينل مطلبه ، فقد أكرهت عبلة على الزواج من رجل آخر (٥٠) .

ولكن ادبه في عبلة ظل خالدا ، وحبها كان نموذجا للعشاق العذريين ، وطريقا سار عليه الشعراء العذريون في العصور التالية .

وبعد ، فان الحديث عن عنتره طويل ، واعذب ما فيه حبه الصادق ، وعاطفته الدفافة ، وألمه الممض . هذه التيارات التي لونت شعره بأجمل الالوان ، ومزجته بأرق العواطف ، فكان بطلا حقا من أبطال الحرب ، وشاعرا من شعراء الغزل العذري الاصيل ، الذي أصبح نواة أصيلة لتيار متميز في الادب العربي ، سكب فيه الشعراء أرق عواطفهم ، فقدموا لنا أسمى النماذج الانسانية في مجال التضحية من اجل القيم الرفيعة التي آمنوا بها . فكان مثالا يحتذى به ، واستاذ يعلم الناس دروس الخلق الرفيع ، والادب السامي ، والتضحية الغالية (٥١) .

(٥٠) ديوان عنتره ص ٣٩٠ الابيات (٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦) .

(٥١) الاعلام : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٩٠ الابيات (٣٢-٣٣) .

٣٤-٣٥-٣٦) .

الفصل الثاني

الكرم عند حاتم

ليس ذكر حاتم غريبا على الاذهان ، ولا احاديث كرمه بعيدة عن المسامع ، فحديثه يتردد كلما ذكر الكرم ، واخباره تتناقلها الالسن ، فهو كريم تضرب بكرمه الامثال ، وهو فارس لانه يمثل عناصر الفروسية الحققة في الاخلاق والشجاعة والمروءة ، وهو انسان لان عاطفته تمتد الى كل ضعيف ومعوز واسير^(١) :

واني لعف الفقر ، مشترك الغنى وودك شكل لا يوافقه شكلي
وشكلي شكل لا يقوم لمثله من الناس ، الاكل ذي نيقة مثلي^(٢)
ولي نيقة في المجد والبذل لم تكن تأتقها ، فيما مضى أحد قبلي
وهو انسان لا تستعبده المادة ، لانه يرى أن الحياة بذل وسخاء ،
وان المال خلق لاكتساب الثناء والذكر الحميد ، فعلى الانسان أن
لا يكسبه بالغدور ، ولا يتمسك به تمسكا شديدا^(٣) :

أماوي قد طال التجنب والهجر وقد عذرتني من طلابكم العذر
أماوي ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الاحاديث والذكر

(١) ديوان حاتم ص ١٠٩

(٢) النيقة: ارفع مكان في الجسم ، يقصد بها علو المقام والرفعة.

(٣) الديوان ص ٧١ والمبرد في الكامل ١/٣٢٨

أماويّ أني لا أقول لسائل إذا جاء يوماً حل في مالنا النذر
 أماويّ أما مانع فميّن وأما عطاء لا ينهنه الزجر
 أماويّ ما يعني الثراء عن الفتى إذا حشرجت نفس وضاق به الصدر
 أماويّ أن يصبح صداي بقفرة من الأرض لا ماء هناك ولا خمر
 تّري أن ما أتقت لهم يك ضرني وان يدي مما بخلت به صفر
 فللمال في مذهبه سبيل ، وللبدل في نظره مبرر ، لان العيش قصير ،
 والحياة فانية ، وخير ما يتركه الانسان على الأرض ذكر طيب ، وثناء
 يردده القاصي والداني •

وحاتم الطائي الذي ضربت بجوده الامثال ، له شعر كثير ، يشيد
 بفضيلة الكرم • فكان ينفق كل ما عنده ويبيت على الطوى ، هائلاً
 سعيداً • ومن طريف ما يروى له قوله مخاطباً زوجته (٤) :

إذا ما صنعت الزاد فالتسي له أكيلاً فاني لست آكله وحدي
 أخا طارقاً ، أو جار بيت فائتي أخاف مذمات الاحاديث من بعدي
 واني لعبد الضيف ما دام ثاوياً وما في الا تلك من شيمة العبد

فأحاسيس هذا الفارس الجواد تلتبس في كل حديث تحدث به ،
 وفي كل قصيدة قالها ، تلمس في صدق تعبيره ، وطبيعة اخلاصه ، وثبات
 مثله التي كان يسلكها في حياته ، فكانت مثلاً فريداً في عالم الانسان ،
 وقيماً رفيعة في حياة الناس ، ومروءة تنتهي عندها كل المروءات (٥) :

وقد علم الاقوام لو أن حاتماً أراد ثراء المال كان له وفر
 واني لا آلو بمال صنيعة فأوله زاد وآخره ذخير
 ولا أظلم ابن العم ان كان اخوتي شهوداً وقد أودى باخوته الدهر
 وقد حاول البعض ان يفسر كرم حاتم بالحرص على الشهرة ،

(٤) الديوان ص ٦٢

(٥) الديوان ص ٧٣ وروى البيت الثاني في الكامل ٢٤/١ .

والدعاية ، ، ارضاء لكبرياء نفسه ، واغترابا لانانيتها ، واستقبالا لالفاظ
الشكر . ولا اجد نفسي مضطرا للرد على هؤلاء ، لان قراءة أخباره ،
والاستزادة منها ، والتفهم الحقيقي لهذه النفس التي كانت تنطلق
بكرمها من اعماق خيرة ، وتستمد الجود من بيئة زاخرة بفضائل الكرم
والعطاء ، هي الرد الوحيد عليهم ، فأمه عتبة بنت عفيف ، وبنته سفانة ،
وابنه عدي ، وجده سعد بن الحشرج ، وأخبارهم جميعا تملأ الكتب ،
وأحاديثهم امثلة تبرز في كل مجلس يدور فيه حديث الكرم والتضحية
والايثار ، فليس غريبا بعد هذا ان يكون حاتم على هذا الشكل ، وانما
الغريب أن لا يكون كذلك .

فهو عنوان للجود في الجاهلية ، تخطت شهرته القرون والاحقاب ،
وليست هذه الشهرة الا دليلا على أصالتها ، وبرهاننا على الفطرة التي
فطر عليها هذا الانسان النبيل ، ولو كان الكرم في نفس حاتم تصنعا ،
لاكتشف الناس هذه الخصلة في وقت من الاوقات ، وبان زيف دعواها .
ولكن الايام لم تزدها الا رسوخا وثباتا ، ولا زال المؤرخون حتى هذه
اللحظات يققون أمام حاتم العملاق في كرمه باجلال واحترام ، ويصفون
على اسمه نعوتها لم يصفوها على غيره من الناس ، ومما يروى عن علو
نفسه ، واصالة كرمه ، ودفع تهمة من يحاول اصفاء صفة التصنع على
ذلك الكرم ، ما حدثنا به ابن الاثير في يوم ظهر الدهناء^(٦) . فقال :

كان أوس بن حارثة بن لأم الطائي سيدا مطاعا في قومه ، وجوادا
مقداما ، فوجد هو وحاتم الطائي على عمرو بن هند ، فدعا عمرو أوسا ،
فقال له : انت أفضل أم حاتم ؟ فقال : ابيت اللعن ، ان حاتما اوحدها
وأنا أحدها ، ولو ملكني حاتم وولدي ولحمتي^(٧) لوهبنا في غداة

(٦) ابن الاثير - تاريخ الكامل ٢٦٢/١ - والدهناء : واد يشتمل

على سبعة أجبل ويمر ببلاد بني اسد .

(٧) لحمة بالضم : القرابة .

واحدة ، ثم دعا عمرو حاتما ، فقال له : أنت أفضل أم اوس ؟ فقال :
أبيت اللعن •• انما ذكرت أوسا ، ولاحد ولده افضل مني • فاستحسن
ذلك منهما ، وحياهما واکرمهما •

وما تحدثنا به الاخبار ، وتحدثنا به القصائد التي تسأثرت في
ديوانه • فقد حفل الديوان بهذه الافكار الانسانية التي أصبحت بضعة
من نفسه ، والذي يبرز لنا في هذه القصائد ، هو ان حاتما لم يكتف
بطبيعة الكرم وحدها ، وانما كان يلوم من يطلب منه الكف عن بذل
المال ، ويصل به الى درجة التعنيف ، وهذا دليل على أصالة انكرم ،
وتمكن هذه العادة من نفسه تمكنا لا يمكن زعزعته أو تبديله ، لأنه
راسخ في كل عمل من اعماله ، فهو يخاطب من يلومه قائلا(٨) :

مهلا نوار ، أقلي اللوم والعدلا	ولا تقولي لشيء فات ، ما فعلا
ولا تقولي مال ، كنت مهلكه	مهلا وان كنت اعطي الجن والخبلا
يرى البخيل سبيل المال واحدة	ان الجواد يرى ، في ماله سبلا
ان البخيل اذا ما مات ، يتبعه	سوء الشاء، ويحوي الوارث الابلا
فاصدق حديثك ان المرء يتبعه	ما كان بيني ، اذا ما نعشه حملا
ليت البخيل يراه الناس كلهم	كما يراهم ، فلا يقري ، اذا نزلا
لا تعذليني على مال وصلت به	رحما وخير سبيل المال ما وصلا

فحاتم يرد على من يلومه على عطائه وكرمه ، ويخاطب عاذلته بأن
هذه هي طبيعته التي فطر عليها ، ثم يطلب منها الا تجعل لسانها مبردا
فتوغل في العتاب(٩) :

وعاذلة هبت بليل تلومني وقد غاب عيوق الثريا فعردا
تلوم على اعطائي المال ضلة اذا ضن بالمال البخيل وصردا

(٨) الديوان ص ١٠٦

(٩) ديوان حاتم ص ٥٦

تقول : ألا امسك عليك فاني ارى المال، عند المسكين ،معبدا
 ذريني وحالي ، ان مالك وافر وكل امريء جار على ما تعودا
 اريني جوادا مات هزلا لعلي أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا
 والا فكفي بعض لومك واجعلي الى رأي من تلحين رأيك مسندا
 ألم تعلمي أني اذا الضيف نابني وعز القرى . أقري السيدف المرهدا
 أسود سادات العشيرة ، عارفا ومن دون قومي ، في الشدائد مدودا
 يقولون لي أهلكت مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون سيذا
 كلوالآن من رزق الاله وايسروا فان على الرحمن رزقكم عدا

وهكذا كان حاتم ، وهكذا كان كرمه حكاية حال ، وتصوير نفس
 عربية خيرة ، انطلقت منها جميع فضائل الكرم ، لتصور للاجيال صور
 التضحية والجود . ولم تكن هذه القصائد وحدها التي لام فيها حاتم
 عاذلته ، فهناك قصائد كثيرة تتردد فيها هذه المعاني ، لانها منطلقة من
 أسلوبه في الحياة الذي يؤمن بأن البذل والسخاء لا يقربان المنية عن
 امدها ، وان لؤم النفس البخيلة لا يديم بقاءها في دنياها ، فاذا كان
 الجود والبخل لا يبقى ، وكان السخاء اقامة المروءة ، واكتساب الاكرومة ،
 وادخار الشكر ، واقتناء الاجر . فالعقل يوجب الاخذ به ، والحزم
 يقتضي الزهد في غيره (١٠) :

وعاذلة قامت عبي تلومني كأني اذا أعطيت مالي اضيمها
 اعاذل ان الجود ليس بمهلكي ولا يخلد النفس الشحيحة لومها
 وتذكر أخلاق الفتى وعظامه مغيبة في اللحد بال رميها
 ومن يتدع ما ليس من خيم نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها (١١)

فالكرم بعد كل ما تقدم ، وكما أسلفنا في الصفحات السابقة، عادة
 متأصلة فيه . وهو فطرة فطر عليها ، كما فطر عليها العدد الزاخر من

(١٠) حماسة ابي تمام ١٧١١/٤

(١١) الخيم : الخلق .

أجواد العرب الذين ترددت أسماءهم في صفحات التاريخ ، امثلة نلايثار
والجود والتضحية •

ان هذه الفلسفة التي يصورها لنا حاتم ، توضح لنا مسكنا
طبيعيا في الحياة العربية ، عاشه بكل عواطفه ، ومارسه في كل ادوار
حياته ، وهو سلوك لا يريد في الحياة فقط ، وانما ينظر الى نتائج
المرتبة عليه بعد مفارقتها الحياة ، فهو لا يريد بعد الموت الا الذكر
الحميد ، ولا يطلب الا المحمدة الخيرة ، تنطلق بها ألسن الناس • وهو
فوق كل هذا يريد من الناس أن يتحلوا بهذه الصفات ، ويذلوا ما شاء
لهم البذل في سبيل تعميم هذه الصفات ، ليجعلها سنة في حياتهم ، فكان
يدافع عنها في كل قصائده ، ويذم البخل والبخل ، ولا يذكرهم بالخير
بعد الموت ، وهذا ما يخيف الانسان الجاهلي ، لانه يعيش من أجل
القيم الخيرة ، والاهداف الرفيعة ، فاذا احس بتجرده منها ، احس
بالموت والفناء (١٢) :

أما والذي لا يعلم الغيب غيره* ويحيي العظام البيض وهي رميم
لقد كنت أطوي البطن والزاديشتهى مخافة يوما ، أن يقال لئيم
وما كان بي ما كان ، والليل منبس رواق له فوق الاكام بهيم
الف بحلسي الزاد ، من دون صحبتي وقد آب نجم واستقل نجوم

فالكرم عند حاتم عادة تلازمه في حياته ، ولا يملك ان يتخلى
عنها (١٣) :

وقائلة أهلكت بالجود مالنا وتفسك ، حتى ضرتفسك جودها
فقلت دعيني ، انما تلك عادتي لكل كريم عادة يستعيدها

وكان اذا جن الليل ، يوعز الى غلامه أن يوقد النار في بقاع
الارض ، لينظر اليها من أضله الطريق ، فيأوي الى منزله • وهو لا يكتفي

(١٢) الديوان ص ١٢٤

(١٣) الديوان ص ٦٣ •

بهذا فقط ، وانما يعد غلامه برد حرته اليه اذا جلب ضيفا ، فيقول (١٤) :

أوقد فان الليل ليل قِـر
عسى يرى نارك من يَمـر
والريح يا موقد ، ريح صر
ان جلبت ضيفا ، فأنت حر

ومن الحق أن نقول ان عادة الناس اذا اشتهر أحدهم بأمر ، نسبوا اليه كل ما جرى من الاقاصيص المتعلقة بهذا الامر ، وفعلا كان التاريخ يحفل بذكر كثير من هذه الحوادث ، ولكن ذلك لا يمنع من أن طبيعة الكرم كانت موجودة ، وانها كانت متميزة وواضحة المعالم ، وقد تبلغ حد الافراط عند جماعة من الناس ، كما وقع لاسرة حاتم الطائي ، لان العرب كانوا يفتبطون اذا ساقوا جميلهم الى من لا يتوقعون منه الاشادة به ، فالغاية الاولى عندهم البر بالمعوزين والذهاب بطيب الاحدوثة ، وحسن المقالة في الدنيا والآخرة . وهذا اول دليل على اصالة الكرم في نفوسهم *

فحاتم ورث الكرم من والدته التي كانت في الجود بسنلة لا تدخر شيئا ، ولا يسألها احد شيئا فتمنعه ، وقد جمع الادب قصصا كثيرة عن كرم امه ، فمما روي انها كانت ذات يسار ، وكانت من اسخى الناس واقراهم للضيف ، وكانت لا تمسك شيئا تملكه ، فلما رأى أخوتها اتلافها ، حجروا عليها ، ومنعوها مالها ، فمكثت دهرها لا يدفع اليها شيء منه ، حتى اذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من ابلها ، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها في كل سنة تسألها ، فقالت لها دونك هذه الصرمة ، خذيها ، فوالله لقد عضي من الجوع ما لا امنع معه سائلا أبدا ، ثم انشئت تقول (١٥) :

لعمري لقدما عضي الجوع عضة فآليت ألا امنع الدهر جائعا
فقولاً لهذا اللائمي اليوم اعفني فان انت لم تفعل فعض الاصابة

(١٤) الديوان ص ٨٦

(١٥) الاصفهاني : الاغاني ٩٣/١٦ سياسي .

فماذا عساكم أن تقولوا لاختكم سوى عدلكم أو عدل من كان مانعا
وماذا ترون اليوم الا طيبة فكيف بتركي يا ابن امي الطبايعا
وما نقوله بالنسبة لأمه ، نقوله بالنسبة لجده سعد بن الحشرج ،
الذي نشأ حاتم في حجره ، والذي ذكرت قصص كرمه في كتب الأدب ،
وضربت به الامثال (١٦) .

أما أخباره على السنة الرواة ، فهي كثيرة ، تتجسد في تضاعيف
احاديثهم ، وتلمع في ثنايا كتبهم ، فمما رواه أبو الفرج (١٧) انه أقبل
ركب من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان ، فلقوا حاتما ، فقالوا له :
انا تركنا قومنا يشنون عليك خيرا ، وقد أرسلوا اليك رسولا برسالة ،
قال : وما هي ؟ فانشده الاسديون شعرا لعبيد ولبشر يمدحانه ، وأنشد
القيسيون شعرا للنابعة ، فلما انشدوه قالوا : انا نستحي أن نسألك
شيئا ، وان لنا حاجة قال : وما هي ؟ قالوا : صاحب لنا قد أرجل ، فقال
حاتم : خذوا فرسي هذه ، فاحملوا عليها صاحبكم ، فأخذوها وربطت
الجارية فلوها بثوبها فأفلت ، فاتبعته الجارية ، فقال حاتم : ما تبعكم
من شيء فهو لكم ، فذهبوا بالفرس والفلو والجارية .

وقال أبو الفرج (١٨) : كان حاتم يخرج طعامه ، فان وجد من
يأكله معه أكل وان لم يجد طرحه ، فلما رأى أبوه انه يهلك طعامه ،
قال له : الحق بالابل فخرج اليها ، ووهب له جارية وفرسا وفلوها ،
فلما أتى الابل ، طفق يبغي الناس ، فلا يجدهم ، ويأتي الطريق فلا يجد
عليه أحدا ، فبينما هو كذلك ، اذ بصر بركب على الطريق ، فاتاهم
فقالوا : يا فتى هل من قرى ؟ فقال : تسألوني عن القرى وقد ترون
الابل .

(١٦) نفس المصدر ٩٥/١٦

(١٧) الاصفهاني : الاغانى ١٠٤/١٦

(١٨) نفس المصدر ٩٤/١٦ ساسي

وذكر أبو الفرج^(١٩) رواية عن ماوية امرأة حاتم انها قالت : اصابت
اصابت الناس سنة ، فاذ هبت الخف والظلف ، فبتنا ذات ليلة وقد
اسهرنا الجوع ، فأخذ حاتم عديا واخذت سفانة ، وجعلنا نعللها حتى
ناما ، ثم أقبل عليّ يحدثني ويعللني بالحديث كي أنام ، فرقت له ، لما
به من الجهد ، فأمسكت عن كلامه لينام ، فقال لي : أنت مرارا فلم
أجب ، فسكت ، فنظر في فتق الخباء ، فاذا شيء قد أقبل ، فرفع رأسه ،
فاذا امرأة ، فقال : ما هذا ، قالت : يا ابا سفانة : أيتيك من عند صبية
يتعاونون كالذئاب جوعا ، فقال : احضريني صبيانك ، فوالله لاشبعنهم ،
قالت : فقمتم سريعا ، فقلت : بماذا يا حاتم ؟ فوالله ما نام صبيانك من
الجوع الا بالتعليل ، فقال : والله لاشبعن صبيانك مع صبيانها ، فلما
جاءت قام الى فرسه ، فذبجها ثم قدح نارا ، ثم أججها ، ثم دفع اليها
شفرة ، فقال اشتوى وكلي ثم قال : أيقظي صبيانك ، قالت : فأيقظتهم ،
ثم قال : والله ان هذا اللؤم ، تأكلون وأهل الصرم حالهم مثل حالكم •
فجعل يأتي الصرم بيتا بيتا ، فيقول : انهضوا عليكم بالنار • قال :
فاجتمعوا حول تلك الفرس ، وتقنع بكسائه ، فجلس ناحية ، فما
أصبحوا من الفرس على الارض قليل ولا كثير الا عظم وحافر ، وانه
لاشد جوعا منهم وما ذاقه •

وذكر التنوخي^(٢٠) ان رجلا سأل حاتما : يا حاتم ، هل غلبك أحد
في الكرم ؟ قال : نعم غلام يتيم من طيء نزلت بفناءه ، وكان له عشرة
أرؤس من الغنم ، فعمد الى رأس منها فذبجه ، واصلح من لحمه ، وقدم
اليّ ، وكان فيما قدم اليّ الدماغ ، فتناولت منه ، فاستطبتته ، فقلت :
طيب والله • فخرج من بين يدي ، وجعل يذبج رأسا رأسا ، ويقدم اليّ
الدماغ وانا لا اعلم • فلما خرجت لارحل نظرت حول بيته دما عظيما ،
واذا هو قد ذبح الغنم بأسره ، فقلت له : لم فعلت ذلك ؟ فقال :

(١٩) نفس المصدر ١٦/١٠٥

(٢٠) التنوخي : المستجاد من فعلات الاجواد ٢٠٣

يا سبحان الله ، تستطيب شيئاً املكه فأبخل عليك به ، ان ذلك نسبة على
العرب قبيحة ، قيل يا حاتم : فما الذي عوضته؟ قال : ثلاثمائة ناقة حمراء
وخسمائة رأس من الغنم ، فقيل أنت اذن اكرم منه ، فقال : بل هو
أكرم ، لانه جاد بكل ما يملكه وانما جدت بقليل من كثير .

هذا ما حدثنا به المؤرخون ، أما في شعره ، فحاتم يوقد النيران
للضيفان ليلاً ، ويذلل في سبيلهم كل نفيس ، وكلابه لا تهر في وجهه
ضيوفه ، لان الكريم يستقبل ضيوفاً كثيرين ، فيتعود كلبه رؤية الناس ،
وابله مربوطة أمام بيته لتكن جاهزة للعقر (٢١) :

اذا ما بخيل الناس هرت كلابه وشق على الضيف الضعيف عقورها
فاني جبان الكلب بيتي موطأ أجود اذا ما النفس شح ضميرها
وان كلابي قد أهرت وعودت قليل على من يعتريني هريرها
وماتشكي قدرى اذا الناس أفلحت او ثقها طورا وطورا أميرها
وابلي رهن أن يكون كريمها عقيرا امام البيت حين أثيرها
اشاور نفس الجود حتى تطيعني واترك نفس البخل لا استشيرها

وهو الى جانب كرمه وجوده بطل من الابطال ، لا تقل بطولته في
الحرب عن بطولته في العطاء ، وهو يقرن في شعره الكرم بالشجاعة ،
لانهما صفتان متلازمتان في نفسه ، فيتحدث عن قرى الضيف في ثنايا
حديثه عن الطعن والقتال (٢٢) :

اذا مات منا سيد قام بعده نظير له يعني غناه ويخلف
واني لاقري الضيف قبل سؤاله واطعن قدما والأسنة ترعف

ومن اول مظاهر فروسيته وبطولتها تركه لوارثه بعد موته قدرا
من المال لا يوصف بالكثرة ولا بالقلة ، وفرسا ضامرا كالعنان في ادماجه

(٢١) ديوان حاتم ص ٩٢

(٢٢) حماسة ابن الشجري ص ١٥ والبيت الاول في حماسة

أبي تمام ١٢١/١

وضمره ، وسيقا قاطعا اذا حرك في الضريبة لم يرض بالقطع ، ولكن يتجاوزه ويخرج الى ما وراءه ، ورمحا اسمر في لونه ، وذلك اصلب ، محمولا من الخط ، لم يكن طويلا ولا قصيرا حتى لا يكون مضطربا ولا قاصرا ، بل يجري مع الاعتدال . وتلك عدة الفارس الجاهلي ، وسبب وجوده ، فمتى ما حصل عليها ، ومتى ما ادخرها ، كان مطمئن البال مرتاح الضمير ، لانه ملك وسيلة الحياة (٢٣) :

متى ما يجيء يوما الى المال وارثي يجد جمع كف غير ملأى ولا صفر
يجد فرسا مثل العنان وصارما حساما اذا ما هز لم يرض بانهب
واسمر خطيا كأن كعوبه نوى القسب قد اربى ذراعا على العشر
ويتردد هذا المعنى في قصائده ، ويعيده في غير هذه الايات
فيقول (٢٤) :

سأدخر من مالي دلاصا وسابحا واسمر خطيا وعضبا مهندا
وذلك يكفيني من المال كله مصونا اذا ما كان عندي متلدا
اما مروءة حاتم فهي جانب واسع من جوانب حياته ، لانها جزء
يكمل فروسيته ، ويضفي عليها طابع الفروسية الخلقية التي لونت
الفروسية العربية . فما تحدثنا به الاخبار والقصائد التي تناثرت في
ديوانه نستدل على الوحدة القوية التي تلم جوانب المروءة ، وتجمع
القيم الخيرة التي ترفع حاتما الى المكان اللائق بهذه الصفات ، وتجعل
منه علما من اعلام المروءة العربية الاخاذة . فالمال عنده لا يستعبد
صاحبه ، وانما هو وسيلة لفك العاني ، يعطى لمن يستحقه ليستعمله في
المواضع التي تستأهل الصرف (٢٥) .

اذا كان بعض المال ربّا لاهله فاني بحمد الله مالي معبد
يفك به العاني ويؤكل طيبا ويعطى اذا منّ البخيل المطرد

(٢٣) أبو تمام : الحماسة . شرح المرزوقي ٤/١٧٨٦

(٢٤) الديوان ص ٥٨

(٢٥) الديوان ص ٤٨

والمال عنده وقاية للعرض ، لانه فان لا يدوم لاحد (٢٦) :
 ذريني يكن مالي لعرضي جنة يقي المال عرضي قبل ان يتبددا
 وهو لا يكسب المال بالعدر ، لانه يكون شؤما على صاحبه (٢٧) :
 ولا اشتري مالا بغير علمته الا كل مال خالط العدر انكدا
 وحاتم محافظ على تقاليد الاخوة ، راع لحقوقها واصولها ، وهو
 عفيف لا يقصر عن غاية النجدة والكرم ، ولا يقعد به العجز أو الجبن
 عن تلبية نداء من يستعين به (٢٨) *
 الله يعلم أنني ذو محافظة ما لم يخني خليل بيتني عللا
 فان تبدل ألفاني اخا ثقة عف الخليفة لانكسا ولاوكلا (٢٩)
 ونصرة حاتم لآخيه لم تكن اعتباطا ، وانما هي نصرة قائمة على
 الحق ، فاذا ما احس الظلم يقع على اخيه ، قام بالسيف ليرفع عنه
 الظلم (٣٠) :

سأنصره ان كان للحق تابعا وان جار لم يكثر عليّ التعطف
 وان ظلموه قمت بالسيف دونه لانصره ان الضعيف يؤنف
 واني لمجزئ بما أنا كاسب وكل امريء رهن بما هو متلف
 ويتسع مفهوم المروءة عنده ، حتى ليفرض على نفسه ان لا يقتل
 واحدا منه ، ولا يأسره ، وفي هذه الاعمال تتجسد المروءة عنده وتبلغ
 ذروتها (٣١) :

أماوي ، اني رب واحد أمه اجرت فلا قتل عليه ولا أسر

-
- (٢٦) الديوان ص ٥٦
 (٢٧) البحري : الحماسة ٢٠٩
 (٢٨) البحري : الحماسة ٨٤
 (٢٩) الخليفة : الطبيعة . النكس : المقصر عن غاية النجدة والكرم .
 الوكل : البايء العاجز .
 (٣٠) ديوان حاتم ١٠٣
 (٣١) نفس المصدر ٧٢

ومما روي من اخبار حاتم^(٣٢) ان ابا جيبيل عبد قيس بن خفاف
البرجمي اتاه في دماء حملها عن قومه ، فاسلموه فيها ، وعجز عنها ،
فقال : والله لا آتين من يحملها عني ، وكان شريفا شاعرا ، فلما قدم عليه
قال : انه وقعت بيني وبين قومي دماء فتواكلوها ، واني حملتها في مالي
واملي ، فقدمت مالي ، وكنت املئ ، فان تحملها فرب حق قد فضيته ،
وهم قد كفيته ، وان احال دون ذلك حائل لم اذمم يومك ، ولم اياس
من غدك ، ثم انشأ يقول :

حملت دماء للبراجم جمّة فجتتك لما اسلمتني البراجم
وقالوا سفاهاً لم حملت دماءنا فقلت لهم يكفي الحماله حاتم^(٣٣)

فقال له حاتم : ان كنت لأحِب ان يأتيني مثلك من قومك ، هو
ذا مرباعي من الغارة على بني تميم ، فخذها وافرأ ، فان وقى بالحماله
والا اكملتها لك ، وهو مائتا بعير سوى بنيتها وفصالها ، مع اني لا احب
ان توبس قومك باموالهم ، فضحك ابو جيبيل وقال : لكم ما اخذتم
منا ، ولنا ما اخذنا منكم ، واي بعير دفعته الي ليس ذنبه في يد
صاحبه ، فانت منه بريء ، فدفعها اليه وزاده مائة بعير ، فاخذها
وانصرف راجعا الى قومه فقال حاتم في ذلك .

اتاني البرجمي ابو جيبيل لهم في حمالته طويـل
فقلت له خذ المربع رهوا فاني لست ارضى بالقليل

بهذه الخصال الحميدة وفق حاتم في فروسيته ، لانه احاطها بجميع
الفضائل ، واحكمها بسياج من النبل ، فكانت احاديثه واعماله غررا
تقلد جيد الاحاديث ، ومدعاة للترحم عليه . وما حديث ابنته سفانة
عندما حضرت مع سبايا طي مجلس رسول الله (ص) الا دليل على
شيوخ اخباره^(٣٤) ، لان حاتم جمع صفات المؤمن وكان يحب مكارم

(٣٢) ذيل الامالي والنوادر ص ٢١ .

(٣٣) القصيدة موجودة كاملة في المصدر نفسه .

(٣٤) الاصفهاني : الاغانى ٩٣/١٦ ساسي .

الاخلاق • وكان الله يحب هذه المكارم •

وكلمة اخيرة اقولها في شعر حاتم ، هذا الشعر الذي يجب ان يقرأ بتحفظ وحيطة ، لما رافق هذا الشعر من الاضطراب والقلق • وطبيعي ان تنسب الى حاتم ابيات جهل قائلوها ، او قصائد تم يعرف أصحابها ، وخصوصا اذا كانت تعانج الغرض نفسه الذي اشتهر به حاتم ، كمدح الجود والكرم • وما يقال في الشعر يقال في الاخبار والروايات والاساطير التي نسجت حوله ، على أن هذه الاخبار والروايات والاساطير التي اضيفت عن قصد او عن غير قصد ، ليست سوى صدى لما استقر في نفوس الناس الذين رأوا فيه بطلا من أبطال الفروسية في التاريخ العربي ، ومثالا نادرا من امثلة الكرم ، يجري ذكره على كل لسان ويتردد اغنية عذبة على شفاه الشعراء •
فقد ذكره اوس بن حجر فقال (٣٥) :

فان تنكحي ماوية الخير حاتما فما مثله فينا ولا في الاعاجم
فتى لا يزال الدهر اكبر همه فكالكاسير او معونة غارم
وعندما سار ابن مفرع واتى الاهواز ، سأله القوم عن عبيد الله
ابن ابي بكر ، وكيف هو واخلاقه وجوده قال (٣٦) :

يسألني اهل العراق عن الندى فقلت عبيد الله حلف المكارم
فتى حاتمي في سجستان رحنه وحسبك جودا ان يكون كحاتم

وبعد فقد عاش حاتم على هذا المنوال ، فارسا من فرسان الكرم العربي ، وصفحة مشرقة من صفحات المروءة العربية ، وصانعا خيرا من صناعات المجد العربي •

(٣٥) ديوان اوس بن حجر ص ١٢٥

(٣٦) التنوخي : المستجد من فعلات الاجواد ٩٥

الفصل الثالث

عروة والاشتراكية

لعلي لا أكون مغاليا اذا قلت ان عروة بن الورد كان من أكثر الشعراء الجاهليين اهتماما لدى المؤرخين ، كما كان اجبهم الى قلوبهم ، واقربهم الى نفوسهم ، لطبيعته الانسانية الرفيعة ، وسلوكه الخلقى النبيل الذي رفعه الى مستوى انساني عال ، فكان مثالا حيا من امثلة التضحية والايثار ، ونموذجا من نماذج الكرم العربي .. ولعلي لا اكون مغاليا اذا قلت : ان عروة بن الورد قد استأثر دون غيره من الشعراء - بصفة لم تنهياً لغيره منهم ، لازمته ملازمة قوية ، واصبح لا يُعرف الا بها ، تلك الصفة التي أطلق عليها المؤرخون الاشتراكية تجوزا •

ولا اريد مناقشة هذه الصفة الملازمة التي عرف بها عروة من الناحية النظرية والعلمية ، لان ذلك يستدعي دراسة مستفيضة لمفهوم الاشتراكية وتطورها ، وظروف نشأتها وانواعها ، ومدى دلالتها لدى كل فئة تنادي بها ، والتطبيق العلمي لدى هذه الفئات ، لان البحث في هذا المجال يؤدي الى جوانب عرضية بعيدة عن جوهر البحث •

ولكنني ساكتفي بعرض بسيط لما تعارف عليه الناس حول المفهوم الاشتراكي حديثا ، ومدى علاقته بالنسبة للمفهوم الاشتراكي الذي

اطلقه المؤرخون على هذا الشاعر ، مستندين الى ما رسمه لنا عروة في سلوكه وبطولته وشعره ، وبذلك نكون قد وضعنا عروة بن الورد الموضوع الملائم له ، والمناسب لظروفه التاريخية التي عاشها •

وقد علل هؤلاء المؤرخون دعوة عروة، ونشوء حركة الصعاليك، بانها احتجاج على التمييز الطبقي ، وسوء توزيع الثروة ، كما انها كانت تستهدف مساعدة الفقراء والمعدمين ، وتتوعد اصحاب الثروات الطائلة الذين جمعوا هذه الثروة بطرق غير مشروعة ، لذلك فهي قريبة الى الاشتراكية ، او مظهر من مظاهرها الواضحة • هذه هي الاسس التي استند عليها المؤرخون ، وهذه هي المفاهيم التي عللوا بها دعوة هذا الشاعر ، ودعوة هذه الفئة من الناس •

والواقع ان جميع الذين كتبوا عن اشتراكية عروة ، او عروة الاشتراكي ، كانوا متأثرين الى حد كبير بالنظريات الاشتراكية الحديثة التي سادت العالم في الفترة الاخيرة ، فنظروا الى اعمال عروة التي لم يشترك بها وحده ، بمنظار النظريات الحديثة ، ووجدوا في أعماله تبريرا لهذه التسمية التي تحمل نوعا من وضع المصطلحات في غير موضعها •

فالاشتراكية بكل مظاهرها الحديثة ، ونظرياتها المختلفة ، تخطيط علمي دقيق ، ومنهج لتحقيق العدالة الاجتماعية ، واثارة الابداع والارتفاع بكرامة الانسان الى المستوى اللائق ، واعادة الاوضاع الى سويتها ، كما انها تسعى الى خلق جو من المساواة بين ابناء الامة الواحدة ، في امكاناتهم وظروفهم ، وتحاول القضاء على استغلال الانسان لاخيه الانسان ، والوصول به الى مجتمع متحرر ، تخضع فيه جميع وسائل الانتاج لمصلحة الانسان نفسه ، وتسخر في سبيل المجموع •

والاشتراكية حسبما يتضح من مفهومها ، نظام يحل محل نظام قائم بعد ازالته ، نتيجة ثورة جذرية ، او تغيير في اسلوب الحكم ، او

انتقال من مرحلة الى مرحلة اخرى ، والعصر الجاهلي لم يتمخض عن نظام سابق ، وانما كان استمرارا لنظام قبلي ساد الجزيرة قرونا عدة . والمجتمع الجاهلي لم يكن مجتمعا رأسماليا ، او صناعيا ، حتى يمكن ان يظهر فيه نوع من الاشتراكية . وانما كان مجتمعا بسيطا ، لم تتعقد مشاكله التعقيد الذي يساعد على ظهور هذه النظرية او غيرها من النظريات . وبعد فالاشتراكية نظرية يقوم عليها تنظيم مجتمع معين ، وتهدف الى اغراض تتعلق بوسائل الانتاج واستملاكها وادارتها ، وفي كل هذا نجد ان العصر الذي عاشه عروة ، لم يملك من مقومات الحياة التي ظهرت فيها هذه النظرية شيئا . فالتاريخ العربي كان يسجل صراعا مع ظروف الحياة لا صراعا بين الطبقات . ومن هنا لم تكن مشاركة عروة للفقراء مرحلة من مراحل النمو الاقتصادي ، ولا نظاما للانتاج والتوزيع ، وانما هي ادراك عميق للظروف الانسانية الملحة التي كانت تعانيها فئة من الناس ، وهي بالتالي وسيلة من الوسائل التي سلكتها هذه الفئة ، لحض الجهود الفردية للعمل ، والدعوة الى التخفيف عما تعانيه هذه الفئة ، وهذا تقييم للمعاني الانسانية الابداعية التي تجلت واضحة في الذهن العربي ، وامتزجت بحضارته ، فكانت دليلا على الشرائع العربية ، ونباهة الانسان العربي ، الذي احس بمسؤولية الدور الذي فرضته عليه طبيعة الحياة آنذاك ، ثم هي رمز لاثار هذا الانسان الابداعية التي عكست لنا المستوى الخلقى الرفيع الذي عاشته الاجيال العربية .

فسلوك عروة في هذا المجال كان سلوكا طبيعيا ، مستندا على الشرائع الخيرة التي عاشها الانسان العربي .

ومشاركة عروة للفقراء كانت تقوم على المفاهيم البسيطة التي تعارف عليها الناس في عصره ، نتيجة عوامل غير العوامل التي انبثقت منها الاشتراكية الحديثة . كما ان القضايا التي تعالجها الاشتراكية في العصر الحديث قد تعقدت ، واصبحت قائمة بذاتها ، لها حلولها

المستوحاة من مستحدثات العصر ، ومن متطلباته وظروفه ، اما مشاركة عروة وفلسفته بالذات ، فهي مستحدثة من طبيعة ذلك العصر وظروفه ، وهي ميزة لا يكاد ينفرد بها عروة وحده ، وانما هي الطبيعة العربية التي يشاركه فيها عامة العرب ، وكما كان عروة كان حاتم الطائي ، وكان دريد بن الصمة ، وكان الطفيل الغنوي ، وكان غيرهم من الفرسان المشهورين في كرمهم وعفتهم ، ومشاركتهم الناس في مشاكلهم ، ولكن الذي ميز عروة عن غيره هو محاولته تطبيق ذلك السلوك بدقة ، والمحافظة عليه ، والسعي به للوصول الى منزلة متميزة عن الغير لتوضيح معاملته .

وانما اذ نتحدث عن عروة ، فانما نتحدث عن معاناة مخلصة ، عاشها الشاعر الجاهلي ، وهو يتألم للمجموعة البشرية التي كانت تضيق باوضاع اقتصادية غير عادلة ، ونظم اجتماعية تلوح في جوانبها القوضى ويسودها الاضطراب .

فمشاركة عروة كانت تقوم على توزيع الطعام للمحتاجين ، واشراكهم فيه ، حتى اذا امتلأ كأسه ، وطرقه انسان ، وجد ذلك مهينا له ، يشاركه فيه ، قل او كثر . ومشاركته قائمة على صلة الارحام ، واعطاء السائل ، وذوي القربى ومن تجب ضيافته .

وهو بعد هذا لا يكتفي بذكر مناقبه هو ، وانما يحاول جاهدا ان يضع يده على العلل التي كانت تتمثل في طائفة من ابناء قومه لاستئثارهم بانفسهم وحدهم ، فيشبعون ويجوع حولهم العشرات . بهذا المفهوم كانت تتمثل مشاركة عروة ، وعلى هذه الخطوط رسم أهدافه وسلوكه في الحياة .

ولا نريد بقولنا هذا ان نقلل من شأن هذا السلوك الخير الذي سلكه عروة ، ولكن طبيعة البحث تدفعنا الى وضع المقاييس الملائمة لكل عصر بما يتناسب مع ذلك العصر ، حتى لا نظلم عصرا بمقاييس عصر بعيد كل البعد عنه .

لقد تمثلت حياة المشاركة بصورة جلية في حياة الفقراء من الناس، الذين أُطلق عليهم لقب الصعاليك ، لشعورهم بالبؤس ، ونقمتهم على البخلاء ، ورغبتهم في توزيع المال بين الناس بالقوة اذا اقتضى الحال ، وتجلت قوة نفوس هذه الطائفة من الناس في استهانتهم بالحياة في سبيل الوصول الى الغاية التي يسعون اليها^(١) :

دعيني اطوف في البلاد لعلمي افيد غنى، فيه لذي الحق محمل^(٢) أليس عظيما أن تلم ملمة“ وليس علينا ، في الحقوق معول فان نحن لم نملك دفاعا بحدوث تلم به الايام ، فالموت اجمل

فهم يحاولون أن يحققوا لهم مكانة في هذا المجتمع الذي يحقرهم، ويستهن بهم عن طريق فرض انفسهم بالقوة عليه ، وبما لهم من مآثر وامجاد . فهم فقراء ، ولكن الفقر لم يقعد بهم عن ادراك المجد ، وهم شجعان لهم انفة وقوة وفتوة ، وهم بعد كل ما تقدم يملكون الرغبة الملحة في تحدي الاقوياء ، والعطف على الضعفاء .

وعروة بن الورد كان زعيم هذه الطائفة ، وهو انسان كلف بهؤلاء الضعفاء والمساكين ، يجب لهم ما يجب لنفسه ، وقد استبدت به هذه النزعة ، حتى انه كان يؤثر الموت على الحياة البائسة المعدومة ، لاعتقاده بان الفقر ينزع الحب من قلوب الناس .

وقد جسد عروة الفقر في نفوس اهله تجسيدا رائعا ، وصور حالة هذه الطائفة من الناس ، وهوان منزلتها في ذلك المجتمع تصويرا حيا^(٣) :

دعيني للغنى اسعى فاني رأيت الناس شرهم الفقير وابعدهم واهونهم عليهم وان امسى له حسب“ وخير^(٤)

(١) ديوان عروة ص ٣٩ .

(٢) الحق : الحزم . المحمل : الجهد .

(٣) ديوان عروة ص ١٦ .

(٤) الخير : الشرف .

ويقصيه الندي ، وتزدريه حليته وينهره الصغير
ويلقي ذو الغنى ، وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه ، والذنب جسم ولكن للغنى رب غفور

كما رسم لنا مشاعر الناس تجاه هذه الظاهرة فقال (٥) :

المال فيه مهابة وتجلية والفقير فيه مذلة وفضوح

ولهذا فقد كان عروة يطوف البلاد ليكسب المال الذي يستطيع
بذاه لمن هو بحاجة اليه ، فاذا لم يستطع تحقيق ذلك الهدف ، كان
الموت عذره (٦) :

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه شكا الفقراء او لام الصديق ، فاكثرا
وما طالب الحاجات من كل وجهة من الناس الا من اجد وشمرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يساره ، أو تموت فتعدرا

ومن اجل هذا سلك هذا المسلك ، حتى لا تنقطع صلاته بالحياة
المليئة بالتعاطف والتكاتف ، وحتى لا يعيش وحده في رزق ضيق
محدود ، فهو لا يعرف الحياة الا بمشاركته لغيره فيما يعاينه ، وهو
لا يلتذ بمظاهرها الا اذا عمت هذه المظاهر أكبر مجموعة من المحتاجين .

وقد اتخذ عروة بن الورد منهجا خاصا له ، حاول ان يطبقه في كل
تصرفاته ، ويتلخص هذا المنهج بتمرده على البخلاء ، وعطفه على
المظلومين ، ومقاسمته لآلامهم التي يعانونها ، وبؤسهم الذي يقاسونه ،
ولم يكن تمرده تمردا اعتباطيا ينزع الى الفوضى والاعتداء ، وانما كان
وسيلة لغاية انسانية ، وكانت ثورته على الاوضاع القائمة تستند على
طريق عادل ، سعى اليه بكل ما يستطيع ، وحاول تطبيقه بكل ما يملك ،
وقد تجلت هذه الغاية برفع الظلم عن هذه الفئة من المظلومين ، وحماية
الضعفاء من تسلط الاقوياء ، فهو يحاول ان يتعرف على الاغنياء ، فمن

(٥) الديوان ص ٣٢

(٦) الديوان ص ٤٣

وجده منهم بخيلا غزاه ، ومن وجده كريما تركه ، وكان يتسقط اخبار
البخلاء ، ويبعث عليهم العيون ليشد اليهم الرحال .

فقد زعموا ان عروة مكث بعد قوله « أليس ورائي أن ادب على
العصا » ما شاء الله ، ثم بلغه من رجل من بني كنانة بن خزيمه انه ابخل
الناس ، واكثرهم مالا ، فبعث عليه عيونا ، فأتوه بخبره ، فشد على ابله
فاستاقها ، ثم قسمها في قومه فقال عند ذلك (٧) :

ما بالثراء يسود كل مسود مشر ولكن ، بالفعال يسود
بل لا اكاثر صاحبي في يسره واصد اذ في عيشه تصريد
فاذا غنيت ، فان جاري نيله من نائلي ، وميسري معهود
واذا افتقرت ، فلن ارى متخشعا لآخي غنى ، معروفه مكدود

وهكذا انطلقت دعوة عروة في اوساط المجتمع الجاهلي ، فاستجاب
لها الكثيرون ممن يشعرون بنفس هذا الشعور ، ويدركون المساويء
الاجتماعية السائدة في ذلك المجتمع ، وظلت اصداء هذه الدعوة القوية
تتجاوب في جوانب الجزيرة العربية .

فمشاركة عروة في هذا المجال كانت مشاركة عملية ، لانه كان
يشعر بالناس اكثر مما يشعر بنفسه ، ولانه حمل عبء الفقراء في قبيلته ،
وآلى على نفسه ألا يستريح حتى يجدوا كفايتهم ، فألف منهم فرقة
تعمل معه ، وتسعى سعيه ، واطلق عليها اسم العيال ، لانه يعولهم
ويقوم على اطعامهم ، ويبنى لهم الحظائر التي يقيمون فيها ، ويعزو
باشدائهم اعداءه واعدائهم ، ويوزع عليهم ما يكسبه من غزو هؤلاء .
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح (٨)

ومن هنا جاءت شهرة عروة ، وبرزت شخصيته ، لما اشتملت عليه

(٧) الديوان ص ٣١

(٨) الديوان ص ٢٠

هذه الشخصية من آداب انسانية ، واخلاق كريمة ، وروح مشاركة لم تعرف التكلف ، ولم تتصنع الكرم . وقد تجلت هذه الصفات في كل ما كان يصنعه من احسان ، ويذله من عطف ، وتمثلت افضل تمثيل في طريقة حياته ، ومعاملته لهذه الجماعة التي عاشت معه .

وعروة بعد هذا رجل العطاء والنجود ، يفخر بهما في غير تبجح ، وهو رجل المشاركة الساذجة ، المرتكزة على محبة الغير ، والحدب على البائسين . فهو من ارفع الصعاليك تقسا ، لانه كان يعيش لغيره اكثر مما يعيش لنفسه ، وما فخره الا اعتراف بما يعمل ، وبما يرى ، وبما يفرضه عليه هذا النمط من الحياة ، وهو تعبير طبيعي عن النفس الجاهلية في اقرب حالاتها الى العظمة .

وعروة في كل هذه الصفات ، كان يعبر عن نفس كبيرة ، ومثل سامية ، كانت تنحو منحى النبل الخلقي الذي كان يرتقي الى درجات رفيعة من درجات الفروسية العربية ، وقد بلغ به الايثار والشفقة انه كان يعطي لمن يقعد عن الغزو بسبب المرض او الضعف مثل ما يأخذه هو لنفسه ، وبهذا نستطيع ان نقول ان سلوكه كان قائما على مجموعة من التقاليد الاجتماعية ، النابعة من مبادئ طبيعته ، وظروفه التي تأثر بها ، لذا فقد كان عروة بن الورد من الدعاة الحقيقيين لهذا السلوك ، سواء اكان في شعره ، او تصرفاته مع الآخرين .

على ان هذا السلوك الاجتماعي الخير الذي لمع في حياة هذا الانسان العربي لم يكن مقتصرا على جانب واحد من الفروسية ، وانما شمل الجانب الآخر منها ، والمتمثل في البطولة والشجاعة ، فكان عروة يجب المغامرة ، ولا يخشى الموت ، فقد روي ان الناس اصابتهم سنة فاجذبوا ، واهلكت اموالهم ، واصابهم جوع شديد ، وبؤس ، فأتوا عروة ، فجلسوا امام بيته ، فلما بصروا به ، صرخوا وقالوا : يا أبا الصعاليك ، اغثنا . فرق لهم ، وخرج ليغزو بهم ، ويصيب معاشا ، فنهته امرأته عن ذلك لما تخوفت عليه من الهلاك فعصاها ، وخرج

غازيا وفي ذلك يقول^(٩) :

ارى أم حسان الغداة ، تلومني تخوفني الاعداء والنفس أخوف
لعل الذي خوفتنا من امامنا يصادفه ، في اهله ، المتخلف
فاني لمستاف البلاد بسربة فمبلغ نفسي عذرها ، او مطوف

كما تحدث عن السلاح ، ورسم لاصحابه الصور الرائعة لهم ، وهم
يخوضون معترك الحياة القاسية ، وهو لا يجد في حياته شيئا يتركه
لوارثه غير الدرع والمغفر ، والسيف والرمح والفرس ، مدلا بذلك على
فروسيته ، ومؤكدا على ان هذه الوسائل هي السبيل الوحيد الى ادراك
المجد في حياة الانسان الجاهلي ومماته :

وذي أمل يرجو ثرائي وان ما يصير له منه غدا لقليل
ومالي مال غير درع ومغفر وايض من ماء الحديد صقيل
واسمر خطي القناة مثقف واجرد عريان السراة طويل

وتلوح مقدرته قائدا حريبا في رسم الخطط الدقيقة التي تضمن
له ولجماعته الفوز باقل تضحية واكثر غنيمة ، ليشق طريقه نحو الحياة
بالقوة ، وليستطيع ان يفرض نفسه فيها ، وليتمكن من انزاع لقمة
العيش من ايدي هؤلاء الذين حرموهم من وسيلة الحياة ، بسلوكة
الطرق المخوفة ، وقطعه المسالك الكثيرة^(١٠) :

وغبراء مخشي رداها ، مخوفة اخوها ، باسباب المنايا مغرر
قطعت بها شك الخلاج ولم اقل لخيابة ، هيابة ، كيف تأمر

فقد أصبح حب المغامرة عنده وعند هذه الفئة وسيلة ، غايتها
تحقيق النزعة الانسانية التي اتصف بها ، وهو مع ذلك يعلم ان الموت
يكمن له في كل ثغر ، وعند كل ثنية ، ولكن ذلك لا يمنعه من السير في

(٩) الديوان ص ٢٢

(١٠) الديوان ص ٤٧

الطريق الذي رسمه لنفسه (١١)

ألم تعلمي يا أم حسان انني خليطاً زيال ليس عن ذلك مقصر
وان المنايا تغر كل ثيبة فهل ذلك عمايتني القوم محصر؟
وغاراته لم تكن معينة ، وحقل غزواته لم يكن محدوداً ، فهو
يغير يوماً على نجد ، ويوماً على اهل الجبل (١٢)

فيوماً على نجد وغارات اهلها ويوماً بارض ذات شث وعرعر
وعروة بعد تضحياته هذه لم يكن يقابل من اصحابه بمثل ما كان
يقابلهم به ، فهو يسعى بنفسه ، ويجود بها في سبيل تحقيق الطعام لهم
ولعوزيهم ، ولكنهم مع هذا يتنكرون له ، ويحاسبونه محاسبة دقيقة
عند توزيعه الغنائم ، ومما يذكر في ذلك ما رواه صاحب الاغانى (١٣) .
ان الناس اصابتهم سنة شديدة تركوا في دارهم الكبير والمريض
والضعيف ، وكان عروة بن الورد يجمع اشباه هؤلاء من دون الناس من
عشيرته في الشدة ، ويحفر لهم الاسراب ويكنف عليهم الكنف (١٤)
ويكسبهم (١٥) ، ومن قوي منهم - اما مريض ييراً من مرضه ، او
ضعيف تشوب قوته - خرج به معه فاغار ، وجعل لاصحابه الباقيين في
ذلك نصيباً ، وذات يوم قيض له وهو في ماوان (١٦) رجل صاحب مائة
من الابل قد فر بها من حقوق قومه - وذلك اول ما البن الناس -
فقتله واخذ ابله وأمراة ، وكانت من احسن النساء ، فأتى بالابل
اصحاب الكنيف فحلبها لهم وحملهم عليها ، حتى اذا دنوا من عشيرتهم

(١١) الديوان ص ٥٦

(١٢) الديوان ص ٣٠

(١٣) الاصفهاني : الاغانى ٧٨/٣ دار الكتب

(١٤) يكنف عليهم الكنف : يتخذ لهم حظائر يؤويهم اليها ،

واحدها « كنيف » .

(١٥) يقال كسب لاهله : طلب المعيشة .

(١٦) ماوان : واد فيه ماء فيما بين النقرة والربذه .

أقبل يقسمها بينهم ، واخذ مثل نصيب احدهم ، فقالوا : لا واللات
والعزى لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيبا فمن شاء اخذها ، فجعل يهم
بأن يحبل عليهم فيقتلهم ، وينتزع الأبل منهم ، ثم يذكر انهم صنيعته
وانه ان فعل ذلك افسد ما كان يصنع ، فافكر طويلا ثم اجابهم الى أن
يرد عليهم الأبل الا راحلة يحبل عليها المرأة حتى يلحق بأهله ، فأبوا
ذلك عليه ، حتى اتدب رجل منهم فجعل له راحلة من نصيبه (١٧) .

والحكاية توضح لنا الطريق الذي اتتهجه هذا الرجل ، وعلى
ايمانه به ، فهو يؤمن بان هؤلاء صنيعته ، وانه لا يريد ان يعمل عملا
يسيء اليهم فيفسد كل صنيعه الذي قدمه لهؤلاء ، وارتضى لنفسه كل
ما فرضوه عليه واوجبوه . وهو بهذا يرسم لنا اروع صورة من صور
التضحية النادرة . الصورة التي يقف امامها الانسان بكل اجلال ،
ليدرك قيمة هذا الانسان الذي احس بكل جوارحه بالآلام البشر الذين
وقعوا تحت غائلة الجوع فعركهم وآذاهم .

وبعد ، فقد بقيت احاديث عروة تذكر بكل اجلال وتعظيم ، وظلت
مناقبه حديث كل مجلس ، حتى ان عبدالمك بن مروان قال : من زعم ان
حاتما اسبح الناس ، فقد ظلم عروة بن الورد (١٨) . نعم من زعم ذلك
فقد ظلم عروة ، لانه كريم ، ولانه سمح ، فقد كان يجهد نفسه ويتعبها
لاجل مشاركة الناس له في زاده وانائه ، في وقت تشتد فيه المجاعة ،
وينتشر الناس في أطراف الصحراء يبحثون عن الطعام . نعم من قال
ذلك فقد ظلم عروة ، لانه رجل آمن بهذا السلوك فكان انسانا سمحا
وهوبا . وكما تحدثت عنه عبد الملك ، فقد تحدثت عنه معاوية بحديث
يلمس منه الاعجاب ، وقبل أن انهي الحديث عن هذا الشاعر لابد أن
أشير الى ظاهرة تلفت النظر في شعر عروة . وهذه الظاهرة تبدو في

(١٧) لم تنته القصة عند هذا الحد ، ومن اراد تكملتها فليرجع

اليها في الاغاني ٨٠/٣

(١٨) الاصفهاني : الاغاني ٤٧/٣ دار الكتب

الايات التي تكثر فيها المعاني التي تعارف الناس على انها معانٍ اختص بها عروة ، فكانت تضطرب نسبتها اليه ، فالايات التي اولها (١٩) :

إذا المرء لم يبعث سواما ولم يرح عليه، ولم تعطف عليه اقاربه (٢٠)
تنسب في حماسة ابي تمام (٢١) والاغاني (٢٢) الى ابي النشاش ، وهو اموي ومن لصوص تميم ، كما ان الايات (٢٣) :

فراشي فراش الضيف ، والبيتية ولم يلهني عنه غزال مقنع (٢٤)
أحدثه ، ان الحديث من القرى وتعلم نفسي انه سوف يهجم
تنسب الى عتبة بن بجير في حماسة ابي تمام (٢٥) مع تفسير في
الشرط الاول (٢٦) وقيل لمسكين الدارمي (٢٧) .

ومع هذا فان الشعر الذي وصل الينا لعروة ، يكفي لتوضيح معالم حياته ، وابرار شخصيته ، ورسم طريقته في الحياة التي بنى عليها جميع تصرفاته ، كما ان الذي يظهر لنا من دراسة هذه القصائد ، هو ان الشاعر كان يدعو الى الاجتهاد في نيل الغنى ، والوصول الى الجد المعين ، حتى لو ادى هذا الطريق الى الموت ، فان الموت يصبح مريحيهية العذر لمثل هذه الميتة . والمجتهد في طلب الشيء ، اذا حال اجله دون أمله ، فقد أعذر لانه فعل ما كان واجبا عليه ، واما اذا ادرك مناه ، فهذا

(١٩) ديوان عروة ص ١٧

(٢٠) السوام : الماشية والابل الراعية . يرح عليه : أي ترد ابطه الى مراوحها .

(٢١) ج ١ ص ٣١٧

(٢٢) ج ١١ ص ٤٢-٤٣

(٢٣) ديوان عروة ص ٤٠

(٢٤) الغزال المقنع . المرأة الحسناء

(٢٥) ج ٤ ص ١٧١٩

(٢٦) لحافي لحاف الضيف الخ ...

(٢٧) ابو تمام : الحماسة ١٧١٩/٤ شرح المرزوقي .

ما كان يسعى اليه ، وهو في الحالين ناجح في مهمته مصيب في مبتغاه (٢٨)
وقلت لقوم ، في الكنيف، تروحووا عشية بتنا عند ماوان ، رزح (٢٩)
تنالوا الغنى ، أو تبلغوا بنفوسكم الى مستراح من حمام مبرح
ليبلغ عذرا ، او يصيب رغبة ومبلغ نفس ، عذرها مثل منجح
وهذا المعنى يتردد في شعر عروة كثيرا ، ففي حديثه عن الصعلوك
الشجاع يصف اشراق وجهه بالضوء المشع ، وهو يبذل جهده في طلب
مناه ، ويقصر سعيه على ما يبلغ به عذره ، فيشرق على اعدائه غازيا مغيرا
وهم يزجرونه ، فيكر عليهم وقتا بعد وقت ، ولا يقعد عن طلب الأعداء
والاغارة عليهم ، والنيل منهم ، وهم يعدون به ما يعدون من وسائل
الموت ، حتى اذا ادرك الموت ، لقيه محمودا لانه فعل ما يجب عليه ان
يفعله (٣٠) :

ولكن صعلوكا ، صفيحة وجهه كضوء شهاب القابض المتثور
مظلا على اعدائه يزجرونه بساحتهم ، زجر المنيح الشهر (٣١)
اذا بعدوا لا يأمنون اقترابه تشوق اهل الغائب ، المنتظر
فذلك ان يلق المنيحة يلقها حميدا ، وان يستغن يوما ، فأجد

بهذه المعاني يشرق شعر عروة ، وبهذه الانسانية ترسم شخصيته ،
ومن هنا ندرك ان هذا الشاعر لم يكن انسانا عاديا وسط ذلك المجتمع ،
وانما هو شخصية لها قيمتها الاجتماعية ، باعتباره الموجه الحقيقي لهذه
الطائفة من الناس والتي اطلق عليها المؤرخون الصعاليك ، وبانه الروح
المسيرة لهذا التيار في الحياة الجاهلية .

(٢٨) ديوان عروة ص ٢٠
(٢٩) تروحووا : ساروا بالرواح ، العشي . ماوان واد فيه ماء
فيما بين النقرة والربذة . رزح : قد سقط من الاعياء
(٣٠) ديوان عروة ص ٢٨
(٣١) المنيح : قدح مستعار سريع الخروج والفوز يستعار فيضرب
ثم يرد الى صاحبه .

ومن حقنا بعد هذا ان نرى عروة من خلال قصائده الانسانية ،
فهو انسان اكثر من فرد واحد واكثر من قبيلة واحدة ، لانه وعى مأساة
الحياة ، وادرك باحساسه العميق قيمتها الزائلة ، واثرها في النفوس ،
فعاش من أجل الذكر الحميد ، والمآثرة الخالدة ، وانطلق في سلوكه هذا
يعمل بكل ما يستطيع ، ويجاهد دونه بكل ما يقع تحت يده ، فخذ
لنفسه ذكرا طيبا .

أما بالنسبة للتاريخ الجاهلي ، فاذا لم يكن قد ذكر لنا امثالا
لعروة الا في القليل النادر ، فليس معنى ذلك ان عروة وامثاله نادرون
في التاريخ الجاهلي ، وليس معنى هذا ان عروة كان يمثل طرازا حيويا
شادا ، بل الاصح ان نقول ان عروة وامثاله كانوا يمثلون تيارا انسانيا
يشق سبيله بقوة وعزم في خضم الحياة الجاهلية ، تيارا يستمد كل حياته
من طبيعة الظروف التي يعيشها ، والقيم التي تحيط به ، والتقاليد
الخيرة التي يتصف بها اصحاب هذا السلوك .

الخاتمة

وبعد ، فقد انتهى الموضوع على الشكل الذي اردته له ، وعلى أساس الخطة التي وضعت لكتابته ، واصبح يشكل وحدة عامة تجمع اشتاته ، وتلم اطرافه المتباعدة ، وتصنع منه تيارا شعريا ساد الفترة الجاهلية ، وعاش ايامها ، وعاصر حوادثها •

ولا بد لي وأنا انهي البحث ان اشير الى الجوانب التي عالجتها في الموضوع ، لاخرج بنتيجة واضحة المعالم ، بينة الوجوه •

لقد وجدت ان كلمة فروسية في اللغة تدور حول ثلاثة معان : دق العنق والقتل ، والخيال التي يشتق منها اسم الفاعل الذي هو الفارس ، ثم الحدق بامرها وركوبها ، والثبات عليها ، والتعرف على احوالها ، والفراسة وهي التفرس والتثبت في النظر ، والتأمل في الاشياء لادراك بواطنها ، وقد لاحظت ان هذه المعاني الثلاثة متلازمة ومتشابهة ، تتفق في امر واحد ، وتنتهي عند نتيجة واحدة ، هي القتل ودق العنق ، أما استعمالها الادبي فقد وجدت من استعراضي للنصوص التي وردت فيها هذه الكلمة ، انها تمثل جانبين من جوانب الحياة الجاهلية ، جانب الحرب وجانب المثل العليا ، وهي في كلتا الحالتين بناء واحد ، وروح واحدة ، لان شخصية الفارس البطل تملي عليه ان يكون انسانا ساميا في مثله الى جانب بطولته ، وان الحياة الجاهلية بطولة وحماسة ، يكمل

الجزء منها بقية الأجزاء ، وعندها يجتمع الاسس ليقوم عليه البناء
الشامخ الذي احتضن مفاهيم الفروسية بكل معانيها •

ثم وقفت أتأمل البواعث الحقيقية التي ساعدت على ازدهار هذه
القيم ، فكانت الطبيعة الصحراوية اول تلك البواعث ، باعتبارها القوة
المؤثرة في تكوين الانسان وقوته ، كما انها تعتبر من العوامل التي لها
المساس الملحوظ باخلاق الشعوب وعاداتهم ، ولون تفكيرهم وطبائعهم
النفسية ، والمناخ بدوره اهم عنصر من عناصر البيئة بحكم اهميته
البالغة في التأثير في حياة البشر ، وان طريقة الحياة التي تحياها الشعوب
المختلفة انما هي تفاعل بين العوامل الطبيعية وفعاليات الانسان نفسه •

وكانت المرأة باعثا آخر من بواعث الفروسية ، لما اثارته في نفس
الرجل من مشاعر ، ولانها كانت ملهمة الشعراء في روائعهم ، وباعثة
عواطفهم التي خلدوا فيها ادبا يحمل كل معاني السمو والاباء ، لقد
وجد الفارس الجاهلي في محبوبته المثل الاعلى الذي يصوره فكان
اسمها يتردد في ساحات القتال ، وعند التحام المعارك • ان معاني الحب
السامية التي غرستها المرأة في قلب العربي كانت تتمثل في التضحية
الصادقة ، والاستبسال من اجل الحب •

ومن هنا كانت المرأة باعثا قويا من بواعث الفروسية ، ومنطلقا
واسعا من منطلقاتها الرحبة ، ومجالا فسيحا يظهر فيه الفرسان بطولاتهم
النادرة •

والحرب ، باعث ثالث كان له الاثر في تدريب الفرسان وتقوية
سواعدهم ، لان نفس العربي وما فطرت عليه من شجاعة واباء وشمم ،
كانت تجعل الحرب قربية منه ، مألوفة لديه ، بل محبوبة عنده في كثير
من الاحيان ، ولانه يعدها مجالا لبطولته ، وامتحانا لمواهبه •

وقد كان لا يام العرب دور كبير في حركة الشعر الحربي ، بما
اثارته في نفوس الشعراء ، وما رسمته حوادثها في اذهانهم من فخر

واتتصار ، فكان هذا الديوان الضخم من شعر الحماسة ، وكانت هذه
القصائد الرائعة في عالم الحرب والبطولة • والثأر عادة تأصلت في طباع
العربي واصبحت جزءا من كيانه ، وكان الاخذ به دليلا على الشجاعة
والقوة ، والسكوت عنه دليلا على الخضوع والذلة والاستكانة ، فكان
لا بد ان تلعب هذه العادة دورها في الصراع العنيف الذي عاشه العصر
الجاهلي ، وطبيعي ان نتحدث عن اساليب الحرب في سياق حديثنا عن
الحرب نفسها ، ونتحدث عن الطرق التي كانوا يسلكونها عند التقائهم
بالعدو ، وعند التحامهم في المعركة، وما يرافق ذلك من استعداد وتهيؤ ،
ووضع خطط ، وتأمين محافظة النساء والذراري والشيوخ والاطفال ،
وارسال طلائع للاستكشاف ، وغير ذلك مما تقتضيه طبيعة المعركة ،
وتوجيه الظروف المحيطة بها • وكان لزاما علينا ان نختم حديثنا عن
الحرب بالدعوات التي كانت تتعالى من افواه العقلاء والمجربين
لاستبشاع مناظرها ، واستهجان فظائعها ، موضحين بما وضعوه من
قصائد بشاعتها واهوالها وما أسبىها •

وكما لعبت الحرب دورها كباعث من بواعث الفروسية ، كان
لتمجيد البطولة اثر فيها ، لان البطل في البيئة الجاهلية يمثل الانسان
الذي تتجسد فيه آمال الناس ورغباتهم ، وتتمثل في اعماله بطولاتهم ،
فيدرك بما اوتي من قابليات واحاسيس مطامح مجتمعه ، فيحاول
تحقيقها ، ويسعى الى انجازها ، لتتمكن صورته في نفوسهم ، وطبيعي
ان يكون احتفاء الامة بابطالها من ابرز دلائل حيويتها ، وان من حيوية
الامم حصول تاريخها باسمائهم •

ثم تحدثت عن عناصر الفروسية المتمثلة في الخيل والسلاح :

أما الخيل ، فهي من اولى معدات الحرب ، واشدها حاجة وقت
الشدّة ، وعلى مدى قوتها وخبرتها بالحرب تكون درجة القتال ، وعلى
ثباتها في المعركة تتوقف النتائج الحاسمة ، وقد أمن الفارس الجاهلي

صداقة فرسه ، واطمأن الى وفائه ، فهو انيسه في المغامرة ، وصاحبه في السري ، ورفيقه في الحل والترحال ، وقد لمس العربي تلك الصداقة في اشد المحن ، وتذوقها في احرج الساعات ، فكان الصديق الذي يشه شكواه ويقاسمه احزانه . وقد ارتسمت كل هذه الصور في دواوين الشعراء ، وبرزت في قصائدهم . فالخيل تخوض الحرب كما يخوضها الفارس ، وتخرج محجلة الايدي دما . ولقد كان اهتمام العرب بتثنية ابناءهم على الخيل ، وتعويدهم على ضروبها ضرورة تحتمها الظروف القاسية . وكانت للعرب معرفة حسنة بشؤونها واحوالها ، لم يسبقهم اليها سواهم ، وقد تخصص فريق من الشعراء في اوصافها واشتهروا بذكر اعضائها ومميزاتها فاطلق عليهم المؤرخون لقب نعات الخيل . وقد حفلت كتب الادب والتاريخ باسماء الخيل والقابها وانسابها وما اشتهر منها ، كما حفلت بخلقها ودوائرها ، وما يستحب منها ، وما يكره فيها ، وألوانها واحوالها وأشكالها وأوصافها ، وفي هذا ما يدل على أن امة العرب كانت امة حرب وضرب .

أما السلاح ، فكان من الطبيعي ان يتحدث الشعراء الفرسان عنه ، لانه يمثل القوة التي يستندون اليها في حياتهم ، والعنصر الاساس الذي تعتمد عليه بطولاتهم . ولم يكن الحديث الذي يتحدث به الشعراء عنها حديثا عابرا ، وانما هو حديث المناجاة والاعجاب ، حديث الاهتمام بكل جزء من اجزائها ، وبكل ميزة من ميزاتها ، الحديث الذي يصف مضاءها وقوتها وعنصرها وجوهرها ، ويتحدث عن حبه لها وقيمتها بالنسبة لحياته . هذا الحديث الذي كان يخرج من قلبه خالصا دقيقا ، فيصبح اغنية عذبة يتمثلها في مواضع الشدة ، ويتغنى بها في سوح القتال . وكان لزاما أن تنطرق الى أنواع الاسلحة التي استعملها الفارس الجاهلي ، ونستعرض اقواله فيها ، سواء أكانت اسلحة هجوم ، كالسيف والرمح والقوس والسهم ، ام اسلحة دفاع ، كالدرع والترس والمغفر والبيضة . ونخرج من كل هذا الى الاسباب التي دفعت العربي الى الاهتمام

بالسلاح ، لمواجهة الحياة ، ومواجهة الظروف الصعبة التي كانت
تلم به •

ثم تحدثت عن تقاليد الفروسية واصولها وشاراتها وملابسها ،
وطبيعي ان نستعرض بعض تلك التقاليد التي رافقت حياتهم ، سواء
أكان ذلك في السلم أو الحرب • فالفارس كريم جواد وهوب وقت
الازمة ، يمنع جاره ويصون حماه ، ويدافع عن قبيلته ، والفارس يسعى
لكسب الحرب ، ولا يقبل الحياة التي مازجها الهوان ، مهما تكن
المغريات • فهي في حلقه غصص وشجي ، وربما يعلم عن نفسه بعلامة ،
متحديا بذلك خصومه ، وكان الفرسان يتخذون لهم شعارا يتنادون به
في الحرب ، ويعرف بعضهم البعض من هذا الشعار ، كما كان البعض
يتخلى عن السلاح ، لان ذلك يعتبر منتهى الشجاعة وقمة الفروسية ،
الى جانب هذه التقاليد كانت هناك تقاليد اخرى ، واصول غير هذه ،
تمكنا من جمع بعضها من خلال استقصائنا للشعر • أما الملابس ، فقد
كان المقاتلون يلبسون الدروع حماية لهم من الضرب ، وكان بعض
المياسير من كبار القواد يضاعف بين درعين ويلبس احدهما فوق الاخرى ،
وكان لذكر العمائم مواضع في قصائدهم واشعارهم ، لانها كانت تمثل
التيجان التي يرتسم فيها العز •

- ٢ -

ثم انتقلت بعد ذلك الى الباب الثاني الذي تحدثت فيه عن اولية
الشعر ، وقد وجدت ان الشعر الجاهلي لم يكن بدائيا - كما تصور
البعض - وانما هو ثمرة ناضجة لمراحل سابقة من تطور الفن الشعري ،
لان الالتماعاات الابداعية الرائعة التي نلمسها في هذا الشعر لا تدل على
الحدائة ، وانما تدل على مستواه الفني الرفيع •

كما ان النمو الطبيعي للقصيدة العربية باوزانها ومضامينها يستدعي ان تكون هذه القصيدة قد مرت بطوار كثيرة ، تعثرت خلالها تعثرات صعبة، ووقفت امام عوائق صلدة ، حتى كتب لها هذا الاكتمال .

وطبيعي - وانا اتحدث عن شعر الفروسية - ان اتحدث عن نظرية الشك والاتتحال التي اثيرت في العصر الحاضر ، والتي بولغ فيها مبالغة اثارته الدهشة والاستغراب ، ولم احاول اثاره المناقشات الطويلة التي دارت حول هذا الموضوع ، ولكنني اكتفيت ببعض الاشارات ، وعلى قدر ما يتعلق الامر بهذه الدراسة التي تعتمد الشعر الجاهلي اساسا لبحثها، ومحمورا لنتائجها، وقد حاولت في هذه الاشارات ان اثبت خطأ ما ذهب اليه البعض حول هذه النظرية ، محاولا اثبات ذلك بما اقتنعت بصحته من الحجج والبراهين ، وقد خلصت من ذلك الى نتيجة واحدة . هي أن الشعر الجاهلي فيه موضوع وفيه منحول، ولكن ذلك لا يؤدي بنا الى رفضه ، ولان المؤرخين القدامى قد ادركوا هذه الحقيقة فاحاطوه بسياج محكم من التحري والتثبت ، وميزوا بين ما هو منحول وما هو غير منحول ، وما هو ثابت في صحته وما هو مشكوك في روايته . ثم تحدثت بايجاز عن مصادر شعر الفروسية ، واشرت الى بعض تلك المصادر التي حملت لنا الشعر الصحيح ، فكانت المعلقات والمفضليات والاصمعيات وكتب الحماسة وجمهرة اشعار العرب والدواوين التي رواها الثقات اولى المصادر التي اعتمدها للبحث، لانها تمثل لنا مجموعة الشعر الصحيح الذي ساد العصر الجاهلي ، فصور القيم التي عاشت وسط ذلك المجتمع ، كما ان هذا الشعر يمثل مختلف نواحي الحياة الجاهلية .

ثم بحثت في موضوعات شعر الفروسية ، فكان الفخر والحماسة اول تلك الموضوعات ، لانه يمثل الوسيلة التي تنشر بها مفاخر القوم ، وذكريات ايامهم ، وهو باب واسع من ابواب الشعر العربي ، لتعبيره عن ميلهم الطبيعي الى الاتفة والعزة ، وقد وجدت ان حركة الفخر قد

امتزجت بالحماسة في كثير من الاحيان فاصبحت حركة شعرية واحدة ،
استنفدت القصائد الكثيرة ومدت الشعراء بوقود جزل من التغني
بالبطولات ، فكانت ديوان العرب الكبير ، وغرضهم الواسع الذي جمع
مآثرهم ومحامدهم ، ثم تحدثت عن الهجاء لاتصاله بحياة الفرسان ،
ولانهم صوروا فيه الخصوم بصور غير مستحسنة ، فجردوهم من
صفات البطولة ، وعتوهم بشتى النعوت التي لا تليق بالفرسان ، على
أن ذلك لم يمنع البعض من انصاف الخصوم ، واطهار شجاعتهم ووصف
بطولاتهم ، وهذا ما حدا ببعض المؤرخين الى تخصيص قسم من القصائد
واطلاق اسم المنصفات عليها . واما ثالث الموضوعات فهو الرثاء ، لان
الشعراء تعرضوا في هذا الموضوع الى صفات البطل المرثي ، وعرضوا
في مراثيهم ما يتميز به من نخوة وبطولة وكل ما يضفي عليه لقب
الفارس .

وتحدثت بعد ذلك عن أثر الحرب في شعر الفروسية ، وما صنعتها
التجارب الكثيرة التي خاضها الشعراء الفرسان فيهم من قابليات رائعة ،
وبينت أثر ذلك في الهامهم الدقة في الوصف ، والحسن في التصوير ،
والصدق في العاطفة ، والاجادة في التركيب الشعري . لان الحرب في
الواقع كانت تمثل المحور الاساس الذي دارت عليه الحياة الجاهلية .

- ٣ -

وانتقلت الى الباب الثالث وهو شعراء الفروسية ، وكان حديثي
عن الجوانب البارزة في حياة ثلاثة من هؤلاء الشعراء هم : عنتره وحاتم
وعروة . وعقدت الفصل الاول للحديث عن جانب الحب عند عنتره ،
فتحدثت فيه عن عنتره الفارس الذي تمثلت فيه القيم البطولية ،
والفروسية الجاهلية ، وانتهيت الى ان عنتره كان يمثل رمزا من رموز

البطولة العربية النادرة ، وملحمة رائعة من ملاحم الشعر العربي ، ثم تحدثت عن عنترة الانسان الذي تمثلت فيه المروءة الجاهلية بكل ما تنطوي عليه من انسانية ، وخلصت الى انه كان عفيفا تسمو به عفته فوق ما عهدناه عند كثير من الشعراء ، فهو سمح المعاشرة ، يوجد بما ملكت يده ، ويعف عند المسألة ، عند توزيع الغنائم ، ويلبي دعوة من يناديه ، ثم انتقلت الى عنترة العاشق الذي يمثل بداية الحب العذري ، والذي تمتزج عنده الفروسية بالحب ، ووجدت ان الحب كان جانبا من جوانب حياته ، بما كان يصوره من مظاهر الفروسية الشريفة . وان المثل الرفيعة التي اتسمت بها حياة هذا الفارس ، قد هيأت انظهور للغزل العذري عند العرب ، واوجدت النواة المشرقة التي مهدت لظهور الشعراء الغزليين .

وقد لاحظت ان المؤرخين لم يخصصوا علة بجانب كبير من اخبارهم ، بل تكاد تكون رواياتهم خلوا منها ، على الرغم من تردد اسمها في شعره بصورة عامة ، وفي معلقته بصورة خاصة ، كما وجدت ان عقدة اللون او مشكلة اللون عنده كانت واضحة ، وكانت هذه العقدة سببا من اسباب مأساته التي عاناها ، فاضفت على شعره لونا حزينا ، واكسبته طابعا عاطفيا رائعا ، لانه سجل فيه آلام نفسه ، ووقف حائلا دون تحقيق ما كانت تصبو اليه هذه النفس .

وعقدت الفصل الثاني للكرم عند حاتم الطائي ، وتحدثت عن حاتم باعتباره عنوانا للكرم ، ثم تحدثت عنه باعتباره فارسا تتمثل فيه عناصر الفروسية الحققة، فللمال في عرف حاتم سبيل ، وللبذل في نظره مبرر ، والعيش قصير ، والحياة فانية ، والبذل والسخاء لن يقدما المنية عن أمدها ، واؤم النفس البخيلة ، لا يديهم بقاءها في دنياها ، فاذا كان الجود يفني ، والبخل لا يبقي ، وكان السخاء اقامة المروءة ، واكتساب الاكرومة ، وادخار الشكر ، واقتناء الاجر ، فالعقل يوجب الاخذ به ، والحزم يقتضي الزهد في غيره . ومن هذه الفكرة انطلق حاتم في كرمه ،

فخلد لنفسه الذكر الحميد الذي ظل يتردد حتى عصرنا الحاضر ، وقد حاولت أن أرد على بعض الذين حاولوا تفسير كرم حاتم بالحرص على الشهرة والدعاية ، ارضاء لكبرياء نفسه ، واستقبالا لالفاظ الشكر ، بما وجدته من ادلة كرم هذا الانسان ، وانهتهت الى ان الكرم عنده طبيعة وفطرة ، وجدت في بيئته كل عوامل النمو والازدهار ، فايئعت هذا المثل النادر ، واثمرت هذه الارومة الخيرة .

واما الفصل الثالث ، فقد خصصته للحديث عن عروة والاشتراكية ، وقد بينت في هذا الفصل استئثار عروة دون غيره بصفة لم تنتهياً لاحد ، وقد اطلق المؤرخون عليها تجوزا الاشتراكية .

ولم احاول مناقشة هذه الصفة من الناحية النظرية والعلمية ، لان ذلك يستدعي دراسة مستفيضة لمفهوم الاشتراكية وتطورها وظروف نشأتها ، وقد اكتفيت بعرض بسيط لما تعارف عليه الناس حول هذا المفهوم ، ومدى علاقته بما رسمه عروة لنفسه في سلوكه وشعره ، لاستطيع ان اضع عروة بن الورد الموضوع الملائم له ، والمناسب لظروفه التاريخية . وقد بينت ان الذين كتبوا عن اشتراكية عروة كانوا متأثرين الى حد ما بالنظريات الاشتراكية الحديثة ، ومن خلال تأثرهم هذا نظروا الى اعمال عروة التي لم ينفرد بها وحده ، فوجدوا من ذلك مبررا لهذه التسمية التي تحمل نوعا من وضع المصطلحات في غير مواضعها .

وانتهيت من كل ذلك الى أن التاريخ الجاهلي اذا لم يذكر لنا امثالا لعروة الا في القليل النادر فليس معنى ذلك ان عروة وامثاله نادرون في التاريخ الجاهلي ، وليس معنى هذا ان عروة كان يمثل طرازا حيويا شاذا ، بل الاصح ان نقول ان عروة وامثاله كانوا يمثلون تيارا انسانيا يشق سبيله بقوة وعزم في خضم الحياة الجاهلية ، تيارا يستمد كل حياته من طبيعة الظروف التي يعيشها ، والقيم التي تحيط به ،

والتقاليد الخيرة التي يتصف بها اصحاب هذا السلوك •

وبعد فهذا ما تمكنت من تحقيقه في دراستي ، وكما رأيته متمثلا في جوانب الحياة التي عالجتها • وهي دراسة ارجو ان تكون واضحة المعالم ، وأدعو الله أن يوفقني لاستكمالها في المستقبل القريب • والله الموفق لكل عمل خير •

نوري حمودي القيسي

مصادر البحث ومراجعته

- (١) أحمد امين :
الصعلكة والقتوة في الاسلام - القاهرة دار المعارف
بمصر - ١٩٥٢ .
- (٢) أحمد محمد الحوفي :
(أ) المرأة في الشعر الجاهلي - القاهرة - ١٩٥٤
(ب) الغزل في الشعر الجاهلي - القاهرة - ١٩٥٣
(ج) الحياة الادبية في الشعر الجاهلي - القاهرة - ١٩٤٩
- (٣) الاصفهاني : ابو الفرج . علي بن الحسين بن محمد الاموي
الاجاني - ط . دار الكتب والساسي بحسب ما يذكر في الهامش
- (٤) الاصمعي : أبو سعيد ، عبدالمالك بن قريب
الاصمعيات - ط . دار المعارف . تحقيق الاستاذين عبدالسلام
هارون واحمد محمد شاكر ١٣٧٥ - ١٩٥٥
- (٥) الاعشى : ميهون بن قيس
ديوانه . شرح محمد محمد حسين - القاهرة المطبعة النموذجية
١٩٥٠ .
- (٦) امرؤ القيس بن حجر الكندي
ديوانه - ط دار الكتب تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ١٩٥٨
ديوانه - ضمن مجموعة الأعلام الشنتمري تحقيق مصطفى
السقا - القاهرة ١٣٤٨-١٩٢٩
- (٧) البخترى : الوليد بن عبيد الله بن يحيى .
الحماسة - ضبط وتعليق كمال مصطفى - القاهرة المطبعة
الرحمانية - ١٩٢٩

- (٨) **البخشي : محمد بن محمد البخشي**
رشحات المداد فيما يتعلق بالصفات الجياد .
- (٩) **بشر بن أبي خازم**
ديوانه - تحقيق الدكتور عزت حسن - دمشق ١٣٧٩-١٩٦٠
- (١٠) **بشير يموت**
شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام . بيروت ١٣٥٤-١٩٣٤
- (١١) **بطرس البستاني**
الشعراء الفرسان . بيروت - دار الكشف ١٩٤٤ (١)
- (١٢) **البغدادي : عبدالقادر بن عمر**
خزانة الادب ولب لباب لسان العرب - القاهرة ، المطبعة
السلفية ١٣٤٧ وط بولاق (٧)
- (١٣) **بلاشير : اكدكتور ريجيس بلاشير**
تاريخ الادب العربي - ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني -
دمشق ، مطبعة الجامعة السورية - ١٩٥٦ (ج)
- (١٤) **التبريزي : ابو زكريا ، يحيى بن علي**
شرح القصائد العشر - القاهرة ، المطبعة المنيرية ١٣٦٧ هـ (٧)
- (١٥) **التنوشي : المحسن بن علي بن محمد بن داود التنوشي**
المستجد من فعلات الاجواد . تحقيق محمد كرد علي -
دمشق ١٣٦٥ - ١٩٤٦ (٥)
- (١٦) **الثعالبي : عبدالملك بن محمد بن اسماعيل**
فقه اللغة - باعثناء لويس شيخو - بيروت - ١٩٣٨ م (٥)
- (١٧) **الجاحظ : ابو عثمان ، عمرو بن بحر**
(أ) البيان والتبيين - تحقيق حسن السندوبي - القاهرة
مطبعة الاستقامة ١٣٦٦ - ١٩٤٧ (٥)
- (ب) الحيوان - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٣٨
- (١٨) **جرجي زيدان**
(أ) انساب العرب القدماء - القاهرة مطبعة الهلال ١٩٠٦ (٧)
- (ب) تاريخ آداب اللغة العربية - باعثناء الدكتور شوقي
ضيف - القاهرة مطبعة دار الهلال ١٩٥٧ (٧)

(ج) تاريخ التمدن الاسلامي مراجعة الدكتور حسين مؤنس
مطبعة دار الهلال ١٩٥٧

- (١٩) **الجزائري : محمد الجزائري**
نخبة عقد الاجياد في الصافنات الجياد - بيروت - المطبعة
الاهلية ١٣٢٦
- (٢٠) **جواد علي**
تاريخ العرب قبل الاسلام - مطبوعات المجمع العلمي العراقي
١٩٥٤ - ١٩٦٠
- (٢١) **الجوهري : اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي - الصحاح**
تحقيق احمد عبدالغفور عطار - دار الكتاب العربي ١٩٥٦
- (٢٢) **حاتم الطائي**
ديوانه - لندن ١٨٧٢
ديوانه - بيروت - طبع صادر ١٩٥٣
- (٢٣) **ابن حبيب : أبو جعفر ، محمد بن حبيب**
(أ) المحبر - طبع الهند ١٩٤٢
(ب) من نسب الى امه من الشعراء - تحقيق عبدالسلام
هارون ضمن مجموعة من الرسائل (نوادير المخطوطات)
طبع لجنة التأليف والترجمة ١٣٧٠-١٩٥١
- (٢٤) **حسان بن ثابت**
ديوانه - طبع صادر - ١٣٨١ - ١٩٦١
- (٢٥) **الخالديان : ابو بكر محمد وابو عثمان سعيد**
كتاب الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهليين
والمخضرمين - طبع لجنة التأليف والترجمة - ١٩٥٨ تحقيق
الدكتور محمد يوسف
- (٢٦) **ابن رشيقي : ابو علي ، الحسن بن رشيقي القيرواني**
العمدة في محاسن الشعر وآدابه - تحقيق محمد محي الدين
عبدالحميد - مطبعة حجازي ١٣٥٣-١٩٣٤

- (٢٧) الزبيدي: محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق الزبيدي
تاج العروس - طبع المطبعة الخيرية ١٣٠٦
- (٢٨) انزمخشري: محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي انزمخشري
اعجب العجب في شرح لامية العرب - طبع الوراق - ١٣٢٨
- (٢٩) زهير بن ابي سلمى
ديوانه - ضمن مجموعة الاعلم الشنتمري - تحقيق مصطفى
السقا ١٣٤٨-١٩٢٩
- (٣٠) ابو زيد القرشي
محمد بن ابي الخطاب - جمهرة اشعار العرب - بولاق ١٣٠٨
- (٣١) ابن سلام: محمد بن سلام الجمحي
طبقات فحول الشعراء - تحقيق محمود محمد شاكر
طبع دار المعارف - ١٩٥٢
- (٣٢) سلامة بن جندل
ديوانه - تحقيق الاب لويس شيخو - بيروت ١٩١٠
- (٣٣) ابن سيده: ابو الحسن ، علي بن اسماعيل
المخصص - المطبعة الاميرية - بولاق ١٣١٦
- (٣٤) السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر
المزهر في علوم اللغة وانواعها - بولاق ١٢٨٢
- (٣٥) ابن الشجري: ابو السعادات ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة
الحماسة - طبع حيدر آباد - الدكن ١٣٤٥
- (٣٦) الشيخ بن خيران الغطفاني
ديوانه - مطبعة السعادة - ١٣٢٧ القاهرة
- (٣٧) الشنتمري: يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالاعلم الشنتمري
مختار الشعر الجاهلي - تحقيق مصطفى السقا - طبع مصطفى
البابي الحلبي ١٣٤٨-١٩٢٩
- (٣٨) الشنتمري
ديوانه - مطبوع في مجموعة الطرائف الادبية - ١٩٤٧
تحقيق: عبدالعزيز الميمني

- (٣٩) شوقي ضيف
تاريخ الادب العربي - العصر الجاهلي
طبع - دار المعارف بمصر - ١٩٦٠
- (٤٠) شيخو : الاب لويس شيخو ايسوعي
(أ) شعراء النصرانية - بيروت ١٩٠٠
(ب) رياض الادب في مرثي شواعر العرب - طبع بيروت
١٨٩٧
- (٤١) صالح احمد العلي
محاضرات في تاريخ العرب - طبع بغداد ١٩٥٩
- (٤٢) طرفة بن العبد
ديوانه - تحقيق وتحليل الدكتور علي الجندي
ديوانه - ضمن مجموعة الاعلم - تحقيق مصطفى السقا
١٣٤٨ - ١٩٢٩
- (٤٣) طه حسين
في الادب الجاهلي - طبع القاهرة - ١٣٥٢ - ١٩٣٣
- (٤٤) ابن عبد ربه : احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي
العقد الفريد - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة
١٣٦١ - ١٩٤٢
- (٤٥) عبيد بن الابرص
ديوانه - تحقيق وشرح الدكتور حسين نصار ١٣٧٧ - ١٩٥٧
ديوانه - طبع بيروت ١٣٧٧ - ١٩٥٨
- (٤٦) ابو عبيد : عبدالله بن عبدالعزيز البكري
(أ) معجم ما استعجم - تحقيق مصطفى السقا - طبع
لجنة التأليف والترجمة ١٣٦٨ - ١٩٤٩
(ب) سمط اللالي في شرح آمالي القالي - تحقيق عبدالعزيز
الميني ١٣٥٤ - ١٩٣٦

- (٤٧) **ابو عبيدة : معمر بن المثنى**
 (أ) النقائص بين جرير والفرزدق - تصحيح محمد
 اسماعيل الصاوي • طبع مطبعة الصاوي ١٣٥٣-١٩٣٥
 (ب) كتاب الخيل - الهند ١٣٥٨
- (٤٨) **عروة بن الورد**
 ديوانه - تصحيح الشيخ ابن ابي شنب - طبع الجزائر ١٩٢٦
 ديوانه - طبع بيروت ١٩٥٣
- (٤٩) **علي الجندي**
 شعر الحرب في العصر الجاهلي - طبع مطبعة الرسالة - ١٩٥٨
- (٥٠) **عنتر بن شداد**
 ديوانه - تحقيق وشرح عبدالمنعم عبدالرؤف شلبي - طبع القاهرة
 ديوانه - ضمن مجموعة الاعلم الشتري - تحقيق مصطفى
 السقا ١٣٤٨ - ١٩٢٩
- (٥١) **ابن فارس : ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا**
 معجم مقاييس اللغة - تحقيق عبدالسلام هارون - طبع
 مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٦٩
- (٥٢) **الفيروزابادي : محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم**
 قاموس المحيط - طبع المكتبة التجارية
- (٥٣) **القالبي : ابو علي اسماعيل بن القاسم**
 الآمالي - دار الكتب - ١٣٤٤ - ١٩٢٦
- (٥٤) **ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله بن مسلم**
 (أ) الشعر والشعراء المطبعة التجارية ١٣٢٢
 (ب) عيون الاخبار - دار الكتب المصرية ١٩٢٥
 (ج) أدب الكاتب - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد -
 المطبعة الرحمانية ١٣٥٥
- (٥٥) **قيس بن الخطيم**
 ديوانه - لبيزج ١٩١٤
 ديوانه - تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور احمد

- مطلوب بغداد ١٣٨١ - ١٩٦٢
- (٥٦) ابن الكلبي هشام بن محمد بن السائب
انساب الخيل - تحقيق احمد زكي - طبع دار الكتب المصرية
١٩٤٦
- (٥٧) المبرد: ابو العباس محمد بن يزيد
الكامل في اللغة والادب - تحقيق الدكتور زكي مبارك
١٣٥٥ - ١٩٣٦
- (٥٨) المحاسني: زكي المحاسني
شعر الحرب في ادب العرب - دار المعارف ١٩٦١
- (٥٩) محمد احمد الفمراوي
النقد التحليلي لكتاب في الادب الجاهلي - السلفية ١٩٢٩
- (٦٠) محمد محمد حسين
الهجاء والهجاؤون في العصر الجاهلي ١٩٤٨
- (٦١) محمد الخضر حسين
نقض كتاب في الشعر الجاهلي - السلفية ١٣٤٥
- (٦٢) محمد الخضري
محاضرات في بيان الاخطاء العلمية والتاريخية التي اشتمل
عليها كتاب في الشعر الجاهلي - مجلة القضاء المصرية
- (٦٣) محمد بن زياد الاعرابي
اسماء خيل العرب وفرسانها - تحقيق جرجيس لوي دلاويدا
- (٦٤) محمد عبد الحميد خان
الاساطير العربية قبل الاسلام - مطبعة لجنة التأليف والنشر
١٩٣٧
- (٦٥) محمد لطفي جمعة
الشهاب الراصد - القاهرة - مطبعة المقتطف والمقطم ١٣٤٤ -
١٩٢٦
- (٦٦) محمد مهدي البصير
بعث الشعر الجاهلي - بغداد - مطبعة التفيض - ١٩٣٩

- (٦٧) محي الدين العطار
بلوغ الارب في مآثر العرب - مطبعة الصفا - لبنان - ١٣١٩
- (٦٨) معهود شكري الالوسي
بلوغ الارب في أحوال العرب - بغداد ١٣١٤
- (٦٩) المرتضى : الشريف المرتضى - علي بن الحسين
آمالي المرتضى - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - دار
الكتب العربية ١٣٧٣ - ١٩٥٤
- (٧٠) المرزباني : ابو عبد الله محمد بن عمران
الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء - السلفية ١٣٤٣
- (٧١) المرزوقي : ابو علي احمد بن محمد بن الحسن
شرح ديوان الحماسة - نشر احمد امين وعبدالسلام هارون
١٩٥١
- (٧٢) المزرد بن ضرار الفطفاني
ديوانه - تحقيق خليل ابراهيم العظيمة - طبع بغداد ١٩٦٢
- (٧٣) مصطفى صادق الرافعي
تاريخ آداب العرب - ١٣٢٩
- (٧٤) المفضل بن محمد الضبي
المفضليات - تحقيق ليال - اوكسفورد ١٩٢٠
المفضليات - تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون
طبع - مطبعة المعارف ١٣٦١
- (٧٥) ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي بن احمد
لسان العرب - طبع بولاق ١٣٠١
- (٧٦) النابغة الذبياني
ديوانه - دار صادر بيروت ١٣٧٩ - ١٩٦٠
- (٧٧) ناصر الدين الاسد
ديوانه - ضمن مجموعة الاعلم الشتري
ناصر الدين الاسد
مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية - طبع دار المعارف
١٩٥٦

- (٧٨) ابن النديم : ابو الفرج محمد بن اسحق بن يعقوب
كتاب الفهرست - المكتبة التجارية - مصر ١٣٤٨
- (٧٩) النويري : احمد بن عبدالوهاب بن احمد
نهاية الارب - دار الكتب ١٣٤٢ - ١٩٢٤
- (٨٠) ابن هذيل الاندلسي : علي بن عبدالرحمن بن هذيل الاندلسي
حلية الفرسان وشعار الشجعان - تحقيق محمد عبدالغني حسن
طبع - دار المعارف ١٩٥١
- (٨١) هذيل
ديوان الهذليين طبع دار الكتب ١٣٦٧ - ١٩٤٨
- (٨٢) ابن هشام : ابو محمد عبدالملك بن هشام
السيرة النبوية - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد - طبع
القاهرة - ١٣٥٦ - ١٩٣٧
- (٨٣) السيرة النبوية - تحقيق مصطفى السقا وجماعته ١٣٧٥ - ١٩٥٥
الهمداني : ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب
صفة جزيرة العرب - بريل - ١٨٨٤
- (٨٤) الواقدي
كتاب المغازي
- (٨٥) ولكن
الامومة عند العرب - ترجمة بندلي جوزي - كازان ١٩٠٤
- (٨٦) ياقوت : ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي
معجم الادباء - تصحيح مرجليوث (سلسلة اوقاف جب)
القاهرة ١٩٢٣ - ١٩٢٦
- معجم البلدان - بيروت ، دار صادر ١٣٧٤ - ١٩٥٥
- (٨٧) يوسف بطرس غالي
تقاليد القروسية عند العرب - طبع دار المعارف ١٩٦٠
- (٨٨) يوسف خليف
الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي - طبع دار المعارف ١٩٥٩

فهارس الكتاب

- ١ - فهرس الاعلام
- ٢ - فهرس القبائل
- ٣ - فهرس الاماكن
- ٤ - فهرس الايام
- ٥ - فهرس الخيل
- ٦ - فهرس الموضوعات

بالتعمیر سلف

- ۱ - کلا رسوے -
- ۲ - سابق رسوے -
- ۳ - نکلہ کلا رسوے -
- ۴ - اولیٰ رسوے -
- ۵ - ریضا رسوے -
- ۶ - تادمہ رسوے -

الاعلام

- (١)
- ابراهيم بن عبدالله بن حسن : ٢٢٨
 ابجر بن جابر العجلي : ٩٦
 ايزى : ١٧٤
 ابن ابي الفرج البصري (صدرالدين علي) : ٢٣٣
 ابن الاثير : ٢٣ ، ٩٨ ، ٢٩٣
 ابن اسحاق : ٨٨
 ابن الاعرابي : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ١٤٧ ، ٢٢٧
 ابن جنى : ٢١ ، ٢٣
 ابن خلدون : ٢٢٥
 ابن خلكان : ٢٢٠
 ابن دارة : ١٢٨
 ابن رشيق : ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٥٠
 ابن السكيت : ١٩ ، ٢١ ، ٢٣
 ابن سلام : ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٧١ ، ٢١٩ ، ٢١٨
 ابن سيار : ١٠٢
 ابن سيده : ٢١
 ابن عبد ربه : ٢٢٥
 ابن فارس : ٢٥
 ابن قتيبة : ٢٣٠ ، ٨٦
 ابن القطاع : ٢٣ ، ٢٤
 ابن الكلبي : ١٢٧ ، ٢٢٥
 ابن كلثوم : ٨٣
 ابن مجدع : ١٦٩
- ابن مفرع : ٣٠٤
 ابن النحاس (احمد بن محمد النحوي المصري) : ٢٢٦ ، ٢٢٧
 ابن النديم : ٢٢٠ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠
 ابن هرمة : ٢١٣
 ابنة مالك : ٥٣ ، ٥٤
 ابو براء (عامر بن مالك ، ملاعب الاسنة) : ٧٩ ، ١٦٨ ، ٢٢٥
 ابو بكر بن السراج : ٢٠
 ابو تمام : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٠
 ابو جليل : ٣٠٣ ، ٣١٦
 ابو جعفر المنصور : ٢٢٨
 ابو خراش : ٩٣
 ابو الخنساء (راشد بن شهاب الشكري) : ١٧٢
 ابو الخبيري : ١٢٧ ، ١٢٨
 ابو دؤاد الايادي : ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٥١
 ابو زكريا التبريزي : ٢٢٦ ، ٢٢٨
 ابو زيد : ٢٢٢
 ابو زيد القريشي : ٢٣٣
 ابو سفيان : ٧٢ ، ٨٦ ، ٢١٨
 ابو شاس : ٩٠
 ابو طلحة : ١٥١
 ابو الطمحان : ٦١
 ابو عامر (الطفيل بن مالك) : ١٣٩
 ابو علي (احمد بن محمد المرزوقي) : ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٢

الاسعر الجعفي: ١٤٩ ، ١٦٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣
اسماء بن رباح: ١١٥
الاسود العنسي: ١٣٤
الاسود (اخو الحوفزان) : ١٠٠
الاصمعي : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ١٣٦ ، ١٨٦ ، ١٤٧
٢٢٥ ، ٢١٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨
٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٧٠
الاعشى (اعشى قيس) : ٢٩ ، ٣٤
٣٦ ، ٣٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٣٤
١٤٣ ، ١٧٤ ، ١٧٧
٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٥٢
الاعلم الهذلي : ٩١ ، ٩٢
الافوه لاودي : ٢٦ ، ١٥٦
اكنم بن صيفي : ٧٩ ، ٢٠١
ام الثوير : ٩٠
ام جندب : ٦٢
ام حسان (زوج عروة بن الورد) :
٦١ ، ٦٢ ، ١٢٠ ، ٣١٣ ، ٣١٤
ام حكيم (بنت الحرث بن هشام) .
٧٢
ام سعد (بنت سعد بن الربيع) : ٦٥
ام السليك بن السليكة : ٥٨
ام سهل : ١٤٦
ام عمارة : ٦٥
ام مالك : ٦٦
ام محارب (زوج النابغة الجعدي) :
٥٨

ابو عبيدة : ٢٠ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١١٩ ، ١٣٦ ، ١٤٧
١٨٦
ابو عزيز بن عمير : ٨٨
ابو عمرو بن العلاء : ١٣٣ ، ٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢١٨ ، ٢١٣
٢٢٥
ابو عمرو الشيباني : ٢١٩
ابو الفرج : ٢٢١ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩
ابو الفضل (احمد بن محمد الميداني) :
٢٢٨
ابو قيس بن الاسلت : ١١٨ ، ١٩٠ ، ١٩١
ابو كلية التيمي : ١٠٢
ابو الفوار : ٤٥
ابو مئيل : ٨٨
ابو المهوش : ٢٥٧
ابو النشاش : ٣١٦
ابو نواس : ٥٧
ابو وهب : ٩٢
ابو هلال العسكري : ٢٥٠
احمد امين : ٣٠
احمد محمد شاكر : ٢٢٩ ، ٢٣٠
احمد مطلوب : ١٥
احمد ناجي القيسي : ١٥
الاحمر بن هوازن : ٧٩
الاحنف بن قيس : ١٩٨
احيحة بن الجلاح : ١٠٧
اخت ربيعة بن مكرم : ٢٦٦
الاخفش (سعيد بن مسعدة) : ٢٢٩
الاخنس التغلبي : ٤٩ ، ٢٠٠
اربد العامري : ٣٥
ازهر بن هلال : ٦١

برد بن حارثة الشكري : ٩٩
بروكلمان : ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧
بسطام بن قيس : ٨٨ ، ١٣٤
البسوس : ٧٢ ، ٧٨ ، ٢٧٠
بشامة بن عمرو : ١٨٧
بشامة بن الفدير : ١٧٢
بشامة النهشلي : ٢٠٠
بشر بن ابي خازم : ١٣٨ ، ١٤٣ ،
١٩٥ ، ١٤٤

بشر بن قيس : ٨٨
بشير بن عمرو بن موند : ٨٣
بشير يموت : ٥٧
البفداوي (عبدالقادر) : ٢٧٥
بكر بن وائل : ٣٣ ، ٦٤ ، ٧٨ ، ٩٧
١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٨
بلاشير : ٢١٦ ، ٢٢٥
بنت منذر : ٦٢
بهية بنت اوس : ٥٧

(ت)

تأبط شرا : ٩٣ ، ١٣٠
التنوشي : ٢٩٩

(ث)

ثعلبة بن عمرو العبدي : ١٧٨

(ج)

جابر بن حني التغلبي : ٢٥٤
الجاحظ : ٢٢٥ ، ٢٥٦
جرير : ٩٥
جساس : ٧٢ ، ٧٨ ، ١١٧
جعفر بن ابي كلاب : ١٤٥
جيللة بنت المهلهل : ٦٠
الجميح : ١٨٧

ام ندبة (زوج حذيفة بن اليمان) :
٢٦.

ام هيثم : ١٢٦ ، ٥٨
امرؤ القيس : ٦٢ ، ٤٣ ، ٣٢ ، ٦ ،
١٤٠ ، ١١٩ ، ١١٤
١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٤٨
١٧١ ، ١٦٧ ، ١٦٦
٢٢١ ، ٢١٣ ، ١٨٩
٢٣٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٢

امرؤ القيس بن عباس : ٢٣٦

امرؤ القيس بن مالك : ٢٣٦

اميرا : ٥٨

امية بن ابي الصلت : ٢٧٠

الانباري : ٢٢٨

انس بن فاطمة : ٥٦

انيف بن جبلة : ١٣٨

انيف بن حكم النبهاني : ٨٥

اودين : ١٢٤

اوزيريس : ١٢٤

اوس بن حارثة : ٢٩٣ ، ٢٩٤

اوس بن حجر : ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ،

١٨١ ، ١٩٩ ، ١٩٨

٢٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ،

٢٣٦ ، ٣٠٤

الاهثم بن سمي : ٦٤

اياس بن قبيصة الطائي : ٩٨ ، ٩٩

(ب)

باجيهوت : ٥٨

بجير بن الحارث : ١٨ ، ١٠٦

بجير بن عبدالله : ٢٤٤

البحثري : ٢٣٢

بدر بن مسعر الكناني : ١٨

بدر بن معشر : ١٠٣

(ح)

- حارب بن امية : ٧٨
الحرقة : ٦٦
الحسن بن رجاة : ٢٣٢
حسان بن ثابت : ٢١٨ ، ٢١٤ ، ٨٧
٢٥٧
حسين الخادم : ٢١٩
حصن بن حذيفة : ٢٥٦ ، ٦٧
الحصين بن الحمام : ٨٨ ، ٢٨
١٥٨ ، ١٥٥ ، ١٣١
٢٤٢ ، ١٧٥ ، ١٧٣
الحصين بن يزيد الحارثي : ٩٦
حطمة بن محارب : ١٨٧
الحطيئة : ٢٧٦ ، ١٣٠
صفية الشيبانية : ٦٦
الحكم بن مروان : ٢٥٤
حماد الراوية : ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥
حمزة بن عبدالمطلب : ١٩٩
حمل بن بدر الفزاري : ٥٦
حنبل (اخو عنترة) : ٢٨٨
حنظلة بن ثعلبة : ٧١ ، ٩٨ ، ١٠١
الحوفزان (الحارث بن شريك
الشيباني) : ٩٦
- (خ)
- خالد بن جعفر : ١٣٨
خالد بن يزيد البهراني : ٩٨
الخالديان : ٢٧٠ ، ٢٣٣ ، ٩٤
خداش بن عمرو : ١١٣
خديجة بنت خويلد : ٦١
خراشة بن عمرو العبسي : ١٧٢
خفاف بن ندية : ١٤٧
خلف الاحمر : ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥
- حاتم الطائي : ١٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٣٦ ، ١٧٤ ، ١٣١
٢٩٢ ، ٢٩١ ، ٢٤٧
٢٩٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٣
٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦
٣٠٠ ، ٣٠٠ ، ٢٩٩
٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤
٣٠٨ ، ٣١٥ ، ٣٢٥
٣٢٦ ، ٣٢٧
حاجب بن زرارة : ١٣٨ ، ٢٥٦
الحادرة : ٢٤٧
الحارث بن جبلة : ١٩٥ ، ١٩٧
الحارث بن حنزة : ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٤٧
الحارث بن عباد : ٣٣ ، ٧٨ ، ١٠٦ ، ١١٦ ، ١٤١ ، ١٥٩
٢٠٢ ، ٢١٣
الحارث بن عوف : ١٠٩٥٧ ، ١١٠٦ ، ١١١
الحارث بن وعله : ١٥٣
الحارث بن دوس الايادي : ٤٤
الحارث بن النعمان : ١٤٢
الحارث بن ورقاء : ٢٥٣
الحارث بن هشام : ٧٢
حاطب بن قيس : ٨١ ، ١٠٦
حبيش بن دلف : ٧٩
حبية بنت رياح : ٥٦
حجل بن ملك كنده : ١٦٦
حجل بن فضلة : ١٧١
حذيفة بن بدر : ١٣٧ ، ٢٥٦
حزيم بن طارق : ١٥٦
حزيمة : ١٥٧

ربيعة بن مكرم ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ١٣٣

١٣٤ ، ١٣٨

ردينة : ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦

رضوى (امرأة) : ١٧٨

الرسول محمد (ص) : ٦٠ ، ٦٤

٦٥ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ٩٧

٩٨ ، ١٠٤ ، ١٥١

١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١

٢١٣ ، ٢٢٥ ، ٢٧٦

٣٠٢

ريحانة بنت معد يكر ب : ٧٢ ، ٩٠

ريطة بنت جذل الطعان : ٧١

(ذ)

الزبرقان بن بدر : ١٣٨

الزبير بن العوام : ١٩٩

الزجاج : ٢٤

زرارة بن عدس : ٢٥٦

الزمرخري : ٢٠

زهير بن ابي سلمى : ٣٨ ، ١٠٨

١٠٩ ، ١١١ ، ٢٢٦

٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٣

٢٥٨

زه بن جناب : ٢٣٦ ، ٢٤٩

زيد بن حسان الكوفي : ٩٩

زيد بن عدي بن زيد : ٩٧

زيد الخيل : ٦١ ، ٨١ ، ١٣٩

١٤١ ، ١٥٥ ، ١٦١

٢٤٩

(س)

ساعدة بن مرة : ١١٨

سامي مكى العاني : ١٥

الخليل بن احمد : ٢١٥ ، ٢٢٥

خنابير : ٩٨

الخنساء : ٦٠ ، ١٩٥ ، ٢٥٥

٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢

(د)

دارغون : ٥٨

درم بن عقال : ٢٢١

داود : ١٨٨

دختنوس : ٦٥

دريد بن الصمة : ٤٠ ، ٦٠ ، ٦٨

٦٩ ، ٧١ ، ٧٢

١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨

١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٥٥

١٩٦ ، ٢٤٤ ، ٢٦٢

٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧

٢٧٢ ، ٣٠٨

(ذ)

ذؤاب بن اسماء العبسي : ٧٢ ، ٧٣

١١٦ ، ١١٨

ذو الاصبع العدواني : ١١٩ ، ١٨٥

ذو البردين (عامر بن احيمر) : ١٢٩

ذو الفصة : ٩٦

ذي يزن : ١٧٤

(د)

راشد بن شهاب الشكري : ١٧١

١٨٠ ، ١٨٧

الربيع بن فاطمة : ٥٦

ربيعة بن جشم : ٢١٣

ربيعة بن مقروم : ٧٧ ، ٨٢ ، ١٥٤

١٩٣ ، ٢٠٠

(ص)
صاحب الصمصامة (عمرو بن معد
يكرِب) : ١٦٩
صخر بن عمرو (اخو الخنساء) :
٢٦٠ ، ٢٥٥
صفية بنت ثعلبة : ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥
الصولي : ٢٣٢

(ض)
الضبي : ٢٣٤ ، ٢٢٥
ضرار : ٧٩
ضمرة بن ضمرة النهشلي : ١٣٨

(ط)
طارق : ٦٦
طه حسين : ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩
٢٢٢
الطبري : ٢٢٠
طرفه بن العبد : ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠
٢٣٥ ، ٢٢٦ ، ١٦
٢٣٩

الطرماح : ١٤٤
طريف العنبري : ١٨٨
طريف بن تميم : ١٩٩
الطفيل بن مالك : ١٣٩
الطفيل الفنوي : ٧٦ ، ١١٧ ، ١٣٧ ،
١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٩
١٥١ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ،
٢٣٦ ، ٣٠٨

(ع)
عائشة : ٢١٣
عاتك : ٦١
عاصم بن عمرو : ١٠٧
عامر بن صعصعة : ٩٦

ستارك : ٥٨
سريج : ١٧٢
سعد بن الحشرج : ٢٩٣ ، ٢٩٨
سعيد بن زيد الانصاري : ٦٥
سفانة بنت حاتم : ٢٩٣ ، ٢٩٩ ،
٣٠٣

سفيان بن ربيعة : ١٣٩
سلامة : ١٧٤
سلامة بن جندل : ٨٠ ، ١٧٠ ،
١٩٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤
سلمة بن هند : ١٣٨
السليك بن السلكة : ٥٦ ، ٥٧ ،
١٣٤ ، ١٣٨ ، ٢٧٦

سليمي : ٦١
سمث : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠
سمهر : ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٧
السمؤال : ١٣١ ، ٢٢١
سُمير : ٧٨
سنان بن حارثة : ١٢٦
سيبويه : ٢١
السيوطي : ٢٣٤

(ش)
شاس : ٩٠
شداد بن معاوية العبسي : ١٣٨
الشمخ : ١٦٩ ، ١٨٢
الشنفرى : ١٣٠ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ،
١٨٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ ،
٢٣٦

شوقي ضيف : ١٥ ، ٢٢٢
شيبوب : ٥٣

- عامة بن الطفيل : ٢٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٣٤ ، ١٥٩ ، ١٥٤ ، ١٤١ ، ٢٤٧ ، ١٨٦ ، ١٦٥ ، ٢٥٥ ، ٢٥١ ، ٢٣٦
- عامة بن معشر بن اسحم : ٢٧٠
العباس بن مرداس : ٢٧٠
عبدالسلام هارون : ٢٣٠ ، ٢٢٩
عبدالشارق بن عبد العزيز : ١٩٤ ، ٢٧٠
- عبد قيس بن خفاف : ١٦٦ ، ١٨٨ ، ٢٥٧
- عبدالله بن جدعان : ٢٥٦
عبدالله بن الزبير : ٢١٣
عبدالله بن الصمة : ١١٦ ، ١١٣ ، ٧٢ ، ١١٨ ، ١٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧
- عبدالله بن عتبة بن مسعود : ٢١٢
عبدالمعديخان : ١٢٠
عبدالمالك بن مروان : ٣١٥ ، ١٣١
عبدنفوس بن وقاص : ٢٠١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧
- عبيد بن الابرص : ١٩٨ ، ١٧٦ ، ٣٨ ، ٢٢٦ ، ٢١٤
عبيدالله بن ابي بكر : ٣٠٤
- عبلة : ٢٨٣ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٢٦
- عتبة بن بجير : ٣١٦
- عتبة بن الحارث (فارس تميم) : ١٣٤
عتبة بنت عفيف : ٢٩٣
عتبة بن الحارث : ٢٧٦
عدي بن حاتم : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩
عدي بن زيد : ٩٧ ، ٢١٤
عروة بن الزبير : ٢١٢ ، ٢١٣
عروة بن الورد : ١٤ ، ٦١ ، ١٢ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٦٦ ، ٢٤٨ ، ٢٣٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧
- عقبة بن ربيعة : ٨٦
عقيل بن عاقبة : ٢٥٧
علقمة بن عبده : ٦٢ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦
علقمة بن علاثة : ١٣٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٦
عمارة بن فاطمة بنت الخرشب : ٥٦
عمارة بن عيس : ٨٣
عمر بن الخطاب (رضي) : ١٣ ، ٦٠ ، ٨٦ ، ١٣٢ ، ٢٧٦
عمر بن عبدالعزيز : ٢١٢ ، ٢١٣
عمرو بن الاهتم : ٥٨ ، ١٢٦
عمرو بن ثعلبة الشيباني : ٦٦ ، ٧٥
عمرو بن كلثوم : ٣٧ ، ٤٠ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩
- عمرو بن مالك : ٨٨
عمرو بن معد يكرب : ٧٢ ، ٩٠

(ف)

- فاطمة بنت الخرشب : ٥٦
فاطمة بنت الوليد بن المغيرة : ٧٢
الفتح بن خاقان : ٢٣٢
الفرار السلمي : ٩١
فراس بن عبدالله بن سلمة : ٢٤٤
الفرزدق : ٩٥
فضالة بن كلدة : ١٣٨ ، ٢٦١
فضالة بن هند : ١٣٨
فطيمة : ٢٩
فكيهة : ٥٦ ، ٥٧
الفند الزماني : ١٠٥
فيلبي : ٤١

(ق)

- قيصة النصراني : ٩١
قدامة بن جعفر : ٢٥٠
قدامة بن موسى : ٢١٨
قراد بن حنش : ١٧٨
قراد بن غوية : ١٢٠
قرفة بن حذيفة : ٦٧
قعضب : ١٦٩
قيس بن الخطيم : ٢٧ ، ٨١ ، ١٠٦
١١٢ ، ١١٥ ، ١٨٧
١٩٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨
٢٥٧
قيس بن زهير : ٦٧ ، ١٣٠ ، ١٣٧ ،
٢٧٦
قيس بن عاصم : ١٢٩ ، ١٣١
قيس عيلان : ١٣٨
قيس بن مسعود : ٩٨ ، ١٧١
قيصر : ٣٢

- ١٠٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣
١٣٩ ، ١٦٩ ، ١٧٤
١٨٠ ، ١٩٠ ، ٢٧٦
عمرو بن المنذر (ابو هند) : ٢٤٠
عمرو بن هند : ٢٩٣ ، ٢٩٤
عميرة بن جعل : ١٧٥ ، ٢٥٢
عنتر بن شداد : ١٣ ، ٢٧ ، ٤٠
٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥
٨٦ ، ٨٩ ، ١٠٤
١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٤
١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٥
١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٧٥
١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٧
١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦
٢١٣ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤
٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٧٠
٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦
٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩
٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢
٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥
٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩
٢٩٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦

عنتر بن اسد : ٨٦

عوف بن الاحوص : ١٧٢

عوف بن عطية : ٤٧ ، ٨٤ ، ١٩٢ ،
٢٤٧

عينة بن حصن : ٢٥٦

(غ)

غالب : ٢٨

غني بن اعصر : ١٣٧

غنية بنت الحشرج : ٥٨

غيظ بن مرة : ١١٠

مالك بن زهير العبسي : ١٠٥
مالك بن قراد : ٢٨٧
مالك بن نويرة : ١٣٨ ، ١١٣ ، ٩٠ ،
٢٦٦ ، ١٤٤
ماوي : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ،
٣٠٤ ، ٣٠٢
ماوية بنت عبد مناة : ٥٦
المبرد : ٢٣٢
متمم بن نويرة : ١٣٨
الملمس : ١٤٦ ، ١٤٥ ، ٤٧ ،
٢٦٦
المتوكل : ٢٣٢
المثقب العبدي : ٢٣٦
محمد بن اسحاق : ٢١٤
محمد بن حبيب : ٩٥ ، ٥٨
محمد بن القاسم الانباري : ٢٢٧
مخارق : ٢٥٦ ، ٢٧١
المخبل السعدي : ١٢٦
مرجليوث : ٢٢٢ ، ٢١٧ ، ٢١٦
المرقش : ٢٣٠
المرقش الاكبر : ٥٥ ، ٥٤
مرة بن ذهل : ١١٧
مرة بن عوف : ١١٨ ، ٢٧
المزرد بن ضرار : ١٧٠ ، ١٤٢ ، ٨٢ ،
٢٣٦ ، ١٩١ ، ١٨٩
٢٤٣
مسافع العبسي : ٢٦٥
المساور بن هند ، ١٧٦
مسكين الدارمي : ٣١٦
مسهر بن يزيد : ٩٦
مصعب بن عمير : ٨٨ ، ٦٥
مصطفى السقا : ٢٣٥
معاوية بن ابي سفيان : ٣١٥

(ك)

كأس بنت الكلجية : ١٥٦ ، ١٤٣
كبشة (اخت عمرو بن معد يكرب)
١٩٣ ، ١١٣ ، ٧٢
كرز بن عامر : ٦٧
كرنكو (المستشرق) : ٢٣٣
كسرى : ٨٧ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٦٦ ،
٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،
١٠٢
كعب بن مامه : ١٣١ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ،
١٣٧ :
الكلبي
كلجة (هبيرة بن عبد مناف) : ١٣٨
الكلجة اليربوعي : ١٥٦ ، ١٤٣
كليب : ٨٦ ، ٧٨ ، ٧٢ ،
١١٨ ، ١١٧ ، ١١٤
٢٦١ ، ٢٥٦ ، ٢٠٢
٢٧٠ ، ٢٦٢

(ل)

ليبد بن ربيعة العامري : ٣٥ ، ٣٣
٢٦٣ ، ٢٢٦ ، ٣٧
٢٦٦
لقيط : ٢٥٦ ، ٦٥
ليس : ٦٤
لويس شيخو (الاب) : ٥٧
ليال : ٢٢٨ ، ٢٢٦ ، ٢١٧

(م)

ماسخ : ١٧٧
ماسخة : ١٧٧
ماسيه : ٢١٦
مالك بن حريم الهمذاني : ١١٢ ،
٢٤٥

(و)

الوارد : ٢٢٩ ، ٢٣٥
ودالك بن ثميل : ١٥٥
ويلكن : ٥٨ ، ٥٩

(هـ)

الهامرز النسوي : ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١
هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود :
٧١ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩
هبة الله العلوي (ابن الشجري) :
٢٣٣
الهديل بن هبيرة الاكبر التغلبي (ابو
حسان) : ٩٧
هرم بن سنان : ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١
هند بنت حذيفة : ٦٧
هند بنت عتبة : ٦٤ ، ٧٢
هند بنت عقبة : ٦٠
هند بنت النعمان : ٦٦
هوذة بن علي الحنفي : ٣٤ ، ٣٧

(ي)

يزيد بن حاتم : ١٩٧
يزيد بن حرثة اليشكري : ٩٨
يزيد بن خذاق : ١٣٩ ، ١٥٩ ، ١٨٨
يسار (راعي زهير) : ٢٥٣
يوسف بن سليمان (الاعلم الشنتمري) :
٢٣٥
يوسف بن سليمان (الاعلم الشنتمري) :
١٥
يوسف خليف (الدكتور) : ٨٠ ، ٨٠

معاوية بن عمرو (اخو الخنساء) :

٢٥٥
معد بن عدنان : ١١٠
المفضل الضبي : ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
المفضل النكري : ٨١
المنخل اليشكري : ١٩٠
المنذر بن ماء السماء : ٤٤
منشم : ١١٠
منصور : ٢٠١
منقذ : ٧٢ ، ٢٧١
المهدي (الخليفة العباسي) : ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩
المهلل (اخو كليب) : ١٨ ، ٨٨ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٨
١٢٤ ، ١٣٩ ، ٢٠٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٢
موير : ٢١٦

(ن)

النايفة الجعدي : ٥٨ ، ١٤٧
النايفة الديباني : ٢٦ ، ١٦١ ، ٢٢٦
٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦
٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥
ناصر الدين الاسد (الدكتور) : ٢٣٠
نافع بن حجر : ١٦٦
النعمان بن الحارث : ٢٦٣
النعمان بن زرعة التغلبي : ٩٨
النعمان بن المنذر : ٧٩ ، ٩٧ ، ٩٨
١٣٩ ، ١٥٩
نوار (زوج حاتم الطائي) : ٢٩٤
نولدكه (المستشرق) : ٢١٦ ، ٢٢٦
النويري : ٩٥

القبائل

بنو ذهل بن شيبان : ٧٤ ، ١٠١	(أ)
بنو رواحة : ٩٧	آل بدر : ١٩٥
بنو رياح بن يربوع : ١٣٧	آل سعد : ٦٤
بنو سعد : ٩٦	آل فراس : ٧٠
سليم : ٧٠ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ٢٦٠	آل وائل : ٦٤
بنو الشريد : ١١٦	أشجع : ١٩٦
بنو شيبان : ٧٤ ، ٧٩ ، ٩٧ ، ٩٩	الاوس : ٢٧١ ، ٢٠٠ ، ١٨
١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٥	أياد : ٩٩ ، ٩٨
١١٧	(ب)
بنو صفية : ٧٧	ابراهيم : ٣٠٣
بنو عامر بن صعصعة : ٦٣ ، ٧٧ ، ١٣٤ ، ٩٦ ، ٧٩ ، ٧٨	بكر : ١١٤ ، ١٠٦ ، ٦٤ ، ١٧٢
١٤ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠	بلعنبر : ١٠٥
بنو عبد الدار : ٦٥ ، ٨٦	بنو اسد : ٢٥٣ ، ١١٤
بنو عبدالله بن غطفان : ٢٥٣	بنو امية : ٨٦
بنو عيس : ٧٧ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٧	بنو آكل المرار : ١٨٩
١١٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨	بنو بكر : ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٤ ، ١٩٦
بنو عجيل : ٧٤	بنو تميم : ٩٦ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ٣٠٣ ، ١٤٤
بنو عمرو بن جندب : ١١٤ ، ١٩٩	بنو ثعلبة : ١١٨ ، ١٣٤
٢٦٥	بنو جشم : ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ١٧٨
عواد : ٥٦	بنو جعدة : ١٣٧ ، ١٣٨
عوار : ٥٧	بنو الحارث : ٧٧
بنو غنم : ١٠٨	بنو الحارث بن كعب : ٧٧
فراس : ٧١	بنو حنيفة : ٧٤
قيس بن ثعلبة : ٨٨	

(خ) ١٠٤٠٩٦٠٩٠ : خثعم
 ٢٧١٠٢٠٠٠٧٨ : الخزرج

(د) ١١٤ : دودان

(ذ) ١٠٩٠٨٦٠٨٢٠٥٧ : ذبيان
 ٢٥٥٠٢٤٣٠١١٠
 ٢٧٨٠٢٦٠
 ٢٤٣
 ١٠٢ : ذهل بن شيبان

(ر) ٧٧ : الرباب
 ٩٧٠٨٦٠٦٤ : ريبة
 ١٠٨ : رهم

(ز) ٩٠٠٧٢ : زبيد

(س) ١١٢ : سعد

(ش) ١٠٤ : شنوءة

(ض) ٧٩ : الضباب

(ط) ٢٤٩٠١٢٧٠٩٧٠٨٥ : طيء
 ٣٠٣٠٢٩٩

١٠٣٠٧٨٠٧٢٠٦٨ : كنانة
 ١١٦
 ٧٤ : لجيم
 ٧٩ : مازن
 ٧٠ : مالك بن كنانة
 ١١٨٠١٠٩ : مرة
 ١٥٣ : مقاعس
 ٦٤ : منقر
 ١٠٣ : نصر بن معاوية
 ٢١٣ : النمر بن قاسط
 ١٨٠ : وابش
 ١٣٧ : هلال
 ٩٧٠٩٦ : يربوع

(ت) ١٠٦٠٩٨٠٧٨ : تغلب
 ٢٤٩٠١٩٦٠١١٤
 ٣٣٢٠٢٥٤٠٢٥٢
 ٣١٦٠٦٤ : تميم
 ٢٠٠ : تنوخ

(ث) ١٧١ : ثقيف

(ج) ١١٠ : جرهم
 ١١٠٠٩٠٠٧٩٠٣٥ : جعفر
 ٢٤٩

(ح) ٨٥ : حائل (بطن)
 ٢١٨ : حمير
 ١٠٤ : حي اسماء (بنو فزارة)
 ١٣٢٠١١٨
 ١٠٤ : حي مرة

(م)		(ع)	
١١٤ :	مالك	٤٨٦٠٥٧٠٥٣٠٤٠ :	عبس
٩٠٠٨٧٠٧٩٠٦٣ :	مدحج	١١٠٠١٠٩٠٧٣ :	
٩٦ :		٢٨٩٠١٩٨٠١٩٦ :	
٩٠ :	مراد	١٠٢٠٩٩ :	عجل
٢٥٤ :	مرثد		
٧٤ :	مضر	(غ)	
١٧٠٠٩٩٠٣٣ :	معدن عدنان	١٩٦٠١٣٧٠١١٨ :	غطفان
٢٤١٠٢٤٠٠٢٠٠ :			
٧١ :	معشر بكر	(ف)	
٢٧ :	منولة	٢٤٤٠١٩٦ :	فزارة
(ن)		(ق)	
٨٥ :	نزار		
٢٤٩ :	نقيل	١٠٣٠٨٦٠٧٢ :	قريش
١٢٩٠٩٨٠٨٦ :	النمر بن قاسط	٢١٧٠٢١٦٠١١٠ :	
١٠٤٠٥٥ :	نهد	٢٧١٠٢١٨ :	
(و)		٢٤٠ :	قضاعه
١٤١٠١٠٦٠٥٤ :	وائل		
(هـ)		(ك)	
٩١ :	هذيل	١١٤ :	كاهل
١١٢ :	همدان		
٢٦٠٠٩٠٠٤٠ :	هوازن	(ل)	
٢٩٧ :		١٠٢٠ :	اللاهزم (بنو تميم الله بن ثعلبة)

الاماكن

حنو قراقر : ١٠١	(أ)	أثينا : ١٢٥
حيدرآباد : ٢٣٣		احد : ٢٠٠، ٨٦، ٧٢، ٦٤
الحيرة : ٢٠٠، ٩٨	(ب)	٢٠١
(خ)		٧٠، ٦٨ : الاخرم
الخط : ٣٠١، ١٧٤		١٧٣ : ارمنية
الخنديق : ٨٦		٢٤٢، ١٥٥ : اظلم
خيبر : ٢٠١		٤١ : افريقيا
(د)		٢٣٥ : الاندلس
الدببا (سوق) : ٢٤٤		١٠ : اوربا
دلفى : ١٢٥		٣٠٤ : الاهواز
دمون : ١١٤	(ب)	
(ذ)		١٧٤ : البحرين
ذات السليم : ٨٣		١٩٩، ١٦٥، ٨٨ : بلر
ذوقار : ١٠٠، ٩٩، ٩٨		٢٦٥ : ابوى
١٢٥، ١٠٢	(ت)	
ذى مجاز : ١٩٩		١٢٧ : تبعة
(ر)		٧٢، ٤٢، ١٢ : تهامة
الربع الخالي : ٤١	(ج)	
الردم : ٢٧		٩٩ : الجبابات
رهوة (جبل) : ٣٧		٢٠٦ : الجزيرة العربية
(ز)		٢٥٣ : جو (وادي)
زرود : ١٤٣، ١٠٦	(ح)	
زمزم : ٤٤		٩٢، ٩١، ٤٢ : الحجاز
(س)		١٩٨ : الحديقة (قرية)
ساباط : ٩٧		٢٥٥، ٢٧ : حسي
الستار : ٢٤٢، ١٥٥		

(م)
 ٢٤٤ : مأرب
 ٣١٧ ، ٣١٤ : ماوان (وادي)
 ١٩١ : مخفق
 ١٧٨ ، ٢١٣ : المدينة (يثرب)
 ٢١٨
 ٢١٣ : متردم
 ١٧٣ : مرج القلعة
 ١٧١ : المشرف
 ٢٤٤ : ملزق
 (ن)
 ٣١٤ ، ٢٤٠ ، ٤٥ ، ٤٢ : نجد
 ١٠٥ : نجران
 ٤٥ : النفود
 (و)
 ٩٧ : واسط
 ١٢٥ : اولمبيا
 (هـ)
 ١٧٥ : هجر
 ١٣٢ : هرشي
 ١٧٠ : الهند
 (ي)
 ١٧٤ : اليمامة
 ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٣ : اليمن
 ٢١٨

٣٠٤ : سجستان
 ٤٢ : السراة (جبال)
 ١٥٥ ، ٩٨ : سفوان
 ٢٦٢ : السلطان
 (ش)
 ١٧١ : الشام
 ١٧٤ : شرعب
 (ط)
 ٢٧١ : الطائف
 ٨٢ : طريف
 (ع)
 ٢١٩ : عبادان
 ٢٥٤ ، ١٠٩ ، ٥ : لعراق
 ٣٠٤
 ١٩٩ ، ١٠٣ ، ٧٨ : عكاظ
 ٢٧١ : عمان
 (ف)
 ١٧٤ : فائش (وادي)
 ٢٤٤ : الفروق
 (ق)
 ١٥ ، ٨ : القاهرة
 ١٩١ : القذاف
 (ك)
 ٢٢٧ ، ٢٢٠ ، ٩٧ : الكوفة

الايام

(ص)	يوم الصفقة : ٢٠١	(أ)	يوم ارباب : ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٤
	الصلعاء : ١٩٦		اعشاش : ٩٤
(ظ)	يوم ظهر الدهناء : ٢٩٣	(ب)	يوم البسوس : ٩٤
(ع)	يوم عراعر : ٢٧٩		يوم البعاش : ٩٥
(ف)	يوم الفجار (حرب الفجار) : ٩٤ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ٩٥	(ت)	يوم تحلاق اللحم : ١٩٦ ، ٩٤
	الفروق : ٢٧٨ ، ٨٦	(ج)	يوم جبلة : ٩٧
	فيف الريح : ٦٣ ، ٨٩ ، ٩٠		يوم جدود : ٩٧
	١٠٤ ، ٩٦	(ح)	يوم حرس : ٢٤٩
(ق)	يوم قضة : ٣٣		حليمة : ١٩٧ ، ٩٤
(ك)	يوم كلاب : ٧٧ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٧		الحنو : ١٠٠
	٢٠١	(د)	داحس والغبراء : ٧٨ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٢٧٥
(م)	يوم مذحج : ٧٧		٢٧٨
	المشقر : ٥٤	(ذ)	يوم ذي قار : ٦٦ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٨٧
(و)	يوم الوادي : ٧٠		٩٧ ، ٩٤
	وقعة حجر : ٦٧	(س)	يوم سفوان : ٧٩
(هـ)	يوم الهباءة : ٨٦ ، ٢٧٩	(ش)	يوم شعب جبلة : ٩٤
	هراميت : ٧٩		

الخيـل

(د)	الرقيب	(أ)	الابجر
١٣٨ :		١٣٩ :	اثال
(س)	سبحة	١٣٨ :	الادهم
١٥٩ :		١٣٩ :	اسبيل
١٣٧ :	سبيل	١٣٨ :	اعوج
١٣٩ :	السلس	١٣٧ :	
(ش)		(ج)	جروة
١٥٩ ، ١٣٩ ، ١٣٨ :	الشموس	١٤٥ ، ١٣٨ :	جلوى
١٣٨ :	الشييط	١٣٧ :	الجون
(ع)		١٣٨ :	
١٣٨ :	العباب	(ح)	حذفة
١٥٦ ، ١٣٩ ، ١٣٨ :	العراة	١٤٥ ، ١٣٨ :	الحمالة
١٥٧ :		١٣٨ :	الحنفاء
١٣٧ :	الفراب	١٣٧ :	
١٣٩ :	العطاف	(خ)	خصاف
(غ)		١٣٩ :	
١٠٥ ، ٩٥ ، ٧٨ :	الغبراء	(د)	داحس
١٣٧ ، ١٠٩ ، ١٠٨ :		١٠٥ ، ٩٥ ، ٧٨ :	
(ف)	فياض	١٣٧ ، ١٠٩ ، ١٠٨ :	
١٣٨ :		١٣٩ ، ١٣٨ :	دوول
(ق)	قرزل	١٤١ :	
١٣٩ :		(ذ)	ذو العقال
		١٣٧ :	

١٣٨ : النحام
 ١٤٥٠ ، ١٤١ ، ١١٦ : النعام
 ٢١٣ ، ١٥٩

(و)

١٣٧ : الوجيه
 ١٣٨ ، ١٢٩ ، ٩١ : الورد
 ٢١٦ ، ١٤٦ ، ١٤١

(هـ)

١٤١ ، ١٣٩ : الهطال

(ي)

١٣٩ : اليعقوم

(ك)

١٤١ : كامل
 ١٤١ : الكميت

(ل)

١٤١ ، ١٣٧ : لاحق
 ١٣٨ : اللطيم

(م)

١٣٧ : المذهب
 ١٣٨ : المزنوق
 ١٣٨ : معروف
 ١٣٧ : نكتوم

(ن)

١٣٨ : ناصح

فهرس الموضوعات

- تقديم للاستاذ الجليل الدكتور يوسف خليف ٥ - ٨
المقدمة ٩ - ١٥
- الباب الاول : الفروسية** ١٧ - ٢٠٢
- الفصل الاول : التعريف بالفروسية في المعاجم
وكتب اللغة ١٩ - ٤٠
- الفصل الثاني : بواعث الفروسية ٤١ - ١٣٥
- الفصل الثالث : عناصر الفروسية ١٣٦ - ١٩١
- الفصل الرابع : تقاليد الفروسية ١٩٢ - ٢٠٢
- الباب الثاني : شعر الفروسية** ٢٠٣ - ٢٧٢
- الفصل الاول : اولية الشعر الجاهلي وقضية
الاتحاح ٢٠٥ - ٢٢٣
- الفصل الثاني : مصادر شعر الفروسية ٢٢٤ - ٢٣٧
- الفصل الثالث : موضوعات شعر الفروسية ٢٣٨ - ٢٧٢
- الباب الثالث : نماذج من الشعراء الفرسان** ٢٧٣ - ٣١٨
- الفصل الاول : الحب عند عنتره ٢٧٥ - ٢٩٠
- الفصل الثاني : الكرم عند حاتم ٢٩١ - ٣٠٤
- الفصل الثالث : عروة والاشترابية ٣٠٥ - ٣١٨
- الخاتمة ٣١٩ - ٣٢٨
- مصادر البحث ومراجعته ٣٢٩ - ٣٣٦
- فهارس الكتاب ٣٣٩ - ٣٦٠

T

178
 116
 117
 118
 119
 120
 121
 122
 123
 124
 125
 126
 127
 128
 129
 130
 131
 132
 133
 134
 135
 136
 137
 138
 139
 140
 141
 142
 143
 144
 145
 146
 147
 148
 149
 150
 151
 152
 153
 154
 155
 156
 157
 158
 159
 160
 161
 162
 163
 164
 165
 166
 167
 168
 169
 170
 171
 172
 173
 174
 175
 176
 177
 178
 179
 180
 181
 182
 183
 184
 185
 186
 187
 188
 189
 190
 191
 192
 193
 194
 195
 196
 197
 198
 199
 200

تأليفه على رسوبه

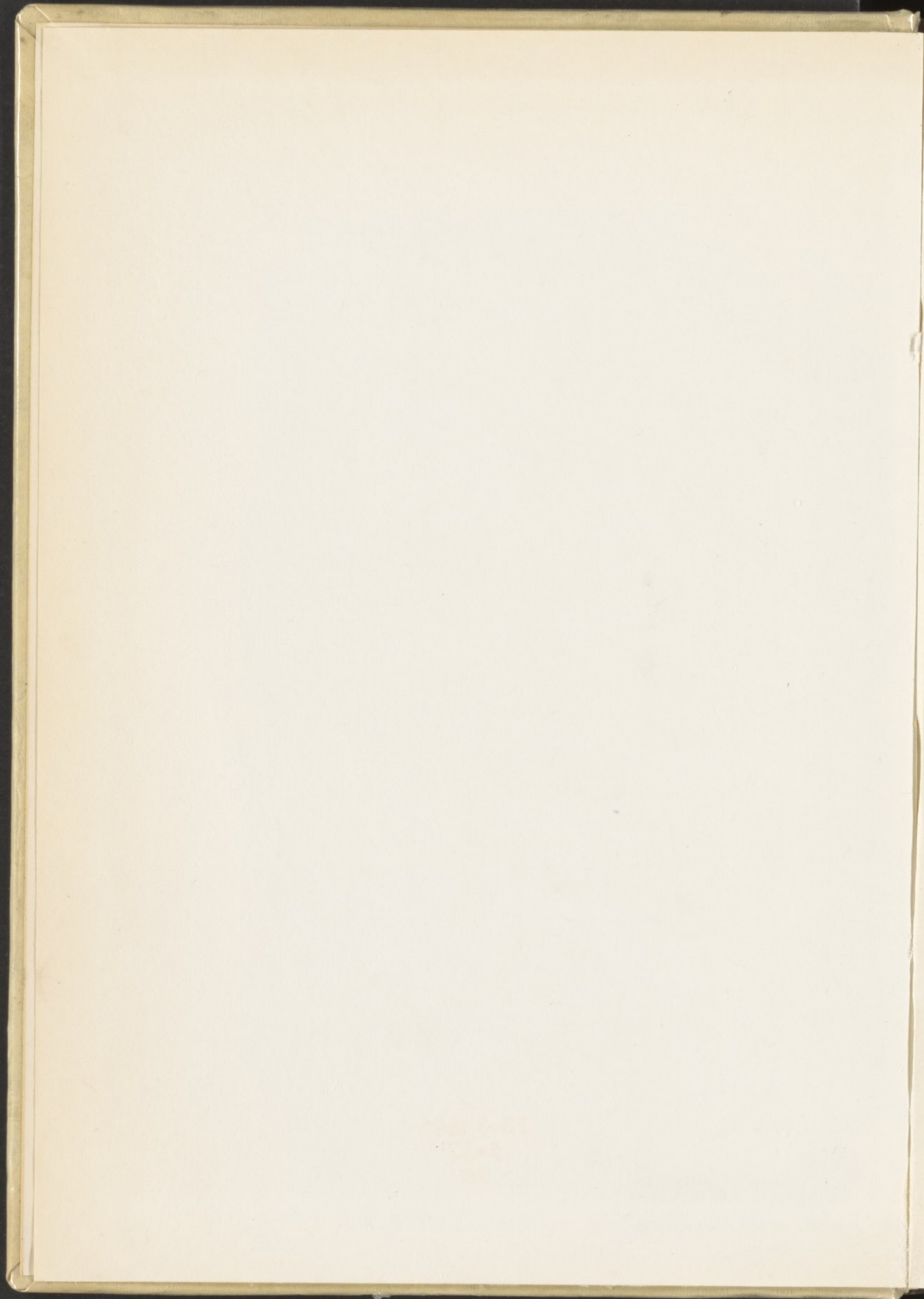
٨ - ٥١
 ٥١ - ٧٠
 ٧٠ - ٧١
 ٧١ - ٧٢
 ٧٢ - ٧٣
 ٧٣ - ٧٤
 ٧٤ - ٧٥
 ٧٥ - ٧٦
 ٧٦ - ٧٧
 ٧٧ - ٧٨
 ٧٨ - ٧٩
 ٧٩ - ٨٠
 ٨٠ - ٨١
 ٨١ - ٨٢
 ٨٢ - ٨٣
 ٨٣ - ٨٤
 ٨٤ - ٨٥
 ٨٥ - ٨٦
 ٨٦ - ٨٧
 ٨٧ - ٨٨
 ٨٨ - ٨٩
 ٨٩ - ٩٠
 ٩٠ - ٩١
 ٩١ - ٩٢
 ٩٢ - ٩٣
 ٩٣ - ٩٤
 ٩٤ - ٩٥
 ٩٥ - ٩٦
 ٩٦ - ٩٧
 ٩٧ - ٩٨
 ٩٨ - ٩٩
 ٩٩ - ١٠٠
 ١٠٠ - ١٠١
 ١٠١ - ١٠٢
 ١٠٢ - ١٠٣
 ١٠٣ - ١٠٤
 ١٠٤ - ١٠٥
 ١٠٥ - ١٠٦
 ١٠٦ - ١٠٧
 ١٠٧ - ١٠٨
 ١٠٨ - ١٠٩
 ١٠٩ - ١١٠
 ١١٠ - ١١١
 ١١١ - ١١٢
 ١١٢ - ١١٣
 ١١٣ - ١١٤
 ١١٤ - ١١٥
 ١١٥ - ١١٦
 ١١٦ - ١١٧
 ١١٧ - ١١٨
 ١١٨ - ١١٩
 ١١٩ - ١٢٠
 ١٢٠ - ١٢١
 ١٢١ - ١٢٢
 ١٢٢ - ١٢٣
 ١٢٣ - ١٢٤
 ١٢٤ - ١٢٥
 ١٢٥ - ١٢٦
 ١٢٦ - ١٢٧
 ١٢٧ - ١٢٨
 ١٢٨ - ١٢٩
 ١٢٩ - ١٣٠
 ١٣٠ - ١٣١
 ١٣١ - ١٣٢
 ١٣٢ - ١٣٣
 ١٣٣ - ١٣٤
 ١٣٤ - ١٣٥
 ١٣٥ - ١٣٦
 ١٣٦ - ١٣٧
 ١٣٧ - ١٣٨
 ١٣٨ - ١٣٩
 ١٣٩ - ١٤٠
 ١٤٠ - ١٤١
 ١٤١ - ١٤٢
 ١٤٢ - ١٤٣
 ١٤٣ - ١٤٤
 ١٤٤ - ١٤٥
 ١٤٥ - ١٤٦
 ١٤٦ - ١٤٧
 ١٤٧ - ١٤٨
 ١٤٨ - ١٤٩
 ١٤٩ - ١٥٠
 ١٥٠ - ١٥١
 ١٥١ - ١٥٢
 ١٥٢ - ١٥٣
 ١٥٣ - ١٥٤
 ١٥٤ - ١٥٥
 ١٥٥ - ١٥٦
 ١٥٦ - ١٥٧
 ١٥٧ - ١٥٨
 ١٥٨ - ١٥٩
 ١٥٩ - ١٦٠
 ١٦٠ - ١٦١
 ١٦١ - ١٦٢
 ١٦٢ - ١٦٣
 ١٦٣ - ١٦٤
 ١٦٤ - ١٦٥
 ١٦٥ - ١٦٦
 ١٦٦ - ١٦٧
 ١٦٧ - ١٦٨
 ١٦٨ - ١٦٩
 ١٦٩ - ١٧٠
 ١٧٠ - ١٧١
 ١٧١ - ١٧٢
 ١٧٢ - ١٧٣
 ١٧٣ - ١٧٤
 ١٧٤ - ١٧٥
 ١٧٥ - ١٧٦
 ١٧٦ - ١٧٧
 ١٧٧ - ١٧٨
 ١٧٨ - ١٧٩
 ١٧٩ - ١٨٠
 ١٨٠ - ١٨١
 ١٨١ - ١٨٢
 ١٨٢ - ١٨٣
 ١٨٣ - ١٨٤
 ١٨٤ - ١٨٥
 ١٨٥ - ١٨٦
 ١٨٦ - ١٨٧
 ١٨٧ - ١٨٨
 ١٨٨ - ١٨٩
 ١٨٩ - ١٩٠
 ١٩٠ - ١٩١
 ١٩١ - ١٩٢
 ١٩٢ - ١٩٣
 ١٩٣ - ١٩٤
 ١٩٤ - ١٩٥
 ١٩٥ - ١٩٦
 ١٩٦ - ١٩٧
 ١٩٧ - ١٩٨
 ١٩٨ - ١٩٩
 ١٩٩ - ٢٠٠

Bach

⚡

PB-35496
 5-17 3 8 6
 cc

٥



Bookkeeper[®] 

Deacidification for Libraries and Archives

September 2009

NYU - BOBST



31142 01446 9483

PJ7543 .Q3

al-Furusiyy

CHIVALRY IN PRE-ISLAMIC POETRY

by

Nouri Hammoudi AL-Qaisi

Published

by

AL - Nahdah Bookshop

Baghdad - Iraq

1964

مطبعة دار التضامن - بغداد